الرحيق المصفّى

في وصف طريق هجرة المصطفى ﷺ

دراسة جغرافية- تاريخية- تحقيق ميداني

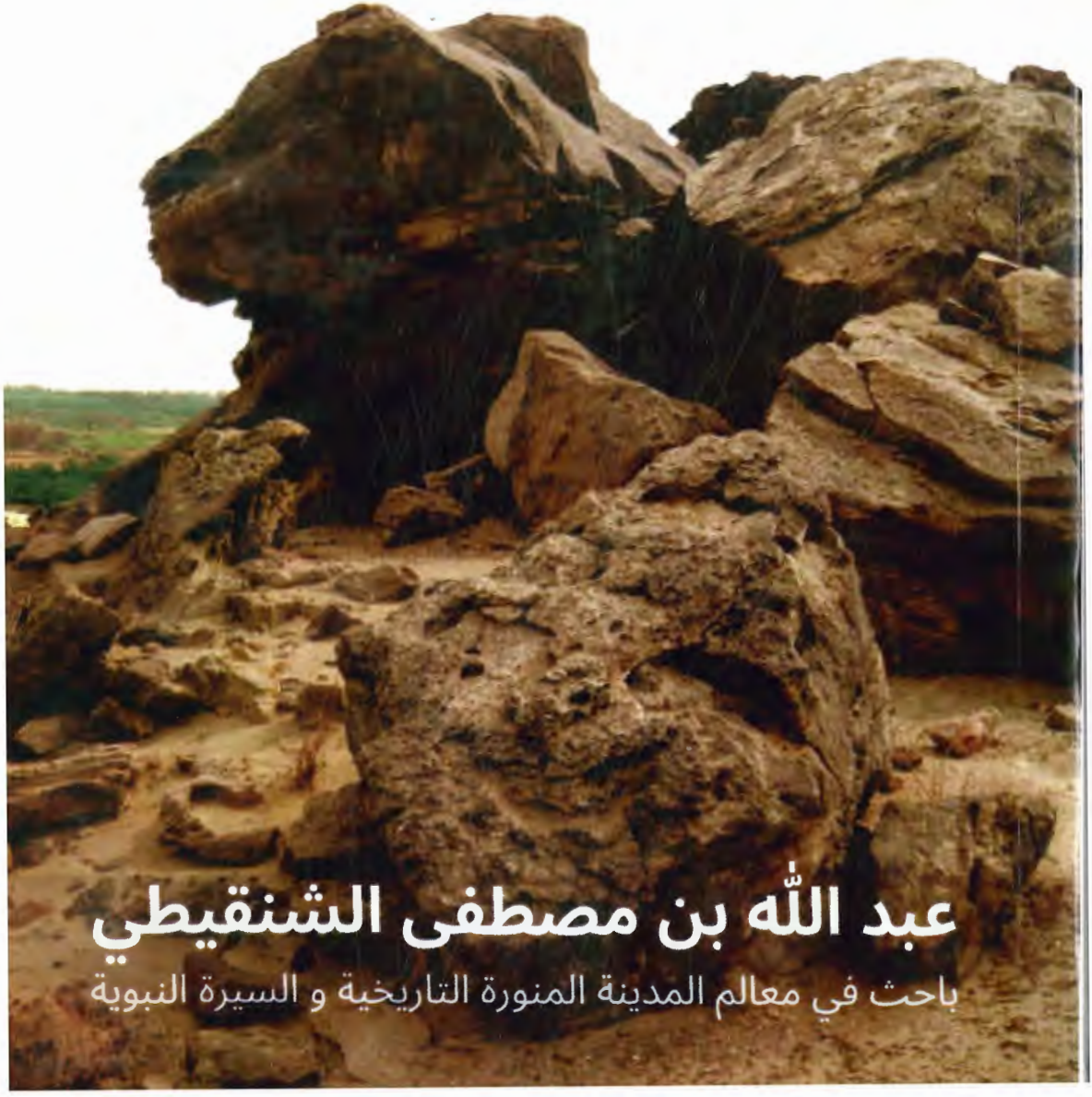

عبد الله بن مصطفى الشنقيطي

باحث في معالم المدينة المنورة التاريخية و السيرة النبوية

الرحيق المصفّى

في وصف طريق هجرة المصطفى ﷺ

تأليف

عبد الله بن مصطفى بن أبّوه الشنقيطي

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

ح عبدالله بن مصطفى أبوه الشنقيطي، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشنقيطي، عبدالله مصطفى أبوه

الرحيق المصفّى في وصف طريق هجرة المصطفى./ عبدالله مصطفى أبوه الشنقيطي - ط١. - المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

٢٤٠ص؛ ١٧× ٢٤سم

ردمك: ٣-٠٩٠١- ٠٤- ٦٠٣- ٩٧٨

١- الهجرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩,٤ ١٤٤٣/٧٣٣٣

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٧٣٣٣

ردمك: ٣-٠٩٠١- ٠٤- ٦٠٣- ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

صورة الغلاف : الصخرة التي استظل بها الرسول ﷺ في يوم الهجرة الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أمي الغالية التي أرضعتني
حب الله جل وعلا وحب رسوله ﷺ

شكر وعرفان

أمرنا الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل أن نكون من الشاكرين، فقال: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]. ويقول نبينا الكريم عليه الصلاة والتسليم «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»[2]. رواه أحمد.

وفي عملي هذا قلدني أناسٌ كُثُر من المعروف ما لا تستطيع الكلمات أن توفيهم حقهم، ولا أجد ما أكافئهم به إلا الدعاء لهم بظهر الغيب. فأسأل الله تعالى بوجهه الكريم أن يجزيهم عني بخير جزائه، وأن يُثقل ميزان حسناتهم بما قدموه من خدمة لسيرة نبينا عليه الصلاة وأتم التسليم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

وأخص بالشكر شيخ محققي التراث في بلادنا الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبد الرحيم عسيلان-حفظه الله-على تقديمه لهذا العمل، فضلاً منه وكرماً.

كما أزجي أسمى عبارات الشكر والامتنان والعرفان بالجميل للأستاذ خالد بن عبد الله الضحيان، فقد كان دعمه وتحفيزه عاملاً أساسياً في إخراج هذا العمل إلى النور في هذه الفترة، فأسأل الله تعالى جلّت قدرته أن يبيّض وجهه، يوم تبيَضّ وجوه وتسودّ وجوه.

والشكر موصول إلى كل من ساعدني في الدلالة على معلم أو أهدى إليّ معلومة أو فكرة كانت غائبة عني، أو ساعدني في بعض المصاعب التي مرت بي أثناء التجوال، وأخص بالذكر أدلائي، المشايخ: فرج بن سلوم الخزاعي

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٤.

(٢) إسناده صحيح على شرط مسلم.

من أهل مكة المكرمة، وحمد بن منيع الله العَمْري من البحرة في وادي الفرع، ومحمد بن عوض العلوي الصاعدي من أهل أبيار الماشي.

كما إني مدين لصديقي المهندس جمال بن علي شوالي لمساعدته في تنفيذ مرئيات (جوجل إيرث)، والدكتور أحمد شعبان والأستاذ هلال شعبان لدورهما في المراجعة، وإعداد فهارس الكتاب.

كما أحيّي رفيقي في البحث الميداني الدكتور أحمد بن ناصر النعماني، فقد كانت رفقته ذات فائدة عظيمة، تجلت في تحديد مواضع وردت في السيرة النبوية.

وإن أنس فلا أنسى أصدقائي وزملائي القائمين على «وقف معالم طيبة» وعلى رأسهم الدكتور عبد الله بن محمد كابر، ومحمد بن علي المهدي، والكابتن أحمد بن عبد الحافظ باصوطين، والأستاذ حمزة جميل، فقد كانوا نِعْم المساند والمعاضد، أسأل الله تعالى لهم المزيد من التوفيق والنجاح.

تقديم

بقلم: أ.د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان [1]

حظي طريق الهجرة النبوية بدراسات ومؤلفات عديدة وما تكاد تفتح كتاباً في السيرة النبوية إلا وتجد فيه حديثاً عن الهجرة، ومن ذلك كتاب السيرة النبوية لابن هشام، ومن المصادر الهامة في العصر الحديث أذكر تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً لأحمد ياسين الخياري، وكتاب طريق الهجرة النبوية لعبد القدوس الأنصاري، وكتاب الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله، وكتاب دراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل، وكتاب فقه السيرة لمحمد الغزالي، وكتاب الهجرة النبوية للشيخ محمد متولي الشعراوي، وكتاب المدينة المنورة في عهد الرسالة من حديث القرآن وبيان السنة المطهرة للشيخ محمد الراوي، وجلّ هؤلاء تناولوا طريق الهجرة من الناحية التاريخية ولم يكن لديهم اهتمام بتحديد معالمها سوى ما قام به عبد القدوس الأنصاري بشكل موجز، وجاء كتاب الأخ عبد الله الشنقيطي ليتحدث بالتفصيل عن معالم طريق الهجرة

(١) الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، أديب معاصر. ولد في المدينة المنورة وتعلم في مدارسها. أستاذ جامعي ومحقق كتب التراث الأدبي والتاريخي، ورئيس نادي المدينة المنورة الأدبي.

ويعتبر أحد أبرز أدباء المملكة العربية السعودية المعاصرين. له العديد من المؤلفات التي تهتم بتاريخ المدينة المنورة، وبالتراث العربي، من بينها: كتاب (المدينة المنورة في آثار المؤلفين والباحثين قديماً وحديثاً)، وكتاب (تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل)، وغيرها كثير.

وهو عضو في عدد من المجالس العلمية، من بينها جائزة أمين مدني وله الكثير من المشاركات الأدبية.

اختاره معهد المخطوطات العربية التابع لمؤسسات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الألكسو» شخصية العام ٢٠١٥ للعناية بالتراث عن كتابه (تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل).

معتمداً في ذلك على الدراسة الميدانية حيث جاب الأودية والقفار للوقوف ميدانيـاً على تلك المعالم، ومثل هذا الاتجاه في دراسة المعالم هو الاتجاه الصحيح للتعريف بها تعريفاً علمياً يستند إلى العيان والمشاهدة حيث قام كما ذكر هو في المقدمة بتتبع طريق الهجرة من مكة إلى المدينة بأسلوب قص الأثر معتمداً في ذلك على المصادر التاريخية، والخرائط التفصيلية، والاستعانة بالأدلاء في كل أرض من أهلها، قد بدأ هذه الرحلة عام١٤١٢هـ للهجرة، واستغرقت سنوات، ونوّه بالسبب الذي دفعه إلى استكمال دراسته وتمثّل فيما وجده في وسائل التواصل الاجتماعي من كثرة الحديث عن طريق الهجرة بصورة قاصرة لا تستكمل أدوات البحث العلمي مما تسبب بإيجاد شيء من البلبلة وعدم الوضوح لدى العامة، وجاء الفصل الأول من الكتاب للحديث عن المدينة المنورة وسكانها، وأطال في هذه المقدمة، وكان بالإمكان اختصارها إلى النصف، ودرج على أن يعنون لحديثه باليوم والشهر، مثلاً اليوم الثامن: الخميس الحادي عشر من ربيع الأول، والفصل الثالث هو لبّ الكتاب وعنوانه: (مع الرسول ﷺ في هجرته الميمونة)

ومما جاء في الكتاب تحقيق مكان ثنية الوداع، وتحقيق مكان حادثة سراقة، وحبذا لو أشار الباحث إلى رقم الصفحة والجزء في حواشي الكتاب عند الإحالة إلى المصادر، ومن الملاحظ أني لم أجد في الكتاب صوراً للمواقع التي تحدث عنها ولعلها ستلحق به عند طباعته، وعلى أي حال فالكتاب جدير بالقراءة، وينطوي على معلومات تاريخية ومكانية هامة لمعالم طريق الهجرة، والله ولي التوفيق.

أ.د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان

مُقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين، وأشهد ألا إله إلاّ الله رب العرش العظيم. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الكريم. والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ونبينا وشفيعنا يوم الدين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما.

﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وبعد:

بدأتُ الاهتمام بتتبع طريق الهجرة النبوية المباركة قبل أكثر من ثلاثين سنة، عقب قراءتي لكتاب الشيخ عاتق بن غيث البلادي[1] رحمه الله: «على طريق الهجرة».

وقد شدني أسلوب الشيخ عاتق البسيط المباشر، ووصفه الشيق لكل المعالم الطبيعية التي يمر بها، والمعلومات التاريخية، والأدبية التي يتحفنا بها عند كل وقفة من وقفاته أمام تلك المعالم. وبعد انتهائي من قراءة الكتاب بتأمل، تبين لي أنه لم يغط كامل طريق الهجرة النبوي، وبقيت مسافات طويلة لم تأت عليها الرحلة الميدانية، التي قام بها الشيخ عاتق في مستهل عام ١٣٩٣ للهجرة، الموافق شهر فبراير عام١٩٧٣م.

(١) عاتق البلادي، هو عاتق بن غيث بن زوير بن زائر البلادي الحربي (٣ شوال ١٣٥٢ هـ - ١٨ يناير ١٩٣٤ م) - (١ ربيع الأول ١٤٣١ هـ - ١٥ فبراير ٢٠١٠ م)، مؤرخ ونسابة وجغرافي وأديب من المملكة العربية السعودية. بلغت عدد مؤلفاته أكثر من ٤١ كتابًا تنوعت بين كتب جغرافية وتاريخية وأدبية وكتب أنساب.

اتصلت بالشيخ عاتق هاتفيا بداية عام ١٤١٠ تقريباً، وسألته لماذا لم يستكمل الطريق، فاعتذر رحمه الله بأنه كان يمتطي سيارة، وتلك الأماكن في زمن الرحلة لا تطؤها إلا الدواب لوعورتها.

عند ذلك عقدت العزم على محاولة القيام بتتبع طريق الهجرة من مكة إلى المدينة بأسلوب «قص الأثر»، أي: أن يكون السير على خطى الركب النبوي الشريف ما أمكنني ذلك، فإذا هبطوا واديا هبطته، وإذا صعدوا ثنية صعدتها، وإذا نزلوا منزلاً نزلته.

وبدأتُ، بعد الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه، بالإعداد لذلك باتباع الخطوات التالية: -

١- الحصول على ما استطعت الحصول عليه من المصادر التاريخية والحديثية وغيرها، التي تناولت الطريق وأحداثه.

٢- الحصول على الخرائط التفصيلية المتعلقة بجغرافية الأرض بين الحرمين.

٣- الاستعانة بالأدلاء، في كل أرض بأهلها.

٤- اقتناء سيارة ذات دفع رباعي تتحمل السير في الأراضي الوعرة.

٥- أعددت خطة لتغطية كامل الطريق على مراحل، وفي الغالب تكون في الربيع أو الشتاء، للتغلب على الصعوبات المناخية مثل الحرارة الشديدة وهبوب السافي وخاصة في الساحل والغبار الذي يعرقل التصوير.

بدأت رحلات التتبع في بداية عام ١٤١٢ للهجرة، واستمرت سنوات عديدة تتخللها انقطاعات لأسباب متعددة، ولكن بحمد الله تعالى استكملت تغطية كامل الطريق، وأعددت خريطة أولية تبين مسار الطريق، بحسب فهمي للعبارات والمصطلحات الواردة في المصادر، وتطبيق ذلك على الأرض.

ثم لما رأيت أنه في الآونة الأخيرة، وخاصة بعد انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، كثر الحديث عن الطريق الذي سلكه النبيّ ﷺ في هجرته، وأخذ

كلٌّ يدلو بدلوه، حتى وإن كان لم يستكمل أدوات بحث هذا الموضوع، ثم ينشر ما يَعِنُّ له من ذلك في تلك الوسائل، مما أوجد شيئًا من البلبلة، وعدم الوضوح لدى غير المتخصصين؛ لذلك رأيت أن أدوّن نتيجة تلك البحوث الميدانية والمكتبية في كتاب يكون مرجعًا لي ولمن أراد أن يطلع عليه من الباحثين أو المهتمين، فيقبلوا ما فيه من الصواب، ويصححوا ما يحتاج إلى تصحيح.

وقبل أن نبدأ في الكتابة عن أحداث الهجرة النبوية المباركة- ولأن المدينة المنورة حاضنة، وحاضرة الإسلام الأولى، وإليها انتقل من مكة المكرمة، ومنها انتشر في أرجاء المعمورة؛ فإنه يحسن بنا أن نسلط الضوء على شيء من تاريخها، والحالة الاجتماعية لسكانها قبل أن يكرمهم الله جل وعلا بهجرة رسوله صلّى الله عليه وسلم إليهم، ولتكون مدينتهم منطلق الإسلام ومأرِزَه.

والله نسأل أن يلهمنا الصواب، ويجنبنا مواطن الزلل، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

عبد الله بن مصطفى بن أبّوه الشنقيطي

المدينة المنورة

سابع عشر رجب الفرد سنة ١٤٤٣ للهجرة النبوية الشريفة

الموافق للثامن عشر من شهر فبراير سنه ٢٠٢٢

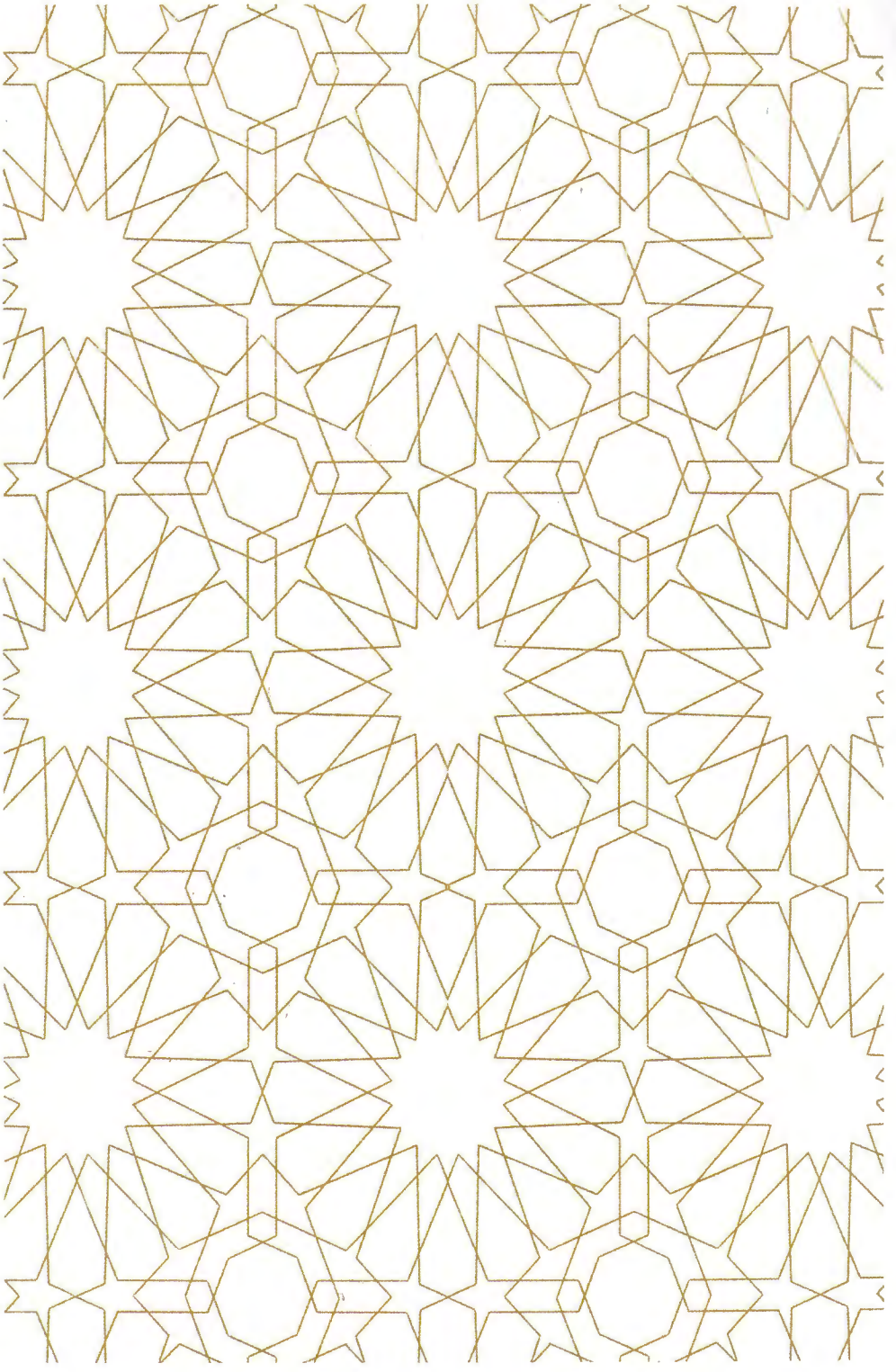

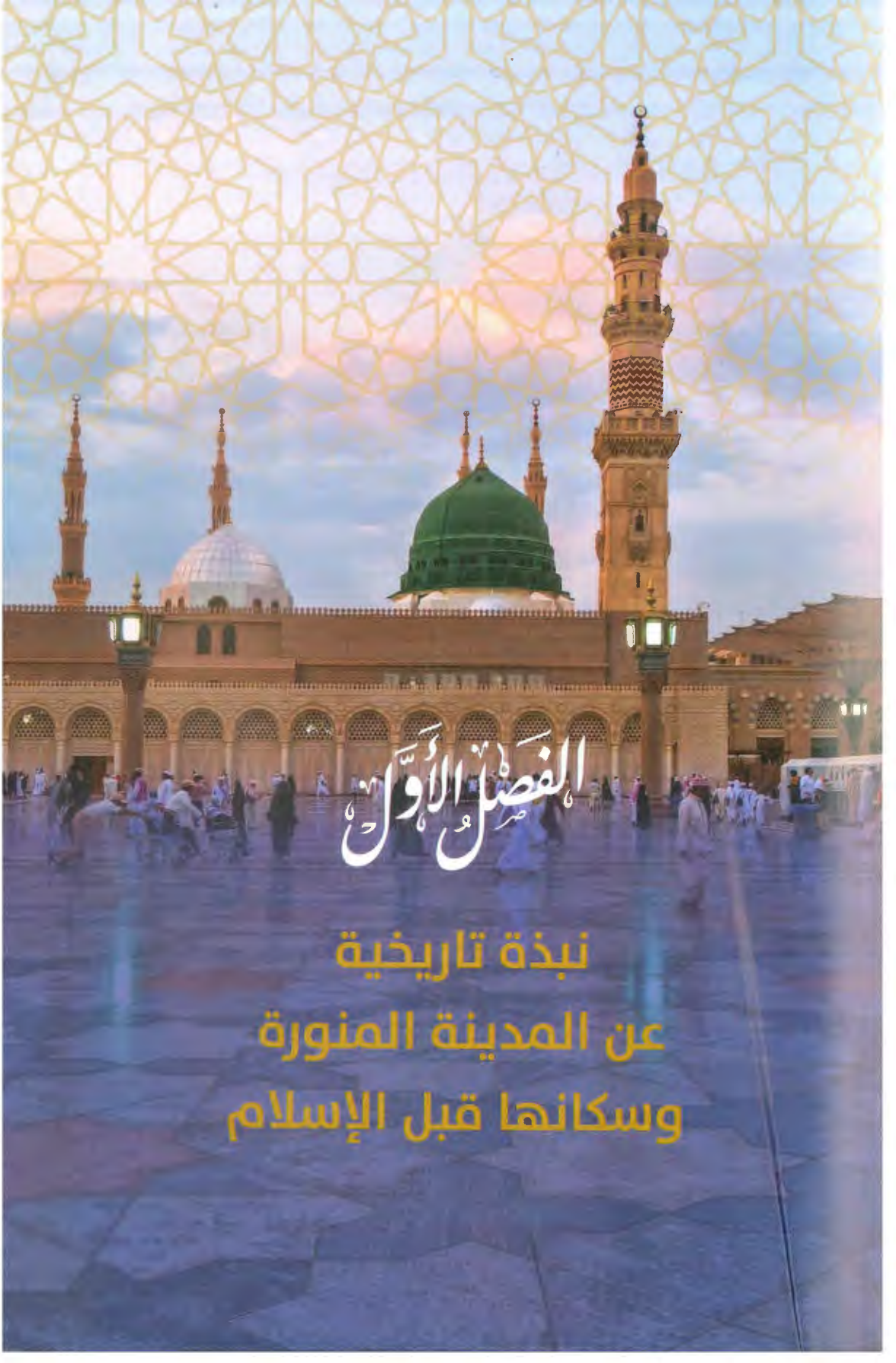

الفصل الأول

نبذة تاريخية
عن المدينة المنورة
وسكانها قبل الإسلام

المدينة المنورة في الكتب المقدسة

المدينة المنورة (على مُنورها أفضل السلام وأتم التسليم)، وهي (المختارة)؛ لأن الله تعالى اختارها للمختار من خلقه في حياته ومماته[1]، وسماها الله تعالى في كتابه الكريم (مدخل صدق)، ودعا النبي ﷺ ربه أن يدخله (مدخل صدق)؛ أي أن تكون هجرته إلى المدينة.

جاء في تفسير ابن كثير: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾[2].

وقد أمر الله تعالى نبيه أن يهاجر إلى المدينة تحديداً؛ جاء في صحيح البخاري: عن النبي ﷺ قال: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى، يَقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ المَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ»[3]

واختار له بقعة بعينها لتكون مسجده ومسكنه، فكان عند قدومه للمدينة « كُلَّمَا مَرَّ بِدَارٍ مِنْ دُوْرِ الْأَنْصَارِ دَعَوْهُ إِلَى الْمَنْزِلِ فَيَقُولُ ﷺ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، فَإِنَّمَا أَنزِلُ حَيْثُ أَنْزَلَنِي اللهُ»[4].

بل إن اختيار الله ﷻ المدينةَ لنبيه كمهاجر له ومستقر، وردت إشارات لها في التوراة والإنجيل.

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ج١ ص٨٤ طبعة الفرقان.

(٢) تفسير ابن كثير، سورة الإسراء .

(٣) الجامع الصحيح، حديث رقم١٨٧١ .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير، ج٢ ص٢٧٣ ط دار المعرفة-بيروت.

في التوراة:

جاء في سفر أشعيا الإصحاح (٤٢) فقرة: (١١) « لترفع البريّة ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار، لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الربَّ مجداً..» .

وقيدار أحد أبناء إسماعيل كما جاء في سفر التكوين إصحاح (٢٥) عدد (١٣).

وسالع جبل سلع، وهو الجبل المشرف على المدينة في العهد النبوي[١].

وفي الإنجيل:

ذكر إنجيل يوحنا الإصحاح ٧: ٤٠-٤٢ مجيء نبي «في وسطكم»[٢] أي في يثرب حيث كان اليهود يعيشون.

و حديث سيدنا سلمان الفارسي الطويل عن سبب خروجه من بلاد فارس حتى وصوله المدينة المنورة، و فيه أن الراهب الأخير الذي كان معه عندما حضرته الوفاة قال له: «أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ

(١) عمر بن سليمان الأشقر، الرسل والرسالات ج١ ص١٧٠ ط مكتبة الفلاح-الكويت.

(٢) أحمد عبد الوهاب، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ج١ ص ١٤٠

الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ».[1]

في كل ما سبق دليل واضح على أن صفة أرض المدينة، وأنها مهاجَرُ نبيٍ مرسل بعد عيسى (عليه السلام) - كانت معروفة عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى قبل ظهور الإسلام.

الموقع الجغرافي للمدينة المنورة:[2]

المدينة المنورة واقعة في وسط إقليم الحجاز، في بقعة زراعية خصبة، وافرة المياه، في نهاية حرة الحجاز العظيمة (كما سماها الشيخ عاتق بن غيث البلادي)[3]، أو حسبما ما كانت تسمى تاريخيًا (حرة بني سليم)[4]؛ وتقع على مسار طريق رئيس يربط بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، منذ آلاف السنين، مما جعلها إحدى الواحات المهمة، على ما كان يعرف ب(طريق البخور)، أو طريق الأنبياء.

ونظراً لهذا الموقع المتوسط المهم أصبحت هذه الواحة موئلاً ونقطة جذب تغري بالإقامة فيها، إما للتبادل التجاري مع القوافل المارة المحملة بأصناف التجارة من جنوب الجزيرة العربية، ومن خارجها، مثل فارس

(١) مسند أحمد، ٣٩/ ١٤٤، ط الرسالة

(٢) على خط عرض: ٢٤ ٢٨ شمالًا، على خط الطول: ٣٩ ٣٦ شرقًا، إحداثيات (المسجد النبوي)

(٣) عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز

(٤) أعظم حرار الجزيرة العربية، يبلغ طولها أكثر من ٣٥٠ كيلًا في عرض حوالي ١٠٠ كيلًا، وفي بعض المواضع أقل من ذلك.
تمتد من ذات عرق جنوبًا إلى المدينة شمالاً، ومن ساحل البحر الأحمر غربًا إلى الصويدرة شرقًا، وسُميت خطأً حرة رهط في المصورات الجغرافية الحديثة.

والهند وسواهما، أو لممارسة النشاطات الحضرية الأخرى مثل الزراعة وأنواع الحرف التي يحتاجها المسافرون مثل صناعة السلاح وصناعة الحبال والسلال وكثير من الأدوات التي تعتمد على منتجات النخيل.

وفي عام ٢٤ قبل الميلاد نفذ الرومان حملة بحرية بأمر من القيصر أغسطس، وبقيادة ايليوس غالوس.

سارت الحملة من شمال البحر الأحمر إلى جنوبه بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر.

كان من نتيجة هذه الحملة أن اكتشف الرومان سر الرياح التجارية التي تهب على موانى البحر الأحمر ومواقيتها، وبالتالي مكنهم ذلك الاكتشاف من الملاحة في البحر من شماله إلى جنوبه[1].

أدى هذا الاكتشاف إلى تحويل طريق البخور الرئيس من الطريق البري إلى البحري، فشكل ذلك ضربة قاصمة للتجار العرب، ولازدهار البلدات على طول الطريق من الشمال إلى الجنوب، فضعفت المحطات الواقعة على الطريق البري لطريق البخور مثل نجران، والعلا، وتيماء، وغيرها، وأصبح الطريق داخلياً للتجارة البينية بين مختلف أجزاء الجزيرة العربية، وفقد الصفة الدولية التي كان يتصف بها، وتحول عنها معظم أهلها إلى أماكن أخرى أكثر ازدهاراً.

نتيجة لهذه التطورات انصرف من بقي في المدينة(يثرب) من أهلها إلى الاعتناء بالزراعة والأعمال أو الصناعات المرتبطة بها، وإلى التعامل التجاري مع القبائل المحيطة بالمدينة أو مع تجار قريش المارين بالمدينة في رحلتي الشتاء والصيف، وسواهم من التجار من مختلف أرجاء الجزيرة العربية، الذين يبيعون ويشترون في أسواق المدينة(يثرب).

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، العرب والرومان

عرفت المدينة المنورة قبل الإسلام باسمين، كلاهما وردا في القرءان الكريم، والحديث النبوي الشريف؛ الأول « يثرب» والثاني «المدينة».

يثرب في القرءان الكريم

يقول الله تبارك وتعالى مخبرا عن مقولة لبعض المنافقين أثناء حصار المشركين للمدينة في غزوة الأحزاب ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا ﴾

وفي الاسم الثاني يقول تبارك وتعالى متوعداً رهطاً من المنافقين ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾

يثرب في الحديث النبوي الشريف:

عن أبي ذر الغفاري ﷺ، قال: « أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ «إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ لاَ أُرَاهَا إِلاَّ يَثْرِبَ فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ». رواه مسلم.

كما جاء اسم يثرب في بعض الأحاديث مقروناً بالمدينة.

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قال: « قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»[1].

ويثرب هو أشهر الاسمين قبل الإسلام، ونورد هنا بعض ما قاله المؤرخون والإخباريون عن هذين الاسمين:

(١) صحيح البخاري، ٢/ ٦٦٢، ط٣، دار ابن كثير، بيروت

أولاً: يثرب

أقدم ذكر ليثرب جاء منقوشاً بنص مسماري على مسلتين، عثر عليهما في (حرّان) سنة ١٩٥٦م يتحدث عن الملك البابلي نابونيد (حكم من سنة ٥٥٥ إلى سنة ٥٣٩ قبل الميلاد)، وانتقاله إلى تيماء. النقش يقول «أنا نابونيد، ابن وحيد ليس له أحد، لم يكن في ذهنه تسلم العرش الملكي. الآلهة والآلهات صلوا من أجلي، ومن دعائي تسلم الحكم في الليل جعلني أرى حلماً» قال فيه: «إهلهل معبد «سين» في حران شيدْه بسرعة، أريد أن أعطيك كل البلاد في يدك، الناس سكان بابل وبارسيبا ونيبور وأور وأوروك ولارسا والكهنة، اناس من مناطق سكن في أكاد أخطأوا في حق ألوهيته الكبرى وارتكبوا إثماً في عدم معرفة الغضب المخيف لملك الآلهة «سين ننار» نسوا طقوسهم وتكلموا كذباً وزوراً ككلاب افترس بعضها بعضاً. جعلت الآلهة مرضاً وجوعاً ينتشر بينهم هو «سين» أنقص سكان البلاد أما أنا فقد جعلني أهرب

مـن مدينتي بابل « وسـلكت» الطريق إلى تيماو، ودادانـو، وباداكو، وخيبرا، ويديخو حتى يثربو عشر سنوات تجولت بينهم ولم أدخل مدينتي بابل»[1].

توضيح النص:

إذا كان نابونيـد قـد اتخذ مـن تيماء عاصمة لـه منذ السـنة الرابعة لتوليه الملك (٥٥٢ ق.م)، فإنه قد بسـط سـيطرته كما يشير النص السابق على عدة مدن. وقد وردت أسماء المدن التي سيطر عليها نابونيد في النص المسماري المشار إليه كما يلي:

-تيماو (مدينة تيماء الحالية)

-دادانو (مدينة العلا)

-باداكو (فدك، وهي مدينة الحائط حالياً)

-خيبرا (مدينة خيبر)

-ياديخو (يديع، وهي الحويط حالياً)[2]

-يثربو (يعني يثرب، المدينة المنورة).

وظل الملك البابلي نابونيد مقيماً في تيماء حتى السنة الأخيرة من حكمه التي شهدت عودته إلى بابل، للتصدي للملك الفارسي قورش الثاني (٥٥٩-٥٢٩ق.م) الـذي قـام بغزو بابل، وبالرغـم من محاولات نابونيد اسـترضاء كهنـة المعبود «مردوخ» عن طريق الاحتفال بأحد أعياده سـنة ٥٣٩ق.م، إلا أن قورش الثاني تمكن من دخول بابل في السنة نفسها وأسقط بذلك المملكة البابلية.

(١) عبد الرحمن الأنصاري تيماء ملتقى الحضارات، ص٢٣

(٢) د. عبد الرحمن الأنصاري ص٢٠

ويبدو أن يثرب كان لها دور مشهود في تلك القرون، فبالإضافة إلى نقش حـران، عثر أيضا على نقش آخر في المملكة العربية السـعودية ورد فيه اسـم «يثرب» سُجِّل في القرن السادس قبل الميلاد[1] .

ويشـهد لقدم الاسـتيطان في المدينة وحولها، وجود نقوش ورسوم تعود إلـى العصر الحجري، أي أكثر من أربعة آلاف سـنة قبل الميلاد، وخاصة في جبل (العهين) شمال شرق المدينة المنورة قرب الحناكية.

يثرب بعد الإسلام:

اسـتمر اسـم (يثرب) علما على المدينة المنورة إلى أن صبحت مهاجَراً لنبينا محمد ﷺ، فأبدلها الله اسماً خيراً من ذلك، فسماها طابة وطيبة.

وأورد السمهودي في كتابه «وفاء الوفا» ما يقرب من مائة اسم لها، ولكن معظمها يندرج في باب الصفات التي اكتست بها بعد الهجرة النبوية الشريفة.

لكن اسـتمر اسـم يثرب يطلق على جهة منها في سـافلتها، أي في شـمال المدينة عند مجمع الأسيال.

جـاء في «الـدرة الثمينة» للحافـظ ابن النجار: « وقال أبـو عبيدة معمر بن المثنى: يثرب اسم أرض، ومدينة النبي ﷺ في ناحية منها»[2].

وجاء توضيح موقع تلك الأرض عند جمال الدين المطري « وهي -أي يثـرب- معروفة اليوم بهذا الاسـم، و فيها نخيل كثيـرة ملك لأهل المدينة، و أوقاف للفقراء، و غيرهم، و هي غربي مشهد سيدنا حمزة، و شرقي الموضع المعـروف بالبركة؛مصـرف عيـن الأزرق، ينزلهـا الحاج الشـامي في ورده و صدره، و تسميها الحجاج عيون حمزة»

(١) أ.د. محمـد بن عبد الرحمـن الثنيان، الطرق البرية الموصلة إلى المدينة المنورة ص١١٢ (بحث منشـور ضمن بحـوث محكمة أصدرتهـا جمعية التاريخ والآثـار بدول مجلس التعاون بمناسـبة اختيار المدينة المنورة عاصمة للثقافة الإسلامية عام ١٤٣٥

(٢) الدرة الثمينة، ص٢٦، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم

وعلق السيد السمهودي، بعد أن نقل النص السابق عن جمال الدين المطري بقوله «وهي إلى اليوم معروفة بهذا الاسم، أعني: يثرب».

ويطابق هذا التحديد تقريباً، قول محمد بن الحسن بن زَبالة «وكانت يثرب أم قرى المدينة، وهي ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف، وما بين المال الذي يقال له البرني (شمالاً) إلى زَبالة (جنوباً)»[1].

هذا التحديد ليثرب استمر معروفاً إلى عهد قريب بحيث استطاع الأستاذ عبد القدوس الأنصاري رحمه الله أن يرسم خريطة للمدينة المنورة يحدد فيه موقع يثرب، بل أن هناك وثائق تملك لمزارع في هذا الموقع تشير فيها إلى أنها بيثرب.

(١) وفاء الوفا، الباب الأول في أسماء هذه البلدة الشريفة، ١/ ١٣

وبتطبيق ما جاء في هذه النصوص المحددة لموقع يثرب، فأرى أنها اليوم تشمل حي البِرْكة، وجزءاً من حي النسيم، وحي الجرف الشرقي، وينصفها تقريباً الطريق الواصل بين الجرف وطريق العيون. والله أعلم.

الأصل اللغوي ليثرب :

أولاً: عند المؤرخين:

لم يُعثر حتى الآن على اسم للمدينة المنورة أقدم من نقش حران الذي تقدم معنا والمؤرَخ في منتصف القرن السادس قبل الميلاد في فترة حكم الملك البابلي نابونيد باللهجة البابلية المشتقة من اللغة الأكادية؛ فقد اعتبر بعض المؤرخين أن «يثرب» اسم بابلي.

طبعاً كما يحدث دائماً يحصل تحوير وتبديل في أحرف الكلمة عندما تنتقل من لهجة إلى أخرى، أو من لغة إلى لغة مختلفة حسب النطق الصوتي لكل لهجة أو لغة.

فقد بدأت الكلمة في اللهجة البابلية «أتربو»، ثم رأيناها عند بطليموس (عاش في القرن الثاني الميلادي) باسم «أثربَ»، و«أثربه»، كما جاءت عند اصطفان البيزنطي باسم « مدينة أثربا».

ثم وصل الاسم إلى اللهجات العربية على صورتين «أثربْ»، و «يثرب»[1]

معنى الاسم:

في رأيٍ للدكتور حسن ظاظا[2] : أن أترب في اللغة الأكادية تساوي أثرب

(١) د. محمود الزراعي الحمزاوي، تاريخ وحضارة المدينة المنورة عبر العصور ص٢٦ (بحث منشور ضمن بحوث محكمة أصدرتها الجمعية التاريخية السعودية في لقائها المنعقد في المدينة المنورة في ١٢/ ٥/ ١٤٢٨

(٢) الدكتور حسن بن محمد توفيق ظاظا (١٩١٩ - ١٩٩٩) عالم لغويات مصري، من أشهر المختصين المعاصرين في اللغة العربية واللغات السامية، ولد في القاهرة، وتوفي في الرياض،=

في العربية، وتأتي بمعنى استراح، وعلى هذا القول يكون معنى (يثرب) مشتقة من المكان الأثير أو الوثير أي المريح، الذي يجد فيه المسافر أو الساكن حاجته من المأكل والمشرب والأمن.

ويتابع الدكتور حسن ظاظا كلامه، في رأي جميل يحسن نقله هنا:» إن أسماء المواضع كان يغلب عليها أن تكون للدعاية السياحية والتجارية، فقد لوحظ أن كل هذه المواضع كانت محطات للقوافل، فكانت أسماؤها ترمي إلى جذب المسافرين وإعطائهم انطباعاً حسناً عن البلدة، «فينبع» تعتبر من أحسن الأسماء جذباً للقوافل المتجهة نحو الشام في رحلة الصيف؛ و «تعز» معناها يبعد منالها على الغزاة وقطاع الطرق، فهي المحطة الآمنة، وهي تذكرنا باسم «غزة» في الشمال، والذي كان نطقه السامي «عزة» أي العزيزة المنيعة. أما الغين فجاءت بدل العين من تحريف يوناني لعجز اليونان عن نطق العين؛ و «تدمر» في لهجة أهلها بمعنى «تتمر» في الفصحى، أي يكثر نخلها وتمرها، وقد ترجم الرومان الاسم إلى «palmyra» بنفس المعنى؛ و «تبوك» في العربية الفصحى معناها «تبيع وتشتري»، أي تنشط فيها حركة التجارة واختلاط الناس بعضهم ببعض[1].

الأصل اللغوي عند الإخباريين واللغويين:

الإخباريون النسابون المقصود بهم أمثال محمد بن الكلبي، وابنه هشام، وأضرابهم ممن يستقون معلوماتهم من مسلمة أهل الكتاب، مثل كعب الأحبار، ووهب بن منبه، فتأتي أخبارهم منكرة، أقرب ما تكون إلى الأساطير، فزعموا أن «يثرب» اسم ابن لعبيل أحد أحفاد نوح عليه السلام.

= درّس في جامعات كثيرة، كان آخرها في جامعة الملك سعود لفترة طويلة، وكان من أشهر أساتذتها، ويعتبر أستاذا لجيل منهم.

(١) المرجع السابق

فقد أسند الكلبي عن ابن عباس ﷺ أنه بعد مخرج الناس من السفينة نزلوا طرف بابل وكانوا ثمانين نفسا فسمى الموضع سوق الثمانين فمكثوا حتى كثروا وصار ملكهم نمرود بن كنعان بن حام فلما كفروا بلبلوا فتفرقت ألسنتهم على اثنين وسبعين لسانا ففهّم الله تعالى العربية منهم عمليق وطسم ابنا لاوذ بن سام وعادا وعبيل ابني عوص بن آرم بن سام وثمود وجليس ابن جانق بن آرم بن سام وقنطور ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام فنزلت عبيل بيثرب ويثرب بن عبيل ثم أخرجوا منها فنزلوا الجحفة[1].

وهناك روايات أخرى مشابهة، وواضح أنها من خزعبلات كتب اليهود والنصارى المحرفة، وبعضها من اختراع هؤلاء الإخباريين والنسابين.

معنى يثرب عند اللغويين:

اعتبر اللغويون أن « يثرب» من التثريب واللوم.

قال في لسان العرب «والتَّثْريبُ كالتَّأْنيب والتَّعْيِير والاسْتِقْصاءِ في اللَّوْمِ والثَّارِبُ المُوَبِّخُ يقال ثَرَبَ وثَرَّب وأَثْرَبَ إِذا وَبَّخَ».

وروي عن النبي ﷺ أنه نَهَى أَن يقالَ للمدينة يَثْرِبُ وسماها طَيْبَةَ كأَنه كَرِه الثَّرْبَ لأَنه فَسادٌ في كلام العرب. قال ابن الأَثير يَثْرِبُ اسم مدينة النبي ﷺ قديمة فغَيَّرها وسماها طَيْبَةَ وطابةَ كَراهِيةَ التَّثْرِيبِ وهو اللَّوْمُ والتَعْيير»[2].

انتهى

وقد ثبت عن النبي ﷺ النهي عن تسمية المدينة بيثرب

روى أحمد في المسند وغيره، عن البراء بن عازب «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة»[3]

(١) وفاء الوفا، سكنى المدينة بعد الطوفان

(٢) لسان العرب، مادة ثرب

(٣) خرجه أحمد (٤/ ٢٨٥، رقم ١٨٥٤٢). قال الهيثمي (٣/ ٣٠٠): رجاله ثقات

وروى الإمام أحمد ومالك والشيخان عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبيث الحديد».

ولأن النبي ﷺ كان يحب الفأل الحسن والأسماء ذات الوقع المريح في الأذن والمعنى الجميل، فاختار «المدينة» اسماً لها.

ثانياً: المدينة:

عُرفت المدينة المنورة بهذا الاسم؛ أي «المدينة» منذ القرون الميلادية الأولى. فقد سماها « بطليموس» (عاش في القرن الثاني الميلادي) «Medinta» «Medinto»، من الكلمة الإرامية، التي تعني «مدينة» في عربيتنا، و«هكر» في العربية الجنوبية. وقد ورد اسمها في الكتابات المعينية أيضاً.

ويظهر أنها عرفت بـ«مدينة يثرب» على نحو ما جاء في كتاب «إصطفيان البيزنطي»، ثم اختصرت، فقيل لها «مدينتا»، أي: «المدينة»[1].

قلت: وظهور هذا الاسم ذي الأصل الأرامي في القرن الأول أو الثاني الميلادي، ربما يشير إلى وروده في الإنجيل (الإنجيل نزل باللغة الآرامية، التي هي لغة عيسى عليه السلام)، ويمكن اعتباره من ضمن الإشارات والمبشرات بأحمد ﷺ، وأنه يبعث من جزيرة العرب، وأن «مدينتا» لها علاقة بهذا المبعث.

والقرآن الكريم أخبرنا أن عيسى عليه السلام بشر قومه بنبوءة محمد ﷺ. قال الله تعالى» ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾.

ولعل اختيار النبي ﷺ « المدينة» اسماً لبلد هجرته، هو وحي من الله تبارك وتعالى، لسبق الإشارة إليه في الإنجيل.

والله تعالى أعلم.

---

(١) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (الفصل الثالث والأربعون) يثرب

السكان قبل الإسلام

يصنف المؤرخون والإخباريون سكان المدينة المنورة قبل الإسلام، من حيث الأسبقية في استيطانها إلى ثلاث فئات هي: -

١- المستوطنون الأوائل (العماليق).

٢- اليهود.

٣- الأوس والخزرج.

سنتناول هنا بإيجاز شيئاً مما نقله المؤرخون والإخباريون عن تاريخ قدوم هذه الفئات الثلاثة إلى المدينة المنورة.

أولاً :- المستوطنون الأوائل (العماليق):

عند المؤرخين:

يعترف المؤرخون أن تاريخ الأقوام التي استوطنت المدينة المنورة (يثرب) قبل الإسلام ما زال مجهولاً لهم، لأسباب عديدة، منها عدم وجود مصادر أو مدونات أثرية يمكن الركون إليها أو استنطاقها، ولم يجر بحث أو استكشاف حقيقي في الموقع يساعد ويعين على معرفة كنه تلك الأقوام التي اتخذت (يثرب) موطناً لها على مدى قرون متطاولة.

لكن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري أشار إشارة خجولة إلى حدوث حفريات -جرت بغير قصد البحث العلمي- كشفت عن بعض أشياء يمكن أن يستدل منها على أن المدينة الحالية قائمة على أنقاض مدينة أخرى.

أدى عدم وجود معلومات علمية حقيقية، إلى سد ذلك النقص بما نقله الإخباريون والنسَّابون من روايات لا يمكن الوثوق بها أو الاعتماد عليها، لأنها مجرد روايات لا تستند إلى أدلة علمية تجعلها تصمد أمام البحث العلمي.

ورغم ندرة المادة الأثرية والأنثروبولوجية المتعلقة بنشأة (يثرب)، إلاّ أنه يستشف من المعلومات المتوفرة عن طريق البخور القديم الذي كانت تسلكه قوافل عرب جنوب الجزيرة العربية منذ الألف الثاني قبل الميلاد، أن تأسيس (يثرب) ارتبط بنشوء هذا الطريق، وبالتالي فإن المؤسسين الأوائل ليثرب هم أولئك الأقوام الذين ارتبطت مصالحهم بها.

وتقول دائرة المعارف الإسلامية أن (يثرب) ورد اسمها من بين المستوطنات التي سكنتها جاليات مَعينية. وهذا يؤكد ما يرجحه المؤرخون من أن (يثرب) كانت موجودة منذ قرابة ألفي سنة قبل الميلاد، وارتباطها بالحضارة المعينية، يجعلنا نرجح أن عرب جنوب الجزيرة العربية هم أول من أنشأ واستوطن (يثرب)[1].

ويؤكد هذا التوجه د. أحمد إبراهيم الشريف فيقول:

« ومن المؤكد أن هذه الواحة الخصيبة والتي تقع على طريق التجارة بين اليمن والشام، لا بد أن تكون قد سكنتها القبائل منذ زمن بعيد، إذ لا يعقل أن لا يجذب خصب هذه البقعة وكثرة المياه بها الناس إلى انتجاعها والإقامة فيها، وورود اسم يثرب في الكتابات المعينية يدل على قدمها، وعلى أن المعينيين استعمروها فقد كانت لهم مستعمرات على طول الطريق التجاري حتى تخوم الشام، فليس من المحتمل أن يكونوا تجاوزوا يثرب دون أن ينتفعوا بموقعها وخصب أرضها وكثرة مياهها في اتخاذها مستعمرة لهم ومحطة لتجارتهم، وبخاصة أن مستعمراتهم متصلة إلى شماله على طول طريق وادي القرى»[2].

(١) د. عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة ج١ ص٢٤ مركز بحوث المدينة.

(٢) مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، المدخل ص١.

لذلك يُرجَّح أن هؤلاء العرب الجنوبيين- مع غيرهم من القبائل سكان الجزيرة العربية، ومن هؤلاء «بنو أُنيف»، وهم حيّ من «بليّ»، وبنو معاوية ابن الحارث بن بهثة بن سليم، من قيس عيلان، وبنو «الجذماء» حيّ من اليمن، فعاشوا مع من انضم إليهم من غيرهم من أصحاب المصالح التجارية على طريق البخور- هؤلاء هم من أنشأ (يثرب) كمستوطنة هامّة على مسار الطريق، وعمروها على مدى قرون.

عند الإخباريين والنسابين :

المعينيون وغيرهم من القبائل العربية، هم من أطلق عليهم الإخباريون والنسابون مسمى (العماليق)، متأثرين بما سمعوه من بعض من اختلط بهم من مسلمة اليهود والنصارى مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلّام وغيرهم.

فعند الإخباريين والنسابين «أول من سكنها يثرب بن قائنة بن مهلاييل بن آرم بن عبيل بن عوص بن آرم بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل: أول من عمر بها الدور والآطام وزرع وغرس العماليق بنوا عملاق بن أرفخشذ بن سام وأخذوا ما بين البحرين وعمان والحجاز إلى الشام ومصر ومنهم الجبابرة والفراعنة بهما وملكهم بالحجاز الأرقم وكان بالمدينة منهم بنو وهف وبو مطر، وكانت جرهم بمكة وقنطورا وطسم وجديس باليمامة.

وعن زيد بن أسلم، أن ضبعا رؤيت وأولادها رابضة في حجاج عين رجل أي العظم الذي ينبت عليه الحاجب قال وكان يمضي أربعمائة سنة وما يسمع بجنازة»[1].

ويُلاحظ أن الأسماء الواردة في هذا النسب المختلق هي أسماء يهودية منسوبة إلى التوراة المحرفة بأيديهم، كما يلاحظ النفس الأسطوري في الرواية.

(١) السمهودي، وفاء الوفا ج١ ص٢٩٣ ط دار الفرقان.

ثانياً :- اليهود:

يتفق المؤرخون، والإخباريون على أن اليهود قدموا إلى المدينة بعد إنشائها من قبل المستوطنين الأوائل من عرب جنوب الجزيرة العربية وغيرهم، أو من أطلق عليهم الإخباريون (العماليق).

أما بداية استيطان اليهود للمدينة فهو محل خلاف عريض بين المؤرخين والإخباريين، فمن الإخباريين من جعله في القرن الثالث عشر قبل الميلاد (أي في زمن موسى عليه السلام)، ومنهم من قال إنه في زمن داوود عليه السلام (١٠٠٠ ق.م).

وقد أنكر المؤرخون ما ذهب إليه الإخباريون من أن اليهود وجدوا في المدينة من عهد موسى عليه السلام، وأن وجود قبر هارون عليه السلام في جبل أحد، وأن ذلك ما هو إلا تحريف من الإخباريين لرواية التوراة -كما جاءت في سفر العدد «٢٠: ٢٢-٢٩»- بأن جعلوا موت هارون على جبل أحد في المدينة المنورة، بدلا من موته على جبل هور، في أرض التيه، وإن كانت رواية التوراة جعلت ذلك بوحي من الله لموسى، وإن انحرفت عن الجادة من الصواب بعد ذلك، فجعلت الموت إنما كان سببه العصيان[1].

أما القول بغزو داود للمدينة، وأن الإسرائيليين -فيما يرى البعض- قد خلعوا طاعة داود وانضموا إلى ولده «أبشالوم»، وأن النبي الكريم قد لجأ إلى أطراف الشام، ثم لحق بخيبر وما إليها من بلاد الحجاز، ثم أعد العدة لاستعادة ملكه فحارب ولده وانتصر عليه، ثم انتهى الأمر بقتل أبشالوم على يد «يؤاب» قائد جيش داود[2].

(١) د. محمد بيومي مهران، تاريخ العرب القديم ج١ ص٣٩٤.

(٢) دراسات في تاريخ العرب القديم ص٣٩٧.

وعلى أي حال، فإن رواية الإخباريين الآنفة الذكر، لا تعدوا أن تكون تحريفًا لأحداث جاءت في التوراة. حيث تروى أن أخريات أيام داود قد تميزت بعدة ثورات، امتدت حتى إلى أهل بيته، ومنها ثورة ولده أبشالوم الذي نجح في أن يضم إليه قبائل إسرائيل الثائرة ضد أبيه، دون سبب ندريه على وجه اليقين، ثم تمكن أبشالوم من خلع أبيه، وتنصيب نفسه ملكًا على إسرائيل في مكانه، مما اضطر داود إلى أن يذهب إلى «محانيم» في شرق الأردن، حتى لا يفاجأ بأبشالوم وأتباعه في أورشليم، إلا أن تصرفات أبشالوم المخزية مكنت داود من استعادة ولاء بعض القبائل الإسرائيلية القوية، والانتصار على أبشالوم وقتله كذلك، على الرغم من أوامر داود الصريحة لجنوده بعدم قتله، مما أدى إلى حزن داود المرير على ولده[1].

وهكذا يبدو واضحًا أن الإخباريين لم يفعلوا أكثر من نقل القصة التي روتها التوراة، وإن غيروا فيها بما يجعل اليهود يصلون إلى بلاد العرب على أيام داود عليه السلام.

بل إن هناك من يذهب به الخيال إلى أن يرى أن داود قد غزا يثرب، وكان يسكنها صلع وفالج، وأنه قد أخذ من سكانها مائة ألف عذراء، وأن الله قد سلط الدود على أهل يثرب بعد ذلك فأهلكهم، ثم دفنوا في السهل والجبل في ناحية الجوف.

استقرار اليهود في يثرب

لا يستبعد بعض المؤرخين وصول فلول من اليهود إلى (يثرب) بعد سقوط اليهودية وتدمير الهيكل في القرن السادس قبل الميلاد، على يد «نبوخذ نصر» في عام ٥٨٦ق. م -وربما في أغسطس ٥٨٧ق. م- وإبعاد كثير

(١) المرجع السابق

من اليهود إلى بابل، وهو ما عرف في التاريخ «بالسبي البابلي»، وذلك عندما قتل اليهود «جداليا» نائب نبوخذ نصر في أورشليم[1]. ورغم أن الهروب الكبير لليهود كان إلى مصر حسب ما جاء في التوراة، ولكن لا يستبعد وصول جماعات منهم إلى الحجاز، واستقرار أفراد منهم في (يثرب).

غير أن الهجرة الحقيقية لليهود إلى الحجاز بصفة عامة، إنما كانت بعد الثورة اليهودية ضد الرومان، ثم إخماد هذه الثورة بأشد العنف وأقسى أنواع التدمير على يد «تيتوس» في عام ٧٠م، حيث دمرت المدينة المقدسة، وأحرق المعبد اليهودي الذي بناه «هيرودوس» إحراقًا تامًّا، حتى أن القوم نسوا بعد حين من الدهر، إن كان المعبد قد بني على التل الشرقي أو الغربي من أورشليم، وحتى أن محاولة بنائه -اعتمادًا على وصف التوراة له- قد فشلت نهائيًّا، كما منع بقية السكان من مجرد الاقتراب من أورشليم، ومن ثم فقد هاجرت مجموعات من السكان إلى بلاد العرب، ووصلت إلى يثرب.

غير أن الثورة سرعان ما تجددت مرة أخرى على أيام هدريان، فيما بين عامي ١٣٢، ١٣٥م، وانتهت الثورة إلى القضاء قضاءً مبرمًا على اليهود، ككيان سياسي في فلسطين، وتغير اسم المدينة المقدسة «القدس» إلى «إيليا كابتيولينا» وتحول المعبد اليهودي إلى معبد لإله الرومان «جوبيتر»، ثم بيعت النساء اليهوديات كإماء، وضاع اليهود في غياهب التاريخ، وسرعان ما فر -من أسعده الحظ فنجا- إلى مكان يحتمي به من غضبة الرومان القاسية، وكان من هؤلاء المحظوظين فريق من يهود وصلوا إلى يثرب، وكان هؤلاء -إلى جانب من وصلوا بعد تدمير القدس على يد تيتوس- هم الذين كوّنوا الجالية اليهودية في شمال الحجاز، وفي يثرب بصفة خاصة، وزاد عددهم بمرور الزمن، حتى إذا ما ظهر الإسلام كان معظم سكان وادي القرى إلى يثرب من اليهود، وهناك في الحجر، وفي مواضع أخرى من أرض الأنباط، توجد كتابات نبطية، يرجع

(١) إرمياء ٤١: ١-١٨، زكريا ٧: ٥.

بعضها إلى القرن الأول الميلادي، وبعضها الآخر إلى القرن الرابع الميلادي، وردت بها أسماء عبرية تشير إلى أن أصحابها من يهود[1].

وتؤيد المصادر العربية هذا الاتجاه، فتذكر أنه لما ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعًا بالشام فوطؤوهم، وقتلوهم، ونكحوا نساءهم، خرج بنو النضير وبني قريظة وبنو هدل «بهدل» هاربين إلى من بالحجاز من يهود، فلما فصلوا عنهم بأهليهم اتبعهم الروم فأعجزوهم، وهلك جند الروم في المفاوز والصحاري الخالية من الماء، وهذه الروايات مأخوذة عن يهود المدينة أنفسهم. ثم أخذت جموع اليهود في الجزيرة العربية تزداد وتكثر بعد اضطهاد الروم لهم في فلسطين، ثم قصد بنو النضير وقريظة منطقة يثرب، وارتادوا حتى تخيروا أخصب بقاعها فسكنوها[2].

وهكذا سكنت جاليات يهودية منطقة يثرب، والطرق المؤدية إلى الشام، وإن تركزت كتل اليهود الكبرى في يثرب بالذات، حيث كان فيها ثلاث قبائل، ربما بلغ عدد رجالها البالغين أكثر من ألفين، وهي قينقاع، والنضير وقريظة، إلى جانب بطون وعشائر يهودية أخرى، ذهب الإخباريون إلى أنها بلغت أكثر من عشرين بطنا، منهم بنو عكرمة وبنو محمم وبنو زعورا وبنو الشظية وبنو جشم وبنو بهدل وبنو عوف وبنو القصيص «العصيص» وبنو ثعلبة[3].

ثالثاً: الأوس والخزرج:

تتفق المصادر العربية على أن هجرة قبائل الأزد عامة، ومنهم الأوس والخزرج من اليمن، كان نتيجة لتهدم سد مأرب.

(١) د. محمد بيومي مهران تاريخ العرب القديم ص٤٠١ .
(٢) الأغاني ١٩/ ٩٥.
(٣) المرجع السابق.

سد مأرب:

يرجع المؤرخون تاريخ بناء السد إلى حوالي ٧٥٠ قبل الميلاد أيام ازدهار الدولة السبئية، على يد المكرب (سمه علي ينوف)، وأنه تهدم عدة مرات، وأن أول تصدع للسد كان سنة ١٢٠م ويقول نقش عثر عليه: إن شرحبيل بن أبي كرب أسعد الحميري أصلح السد سنة ٤٥٠-٤٥١م.

ويقول نقش آخر: إن أبرهة أصلحه سنة ٥٤٢م. ويقدر أحد المؤرخين أن السيل حدث من سنة ٤٤٧-٤٥٠.، كما يحدد مؤرخ آخر أن هجرة الأوس والخزرج إلى المدينة كانت حوالي سنة ٣٠٠م واستيلاءهم سنة ٤٩٢م))[1].

خروج الأوس والخزرج إلى يثرب:

يقول ابن هشام عن هجرة الأوس والخزرج إلى جهات يثرب: وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن، أنه رأى جرذًا يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أراضيهم، فعلم أنه لا بقاء للسد بعد ذلك، فاعتزم على النقلة من اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به، فقال عمرو: لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي، وعرض أمواله، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتنموا غضبة عمرو. فاشتروا منه أمواله، وانتقل في ولده، وولد ولده، وقالت الأزد: لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان؛ فحاربتهم عك؛ فكانت حربهم سجالًا، ثم ارتحلوا عنهم، فتفرقوا في البلدان؛ فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام، ونزلت الأوس والخزرج يثرب، ونزلت خزاعة مرًّا... ثم أرسل الله تعالى على السد سيل العرم فهدمه.

(١) د. مهران دراسات في تاريخ العرب القديم ص٤٠٨.

ويتضح من قول ابن هشام أن نزوح الأوس والخزرج إلى جهات يثرب كان قبل سيل العرم؛ بينما يرى صاحب الأغاني أن خروج الأزد كان بعد سيل العرم. غير أن هذه الروايات لا تحدد متى كان تهدم السد، ولا تحدد الزمن الذي هاجرت فيه قبائل الأزد.

إذنً؛ هجرة القبائل الأزدية كانت متفرقة وكانت لعوامل متعددة؛ منها اضطراب أحوال اليمن نتيجة للتنازع السياسي بين الأقيال، وإلحاح الأحباش عليها بالغزو منذ القرن الثالث، وإهمال أمر الإرواء مما نتج عنه تصدع السد مرات متكررة مما سبب العسر الاقتصادي لإهمال الزراعة، فأخذت القبائل تهاجر كلما ضاق بها الحال، وكانت الأوس والخزرج ضمن هذه القبائل المهاجرة وكانت هجرتها متأخرة عن غيرها من بطون الأزد، وعلى هذا فالأوس والخزرج أحدث عهدًا بالمدينة من اليهود. ويقول صاحب الأغاني: إن الأوس والخزرج توجهوا بعد هجرتهم إلى المدينة، وحين وردوها نزلوا في حرار، ثم تفرقوا وكان منهم من لجأ إلى عفاء من أرض لا ساكن فيه، ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها، فكانوا من أهلها، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة لأن المدينة ليست بلاد نعم، وليسوا بأصحاب نخل وزرع، وليس للرجل منهم إلا الأعذاق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من أرض موات. والأموال لليهود، فلبثوا بذلك حينًا»[1].

ثم تطورت العلاقات بينهم وبين اليهود من الجوار إلى الحلف، حتى انتهى بهم الأمر إلى لأن حالفت الخزرج بني قينقاع والنضير، وسكنوا منطقة الوسط، والحرة الغربية، أما الأوس فقد سكنوا الجنوب والحرة الشرقية، مع حلفائهم من بني قريظة.

(١) الأغاني: نزول الأوس والخزرج المدينة

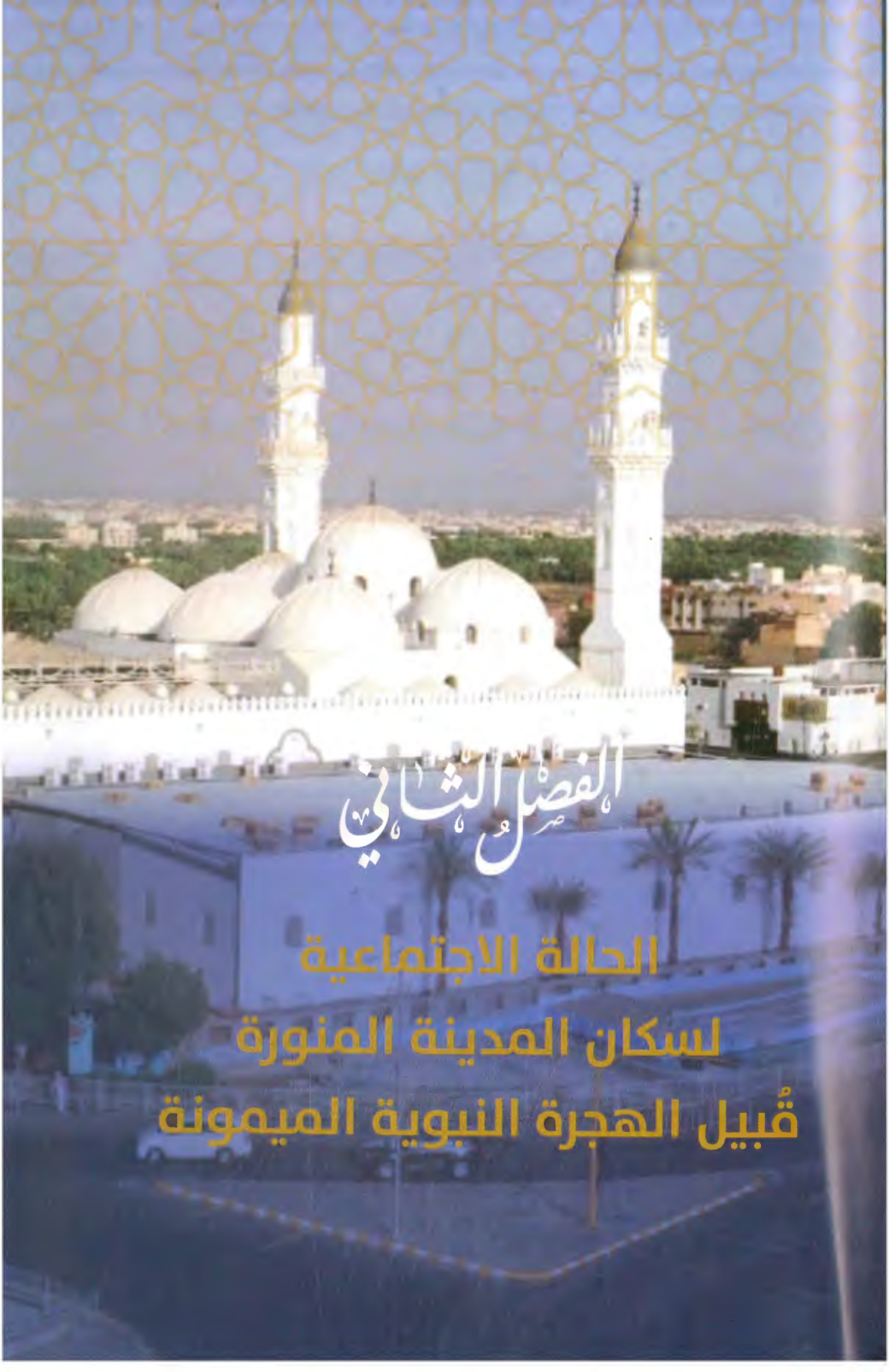

الفصل الثاني

الحالة الاجتماعية لسكان المدينة المنورة قُبيل الهجرة النبوية الميمونة

الحالة الاقتصادية

لم تشتهر قبائل الأوس والخزرج بالتجارة، فقد احتكر اليهود هذه الحرفة وأتقنوها، أما الأوس والخزرج فقد كانت بضاعتهم الرئيسة التي ينتجونها ويتاجرون فيها هي التمر[1]، والذي أحياناً يعتبر عملة يتم التبادل به مع سلع أهل البادية من إبل وغنم وخيل، وصوف ووبر وسمن وأقط وغير ذلك، أو بسلع أخرى يجلبها التجار من عطور ونبيذ وزيت وحنطة ومنسوجات قطنية وحريرية، ونمارق ملونة مرسومة يبتاعها أهل النعمة واليسار[2].

ولتوفر المياه والأرض الخصبة فقد كانوا يزرعون المحاصيل الزراعية الأخرى مثل العنب والشعير والقمح، كذلك كانت تزرع أنواعاً من الفاكهة كالرمان والليمون والبطيخ، وأنواع من الخضروات كالقرع (الدباء) واللوبياء والسلق والبصل والثوم والقثاء، ويتم يطرح الفائض عن الاستهلاك الشخصي في الأسواق وبيعه بالنقد أو مقايضته بسلع أخرى يجلبها التجار إلى الأسواق.

وأيضاً كان الاحتطاب مهنة كثير منهم، وخاصة للفقراء، ويسهّل ذلك وجود الغطاء النباتي(الغابوي) حول المدينة(يثرب).

ولكننا نجد أن من بينهم من كان يتاجر مع بلاد الشام واليمن، وله أموال شغلها في التجارة، كما أن من بينهم من كان يعطي فضل ماله بالربا للمحتاج إلى المال، وكان منهم من حصل على مال كثير فابتنى له «الأطم» و«الحصون» ليحصن نفسه وماله بها، ومن المؤكد أن قوافل مكة كانت تمر بالمدينة في رحلاتها التجارية، وأن أهل المدينة يتعاملون مع هذه القوافل المكية، كما كانوا يرحلون إلى الأسواق العربية في عكاظ ومجنة وذي المجاز في موسم الحج يبيعون فيها ويشترون.[3]

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

(٢) المرجع السابق

(٣) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة المنورة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ج١ ص٢٩٩.

وكان بعضهم يمارس مهنة الصرافة، وهي مهنة تدر مالاً كثيراً، واشتهر من هؤلاء أحيحة بن الجلاح الأوسي[1].

أما القبائل اليهودية (قريظة والنضير وقينقاع) فقد كانوا تجاراً ومزارعين، ماعدا بني قينقاع فقد كانوا صناعاً وصاغة، ولم تكن لهم أرض يزرعونها[2]، وكان اليهود في المدينة أغنى وأكثر ثراءً من الأوس والخزرج، لأنهم كانوا أسبق في سكنى المدينة وتخيروا أفضل البقاع؛ هواءً وتربةً ومياهً، فنزلوها[3].

وكان اليهود يتعاملون تجارياً مع المجتمع المحلي ومع التجار من شتى أرجاء الجزيرة العربية، أو الشام أو البحرين[4]، مستغلين الموضع المميز للمدينة باعتبارها واحة غنية بالمياه والتربة الخصبة يحط فيها التاجر والمسافر رحاله للراحة والمتاجرة، واستغلوا أيضاً الموقع المتميز للمدينة كعقدة مواصلات بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها، وبين شرقها وغربها.

كان يهود بني قريظة والنضير يتاجرون في كل المنتجات المحلية والمستوردة من الشام أو اليمن أو البحرين.

وكانت بنو النضير أثرى قبائل اليهود لموقعهم على وادي مذينيب، وهو أخصب الأمكنة وأغزر الأودية، حيث تمكن اليهود من استثمار الأرض وزراعة أفضل أنواع النخيل[5]، وكانوا أيضاً تجاراً، ومن أشهر تجارهم أبو رافع سلاّم بن أبي الحُقيق النضري، وهو شخصية يهودية معروفة بأنه كان يرسل تجارة كبيرة إلى الشام بواسطة القوافل، وأنه كان يستورد من الشام الأقمشة بأنواعها، والعطور والمجوهرات ومختلف السلع الأخرى التي

(١) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٣ تجار يثرب.

(٢) الواقدي، المغازي ص١٧٩.

(٣) الفيروزآبادي، المغانم المطابة ج١ ص٢٣٢، مركز بحوث ودراسات المدينة.

(٤) القطيف ودارين وهجر ما حولها وليس جزيرة البحرين اليوم.

(٥) السيرة النبوية لابن كثيرج٣ص١٤٩.

تروج في أسواق المدينة [١]، وقد كان نساؤهم تتزين بمختلف أنواع الحُلي [٢]، مما يدل على ثرائهم المتميز.

ويلي بني النضير في الثراء بنو قينقاع، فقد كانوا صاغة وأهل صناعة، وإن كانوا أقل القبائل الثلاثة في القوة والمنعة، ومنزلهم في المدينة يعتبر المنطقةَ الصناعية للمدينة -إن جاز التعبير- ففيه تُتداول المنتجات الصناعية من أسلحة، وحلي وأدوات وآلات زراعية وإنشائية، وغيرها من الصناعات، وتجلب المواد الخام لهذه المنتجات من خارج المدينة، وهم مشهورون بجودة منتجاتهم ولذلك كانت رائجةً على مستوى الجزيرة العربية، ويضرب المثل بالسهام اليثربية [٣]، كما يتم فيه بيع وشراء السلع الاستهلاكية الأخرى في المدينة [٤].

أما بنو قريظة فقد كانوا زُرّاعاً أكثر منهم تجاراً أو صُنّاعاً، لذلك كانوا أقل ثراءً من إخوتهم بني النضير أو قينقاع، وأقل منزلة اجتماعية، فقد كانت دية قتيل بني النضير تعدل دية قتيلين من بني قريظة [٥]، لكن رغم ذلك فقد كانت لهم أراضٍ خصبة واسعة على وادي مهزور، حتى إن هذا الوادي سُمي باسمهم (وادي بني قريظة) [٦]

الأسواق:

تميزت المدينة قبيل الهجرة وبعدها بكثرة الأسواق داخلها، والظاهر أن ذلك بسبب تباعد منازل أهلها، فنجد منازل في أقصى الجنوب (منازل بني عمرو بن عوف)، وفي أقصى الشمال (بنو حارثة)، وأقصى الشرق (بنو

(١) محمد السيد الوكيل، يثرب قبل الإسلام ج١ ص١٧١ .
(٢) الواقدي، المغازي، غزوة بني النضير.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ج٧ ص٢٧٨.
(٤) صحيح البخاري ح٣٧٨٠.
(٥) سنن أبي داود ح٣٥٩١.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة ح٢٩٠٥٧ ط مكتبة الرشد.

عبد الأشـهل)، وأقصى الغرب (بنو سلِمة)، لذلك نجد الأسواق أخذت هذا التوزيع.

ويمكـن أن نميز في الفترة الواقعة قبيل الهجـرة النبوية بين فئتين من هذه الأسواق؛ فئة أولى للتجارة الخارجية، تعرض فيها السلع والبضائع المجلوبة من خـارج المدينة، وهذه الفئة يندرج تحتها سـوقان هما سـوق بني قينقاع، وسوق النبط، والفئة الثانية تغلب عليها السلع المحلية.

وأشهر الأسواق في المدينة قبيل الهجرة هي:

١-سوق بني قينقاع ٢-سوق النبط ٣- سوق مزاحم ٤-سوق الصفاصف ٥- سوق زَبالة ٦- سوق نقيع الخضمات

سوق بني قينقاع

سـوق رئيسـة يأتيها المتعاملون من خـارج المدينة، تقـع في أعلى وادي بطحان عند منتهى الجسر المسمى بجسر بطحان يقوم في السنة مرارا ويتفاخر الناس به ويتناشـدون الأشـعار، وبه كان اجتماع حسـان بن ثابـت بنابغة بني ذبيان»[١].

وكانت سـوق بني قينقاع سـوقًا عظيمة، تكثر فيها الحركة، وتسمع منها ضجـة البيع والشـراء والتعامل وأهم ما كان يباع الحلـي التي تخصص يهود بني قينقاع في صناعتها»[٢].

كما كان السلاح من سـيوف ورماح وقسيّ وسهام من أهم منتجات هذا السوق[٣].

(١) وفاء الوفا ج٤ص٩٥ ط دار الكتب العلمية.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول.

(٣) الواقدي المغازي ج١ص١٧٩ط عالم الكتب.

كما كانت السوق الرئيس لبيع وشراء الرقيق.[1]، كما كان يتم فيها تداول السلع الأخرى.

سوق النبط

هذه سوق عظيمة من أسواق المدينة قبل الإسلام وبعده، نُسبت إلى أنباط(نصارى) الشام[2]، لأنهم كانوا أهم تجاره، وسلعتهم الأساسية التي يتعاملون فيها الحبوب مثل القمح والحنطة والشعير، والعدس، والفول، واللوبيا، وغيرها، والزيوت بأنواعها[3].

وكانت هذه السوق موسمية، تقام مرة في العام[4]، للقادمين إلى المدينة(يثرب) للتجارة من الشام واليمن والبحرين وكافة أنحاء الجزيرة العربية، لذلك نجد ذكراً لهذه السوق في قصة زواج هاشم جد النبي ﷺ من سلمى بنت بن عمرو النجارية، كذلك نجد بعض تجار الإبل من نجد يعرضون تجارتهم في هذا السوق.

موقع السوق:

لم تحدد المصادر التي بين أيدينا موقع السوق بالضبط، أو جهته، ولعل من أسباب ذلك أنه سوق موسمي، يقام في السنة أياماً معدودة، مثل أسواق العرب الأخرى؛ عكاظ وحباشة وذي المجاز ..إلخ. وربما كان ذلك في بداية أشهر الشتاء[5].

ولكن هناك إشارات وردت في المصادر، والبحوث العلمية يمكن من خلالها الاستدلال على الموقع التقريبي للسوق، أهمها:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٣ص٣٤٢ط.

(٢) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج١٢ ص١٧٨، دار الساقي.

(٣) الموطأ ج١ص٢٨٨ ط مؤسسة الرسالة، مسند الشافعي ج١ص٢٤١ ط دار الكتب العلمية.

(٤) ابن سعد الطبقات الكبرى.

(٥) لأن حصاد القمح في الشام يبدأ في مايو، وتحتاج عملية الحصاد والبيع والنقل إلى عدة أشهر.

١-ورد أن السوق في موضع سكنى النصارى في المدينة[١].

٢-النصارى في المدينة قبل الإسلام وبعده مجتمعٌ أفراده قليلون جداً، وبما أنهم أهل كتاب فسيكونون قريبين من مجتمع آخر مماثل لهم من أهل الكتاب، هم اليهود، ربما للحماية كأي أقلية، وهؤلاء؛ أعني اليهود منازلهم معروفة في المدينة؛ مثال على ذلك: ما ورد أن صاحب حانة كان في جوار سلاّم بن مُشكِم، أحد رؤساء بني النضير، وقد اشترى أبوسفيان منه كل ما في حانوته من الخمر، ومدحه بقوله:

سقاني فروّاني كُميتاً مدامة[٢]

على ظمأٍ مني غلامُ ابن مشكم[٣]

٣- سوق بني قينقاع سوق رئيس يؤمه التجار من كافة أرجاء الجزيرة العربية، ومن خارجها أيضاً، فمن المنطق التجاري أن يكون السوق الرئيس الآخر الذي يرتاده أولئك التجار قريبا من ذلك السوق.

٤-الثقل التجاري للأماكن في المدينة قبل الإسلام وبعده بقليل تتركز في ملتقى أودية بطحان ومهزور، لسبب واضح، وهو الكثافة الزراعية والسكانية في هذه البقعة، ففيها جزء كبير من قبائل اليهود (قينقاع، النضير، قريظة)، وهم الذين في أيديهم السيولة المالية، وفيها أيضاً بطون من الأوس والخزرج (بالحارث بن الخزرج، بنو خطمة).

٥-ورد في السيرة النبوية أن النبي ﷺ ذَهَبَ إِلَى سُوقِ النَّبِيطِ(النبط)، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «لَيْسَ هَذَا لَكُمْ بِسُوقٍ»[٤].

---

(١) توفيق برو، تاريخ العرب القديم ج١ص٢٤٨ط دار الفكر، د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٧ص٧٢ ط دار الساقي.

(٢) معروف أن الخمر محرمة عند اليهود وحلال عند النصارى .

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ج٨ص٢٠١ط: دار الكتب العلمية، د. حمد محمد بن صراي، الوجود النصراني في المدينة ج١ص٥٧ .

(٤) سنن ابن ماجة ح٢٢٣٣.

والظاهر أنه ﷺ أراد سوقاً أقرب منه لمركز المدينة (المسجد النبوي)، وأبعد عن منازل اليهود والنصارى، وأيضاً أن تكون للمسلمين سوق لها شخصية مستقلة.

تأسيساً على التحليل السابق، يمكن أن نكوِّن تصوراً أقرب إلى الواقع لموضع «سوق النبط»، وهو، أنه شرق سوق بني قينقاع، غير بعيد عنه، يقع في مكان متوسط بين منازل بني النضير وقريظة، قريب من منازل بالحارث بن الخزرج، وبني خطمة وغيرهم، وفي الواقع أن هذا مكان استراتيجي لموقع هذا السوق المهم للتجارة الخارجية في المدينة.

٣-سوق مزاحم:

سوق محلي ذكره ابن شبة فقال «وسوق يقوم في موضع زقاق ابن حبّين كانت تقوم في الجاهلية وأول الإسلام، وكان يقال لذلك الموضع «مُزاحم».

ثم جاء السمهودي وحدد لنا موقعه بالضبط فقال: «وأما زقاق ابن حبّين، ففي غربي السوق أيضا (يقصد السوق النبوي) مما يلي الشام بالقرب من حصن أمير المدينة، وابن حبّين كان مولى للعباس بن عبد المطلب».

هذا الوصف يعني أن هذه السوق الجاهلية كانت صغيرة، وتشغل حيزا ضيقا غربيّ السوق النبوي، ويبدو أنها كانت للتعامل المحلي بين بعض بطون الخزرج القاطنين حولها.

٤-سوق الصفاصف:

هذا سوق في أقصى الجنوب الغربي لساكنة المدينة في امتداد حرة العصبة، ذكره، وحدد موقعه ابن شبة، فقال: «وبالصفاصف بالعصبة سوق..».

وذكر السمهودي الصفاصف بقوله «عُدينة: أطم بين الصفاصف

والوادي، سمي باسم امرأة كانت تسكنه»[1].

والوادي طبعاً المقصود وادي رانوناء، وحرة العصبة مشى فيها عبد القدوس الأنصاري عندما كانت ماتزال على وضعها القديم، وحدد موضع الصفاصف بالقول «ومن هذا الجبل يفيض (يعني رانوناء) على قرين صريحة(ضرطة)، فالسد الموصوف آنفاً (سد الرانوناء)، فالعرصة بعده فالصفاصف فالصخور فأرض العصبة ...»[2].

كل هذه الأوصاف تجعلنا نعتقد أن الصفاصف أرض واسعة نسبياً في بداية حرة العصبة، وقبل أن يستبطنها الوادي؛ ويمكن تحديد المكان اليوم بأنه قريب من تقاطع الدائري الثاني مع طريق العباس بن عبادة (طريق الممشى).

ووجود هذا السوق في هذا المكان القصي، يدل على أنه كان سوقاً محلياً، الغرضُ منه خدمة أهل تلك الناحية من قبائل الأوس وحلفائهم.

سوق زَبالة:

ذكرها ابن شبة، فقال: «.. وكان بالمدينة في الجاهلية سوق بزبالة من الناحية التي تدعى يثرب».

وسبق أن تم تحديد الناحية التي تدعى يثرب بأنها شمال المدينة، وحدد السمهودي مكان زبالة بالنسبة للمدينة والناحية التي تدعى يثرب، فقال: «زَبالة: شمالي المدينة، بينها وبين يثرب، كان لأهلها أطمان، وهما اللذان عند كومة أبي الحمراء»[3].

(١) وفاء الوفا ج٤ ص٣٨٠ تحقيق السامرائي.

(٢) عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة، ص٢٣٢ .

(٣) السمهودي، وفاء الوفا ج٤ ص١٣٨ ط دار الكتب العلمية.

وكومة أبي الحمراء آخر بطن مهزور، ثم تصب في قناة[1].

وفي عمدة الأخبار تحديد أوضح فيقول العباسي[2] «زبالة: أول يثرب مما يلي شام المدينة عند كومة أبي الحمراء سميت بذلك لحفظها الماء»

هذا التحديد يجعلنا نرجح أن السوق في مكان قريب من تقاطع الدائري الثاني (طريق الملك عبد الله) مع طريق العيون.

وجود هذا السوق في هذا الموضع، الظاهر أنه لخدمة بعض بطون قبائل الخزرج مثل بني حارثة، وبني عبيد، ويهود حسيكة، وسكان يثرب القديمة، وهي سوق محلية مثلها مثل سوق الصفاصف ومزاحم.. والله أعلم.

سوق نقيع الخضمات

هذا الموضع يخلط كثير من المؤرخين وأصحاب الحديث بينه وبين وادي النقيع الذي فيه الحمى. فنقيع الخضمات موضع داخل حرم المدينة المنورة، وأفضل من حدد موقعه هو السمهودي. فقال، بعد أن ذكر أقوالاً في تحديد الموضع: « الصواب أنه بهزم النبيت من حرة بني بياضة وهي الحرة الغربية التي بها قرية بياضة قبليّ بني سلمة؛ ولذا قال النووي: أنها قرية قريب المدينة على ميل من منازل بني سلمة، قاله الإمام أحمد كما نقله الشيخ أبو حامد»[3]. وهذا التحديد يجعل نقيع الخضمات في الحيّ المسمى الآن حيّ الدويمة الذي تشرف عليه من الجنوب قلعة قباء، وشماليها منخفض في الحرة وهذه هي حرة بني بياضة، والهزم يعني منخفضاً من الأرض، والنبيت اسم يطلق على بطون من قبيلة الأوس من الأنصار.

(١) المصدر السابق، ٤/ ١٣٨.

(٢) أحمد بن عبد الحميد العباسي الهاشمي السندي جاور في المدينة، من أهل القرن الحادي عشر، ألف كتابه هذا عام ١٠٣٥، (الرحلة الهندية للمراد آبادي ص١٠٩).

(٣) خلاصة الوفاء ج٢ ص ٣١٩.

وفي البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال أخبرني أبو حميد الساعدي قال أتيت النبي ﷺ بقدح لبنٍ من النقيع ليس مخمراً فقال: «ألا خمرته ولو تعرض عليه عوداً»[1]. خمرته يعني: غطيته.

وتقديم اللبن من النقيع في إناء للنبيّ ﷺ يدل على قرب موضع النقيع من المسجد النبوي، ويُستبعد أن يقدم له اللبن من نقيع الحمى البعيد عن المدينة بثلاث مراحل يكون فيها اللبن قد فسد، فالمقصود هنا هو نقيع الخضمات وليس نقيع الحمى.

قلت: النقيع (نقيع الخضمات) موضع تباع فيه الغنم، وهو من الأسواق التي استمرت عامرة حتى القرن الثاني للهجرة، يدل على ذلك قول ابن زبالة وهو يصف منازل بني بياضة: « والسرارة: ما بين أرض ابن أبي قليع إلى منتهى الحماضة، وما بين الأطم الذي يقال له اللواء إلى الجدار الذي يقال له بيوت بني بياضة، والجدار الذي بناه زياد بن عبيد الله لبركة السوق وسط السرارة»[2].

والسوق المراد هنا هو سوق نقيع الخضمات في وسط منازل بني بياضة.

وفي سنن أبي داود: أن امرأة دعت النبي فجاء وجيء بالطعام فوَضَع يده، ثم وضع القوم، فأكلوا، فَفَطَنَ آباؤنا ورسول الله ﷺ يلُوكُ لقمة في فمه، ثم قال: أجدُ لحم شاة أُخذت بغير إذن أهلها، فأرسلت المرأة تقول: يا رسول الله، إني أرسلت إلى النَّقِيع - وهو موضع تُباعُ فيه الغنم - لتشتَري لي شاة، فلم توجد، فأرسلت إلى جارٍ لي قد اشترى شاة: أن يرسل بها إليَّ بثمنها، فلم يوجد، فأرسلتُ إلى امرأته، فأرسلتْ إليَّ بها، فقال رسولُ الله ﷺ: «أطعمي هذا الطعام الأسْرَى». أخرجه أبو داود[3].

---

(١) صحيح مسلم، باب في شرب النبيذ وتخمير الإناء.

(٢) أخبار المدينة، محمد بن الحسن ابن زبالة، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح عبد العزيز زين سلامة، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

(٣) ٢أخرجه أبو داود رقم (٣٣٣٢) في البيوع، باب في اجتناب الشبهات، وإسناده صحيح، ورواه أيضاً البيهقي، ولفظ الحديث إلى البيهقي أقرب.

الحالة الاجتماعية

كانت قبائل الأوس و الخزرج قد هاجرت و استقرت في المدينة قبل الهجرة النبوية بحوالي ٣٠٠ سنة[١]، ونزلوا على قبائل يهودية استوطنت أجود بقاع المدينة قبلهم بحوالي ٢٠٠ سنة[٢]، لذلك فقد عانوا شظف العيش، وأساء اليهود جيرتهم، واستعلوا عليهم، ونقضت اليهود عهد الحلف والجوار الذي كان بينهم، وتسلطت عليهم، فاستعان الأوس والخزرج بأحد قربائهم مِنْ مُلُوكِ غَسّان يُقَالُ لَهُ أَبُو جُبَيْلَةَ، وَاسْمُهُ عُبَيْدُ بْنُ سَالِم بْنِ مَالِكِ بْنِ سَالِمٍ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي غَضْبِ بْنِ جُشَمَ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَدْ مَلَكَهُمْ وَشَرُفَ فِيهِمْ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَلِكًا وَإِنَّمَا كَانَ عَظِيمًا عِنْدَ مَلِكِ غسَّانَ، وَهُوَ الصَّحِيحُ، لِأَنَّ مُلُوكَ غَسَّانَ لَمْ يُعْرَفْ فِيهِمْ هَذَا، وَهُوَ أَيْضًا مِنَ الْخَزْرَجِ عَلَى مَا ذُكِرَ، فجاءه مالك بن العجلان السالمي الخزرجي، وطلب منه النصرة على يهود المدينة لأنهم قد بغوا عليهم وأهانوهم.

فَسَارَ مِنَ الشَّامِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْيَمَنَ، حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ بِذِي حُرُض (موضع قرب أحد)، وَأَعْلَمَ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى وُجُوهِ الْيَهُودِ يَسْتَدْعِيهِمْ إِلَيْهِ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ، فَأَتَاهُ أَشْرَافُهُمْ فِي حَشَمِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بِبَابِهِ أَمَرَ بِهِمْ فَأُدْخِلُوا رَجُلًا رَجُلًا وَقَتَلَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ. فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ صَارَتِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أَعَزَّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَشَارَكُوا الْيَهُودَ فِي النَّخْلِ وَالدُّورِ»[٣].

(١) د. محمد بيومي مهران تاريخ العرب القديم ص٤٠٨.

(٢) المصدر السابق، ص٤٠١.

(٣) السمهودي، خلاصة الوفا ج١ ص٥٢٦ تحقيق د. محمد الأمين الجكني، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج١ ص٥٨٥ ط دار الكتاب العربي -بيروت.

سيطرة الأوس والخزرج على المدينة(يثرب)

أدت هذه الأحداث إلى جلاء قسم كبير من القبائل اليهودية من المدينة؛ منهم بنو ثعلبة قوم «الفطيون»، وبنو زاعورا، وبنو محمم، وبنو ماسكة، وبنو القصيص، وبنو ناغصة، وبنو القمعة، وبنو زيد اللات، وبنو عكوة، وبنو مرانة، وأهل حسيكة، وأهل يثرب، وأهل الجوانية، وأهل الوالج، والشوط وزَبالة، وأهل حرة زهرة، وغيرهم[1].

نقل الفيروزآبادي عن الزبير بن بكار قوله « قال الزُّبير: كانت زُهرةُ أعظمَ قرية بالمدينة، وكان بِها جُمَّاعٌ من اليهود، وقد بادوا، وكان فيها ثلاث مائة صائغ»[2].

طبعًا؛ هذا الخروج لم يكن دفعة واحدة، ولكن كان على شكل موجات متتالية، فلم يتبق من اليهود في المدينة بعد سيطرة الأوس والخزرج عليها سوى الثلاث القبائل المعروفة؛ النضير وقريظة وقينقاع، مع من انضم إليهم ممن بقي من أفراد القبائل الأخرى التي خرجت، وجاء الإسلام وهم على هذه الحالة.

حروب الأوس والخزرج

لم تترك اليهود الأوسَ الخزرج تهنأ بانتصارها، فاتخذ اليهود سياسة تقوم على الإيقاع بين المنتصرين، وإثارة العصبية منهم، كلما جنحوا إلى النسيان وتعاهدوا على الصلح والأمان. ومن ثم فقد عملت يهود في إذكاء روح التحاسد والتباغض التي بدأت تظهر في سماء العلاقات بين الحيين العربيين

(١) وفاء الوفا، ١/ ١٣٠.

(٢) المغانم المطابة في معالم طابة، الفيروزآباديّ، ٢/ ٣١٧، الناشر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

الشقيقين، حتى يشعلوا نارا، إن لم تقض على الأوس والخزرج معا، فعلى الأقل تشغل كل فريق بالآخر، وتنتهز يهود الفرصة استعدادًا لجولة قادمة، أو على الأقل الحفاظ على الوضع الراهن.

فبدؤوا يدبرون المكائد، ويحيكون لهم الدسائس، ويؤلبون بعضهم على بعض، وساعدهم على تنفيذ مخططهم انتشار العصبية القبلية المقيتة بين أفراد القبيلتين، والتنافس على الزعامة، ونفورهم من التوحد تحت قيادة واحدة، إلى أن استحكمت العداوة والبغضاء بين جذمي بني قيلة (الأوس والخزرج).

وفي هذه الأجواء يصبح أقل حدث صغير يمكن أن يؤدي إلى حرب شعواء لا تبقي ولا تذر، وهذا ما حدث فعلاً.

فقد حقق اليهود نجاحًا بعيد المدى في مآربهم، وجاءت النتائج سريعة.

نقل السمهودي قول رزين: «أن الأوس والخزرج لبثوا بالمدينة ما شاء الله وكلمتهم واحدة، ثم وقعت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة حتى لم يسمع قط في قوم أكثر منها ولا أطول»[1].

فما لبثت أن دقت طبول الحرب بين الفريقين، تناوب فيها الأوس والخزرج النصر والهزيمة، وكما يقال « يمكن أن تبدأ الحرب متى شئتَ، لكن لا يمكنك إنهاءها متى شئت»، وكلها كانت لأسباب تافهة، وكانت أول حرب شاملة بينهم تسمى (حرب سُمَيْر).

واستمرت الحرب سجالاً بينهم مائة وعشرين سنة، إلى أن جاء الإسلام[2]، كان من أهمها ما عرف بحرب سمير، وحرب كعب بن عمرو المازني، وحرب حاطب بن قيس، فضلا عن يوم السرارة، ويوم فارع، ويوم

(١) السمهودي وفاء الوفا ج١ ص١٦٥ ط دار الكتب العلمية-بيروت.

(٢) السمهودي وفاء الوفا ج١ ص١٧٠.

الفجار الأول والثاني، وحرب الحصين ابن الأسلت، ثم حرب بعاث، وكانت هذه آخر الحروب بينهم قبل الهجرة بخمس سنوات، «٦١٧م»[١].

ولم يقتصر الأمر على الحروب بين الجذمين (الأوس والخزرج)، ولكنها انتقلت إلى الحرب بين القبيلة الواحدة؛ فهناك حرب بين بني جحجبا وبني عمرو بن عوف، وبين بني عبد الأشهل وبني حارثة، وكلهم من الأوس[٢]، وحروب أخرى في الخزرج، بين بني بياضة وبني زريق، حتى وصل إلى حد التفاني، كما حصل من بعض بطون الخزرج، بأن دخلوا في حديقة وأقفلوها عليهم، ثم اقتتلوا حتى لم يبق منهم عين تطرف، فسميت الحديقة «حديقة الموت»[٣]

تاريخ بداية الحروب ونهايتها

تتفق المصادر العربية على أن بداية الحروب الفعلية بين الأوس والخزرج هي (حرب سُمير)، وسنتحدث باختصار عن هذه الحرب لعلنا أن نستخلص من بين أحداثها تحديداً لتاريخ بداية الحروب بين الأوس و الخزرج، قبل أن يمن الله عليهم بالرحمة المهداة، والنعمة المسداة صلى الله عليه و سلم، فهاجر إليهم، فبركته تآلفت القلوب، وصفت النيات، ولم يكن ذلك ممكنا مهما كانت المغريات، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤].

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) سورة الأنفال الآية ٦٣.

حرب سُمير

تحدث ابن الأثير في تاريخه عن هذه الحرب فقال «وَلَمْ يَزَلِ الأَنْصَار عَلَى حَالِ اتِّفَاقٍ وَاجْتِمَاعٍ، وَكَانَ أَوَّلُ اخْتِلَافٍ وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَحَرْبٌ كَانَتْ لَهُمْ حَرْبَ سُمَيْرٍ.

وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ يُقَالُ لَهُ كَعْبُ بْنُ الْعَجْلَانِ نَزَلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ السَّالِمِيِّ فَحَالَفَهُ وَأَقَامَ مَعَهُ. فَخَرَجَ كَعْبٌ يَوْمًا إِلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَرَأَى رَجُلًا مِنْ غَطَفَانَ مَعَهُ فَرَسٌ وَهُوَ يَقُولُ: لِيَأْخُذْ هَذَا الْفَرَسَ أَعَزُّ أَهْلِ يَثْرِبَ. فَقَالَ رَجُلٌ: فُلَانٌ. وَقَالَ رَجُلٌ آخَرُ: أُحَيْحَةُ بْنُ الْجُلَاحِ الْأَوْسِيُّ. وَقَالَ غَيْرُهُمَا: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ الْيَهُودِيُّ أَفْضَلُ أَهْلِهَا. فَدَفَعَ الْغَطَفَانِيُّ الْفَرَسَ إِلَى مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ. فَقَالَ كَعْبٌ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ حَلِيفِي مَالِكًا أَفْضَلُكُمْ؟ فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْأَوْسِ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يُقَالُ لَهُ سُمَيْرٌ وَشَتَمَهُ وَافْتَرَقَا، وَبَقِيَ كَعْبٌ مَا شَاءَ اللهُ

ثُمَّ قَصَدَ سُوقًا بِقُبَاءٍ فَقَصَدَهُ سُمَيْرٌ وَلَازَمَهُ حَتَّى خَلَا السُّوقُ فَقَتَلَهُ. وَأُخْبِرَ مَالِكُ بْنُ الْعَجْلَانِ بِقَتْلِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يَطْلُبُ قَاتِلَهُ، فَأَرْسَلُوا: إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ قَتَلَهُ. وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ، هُوَ يَطْلُبُ سُمَيْرًا وَهُمْ يُنْكِرُونَ قَتْلَهُ، ثُمَّ عَرَضُوا عَلَيْهِ الدِّيَةَ فَقَبِلَهَا. وَكَانَتْ دِيَةُ الْحَلِيفِ فِيهِمْ نِصْفَ دِيَةِ النَّسِيبِ مِنْهُمْ. فَأَبَى مَالِكٌ إِلَّا أَخْذَ دِيَةٍ كَامِلَةٍ وَامْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: نُعْطِي دِيَةَ الْحَلِيفِ، وَهِيَ النِّصْفُ. وَلَجَّ الْأَمْرُ بَيْنَهُمْ حَتَّى آلَ إِلَى الْمُحَارَبَةِ، فَاجْتَمَعُوا وَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا وَافْتَرَقُوا. وَدَخَلَ فِيهَا سَائِرُ بُطُونِ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ الْتَقَوْا مَرَّةً أُخْرَى وَاقْتَتَلُوا حَتَّى حَجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، وَكَانَ الظَّفَرُ يَوْمَئِذٍ لِلْأَوْسِ.

فَلَمَّا افْتَرَقُوا أَرْسَلَتِ الْأَوْسُ إِلَى مَالِكٍ يَدْعُونَهُ إِلَى أَنْ يُحَكِّمَ بَيْنَهُمُ الْمُنْذِرَ بْنَ حَرَامٍ النَّجَّارِيَّ الْخَزْرَجِيَّ جَدَّ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ. فَأَجَابَهُمْ

إِلَى ذَلِكَ، فَأَتَوُا الْمُنْذِرَ، فَحَكَمَ بَيْنَهُمُ الْمُنْذِرُ بِأَنْ يَدُوا كَعْبًا حَلِيفَ مَالِكٍ دِيَةَ الصَّرِيحِ ثُمَّ يَعُودُوا إِلَى سُنَّتِهِمُ الْقَدِيمَةِ، فَرَضُوا بِذَلِكَ وَحَمَلُوا الدِّيَةَ وَافْتَرَقُوا، وَقَدْ شَبَّتِ الْبَغْضَاءُ فِي نُفُوسِهِمْ وَتَمَكَّنَتِ الْعَدَاوَةُ بَيْنَهُمْ»[1].

نستخلص من هذا النص، ونص آخر ورد في كتاب الأغاني: أنهم حكّموا عمرو بن امرئ القيس جد عبد الله بن رواحة[2].

الشخصيات الواردة في الرواية؛ مالك بن العجلان السالمي الخزرجي سيد الخزرج، والمنذر بن حرام النجاري، وعمرو بن امرئ القيس الحارثي، اللذان وُصفا بأنهما جدان للصحابيين حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد النجاري الخزرجي، وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الحارثي الخزرجي رضي الله عنهما.

ورود هذه الشخصيات في حرب سمير، وهي أول الحروب نخرج منها بعدة استنتاجات:

١- أن الحرب استعرت بين الحيين (الأوس والخزرج) بُعيد انتصارهم على اليهود، لأن مالك بن العجلان السالمي الخزرجي هو من استنصر بغسان على يهود المدينة، وكان السبب في غلبة الأوس والخزرج، وجلاء كثير من يهود المدينة، وإحلال قومه منازلهم، كما مر معنا.

٢-أن الحروب والمناوشات بدأت في عهد الجد الأول للصحابي حسان بن ثابت، والجد الثالث لعبد الله بن رواحة.

٣-تخبرنا المصادر عن السبب في هذا التفاوت في درجة الجدود بين حسان وعبد الله بن رواحة؛ ذلك أن حسان عاش مائة وعشرين سنة، منها ستون

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج١ص٥٨٦.

(٢) الأغاني، ج١ص٢١ ط دار الفكر- بيروت.

سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، ويقال إن هذا العمر المديد متسلسل في أبيه وجده[1].

٤-القاعدة الخَلْدونية (نسبة إلى ابن خلدون) في علم النسب؛ أن كل ثلاثة أجيال تستغرق مائة سنة[2]، إذا طبقناها على جدود حسان نجدها لا تنطبق، لأنه حالة استثنائية، لكن سلسلة نسب عبد الله بن رواحة، تكاد تتوافق مع قول المؤرخين أن الحرب بين الأوس والخزرج استمرت مائة وعشرين سنة.

في هذه المدة أحصى المؤرخون ثلاثة عشر حربًا، بالإضافة إلى المناوشات والحروب الصغيرة الأخرى، التي كلما هدأت في حي من أحيائهم، اشتعلت في حي آخر، وكانت أشنع هذه الحروب وأشرسها حرب «بعاث»، وهي أيضًا آخر هذه الحروب الكبيرة قبل أن يبدد نور الإسلام ظلام هذه الجهالات، ويحولهم خلقًا أخر.

ونتحدث هنا بإيجاز عن هذه الحرب، لأنه «كان لها ما بعدها»، فقد أثرت نتيجتها بشكل مباشر على قبول قبائل الأوس والخزرج دعوة النبي ﷺ لهم للدخول في الدين الحنيف.

يوم بعاث

وكان سببه أن الحروب المتقدمة كلها كان الظفر في أكثرها للخزرج على الأوس، حتى ذهبت الأوس لتحالف قريظة؛ فأرسلت إليهم الخزرج: لئن فعلتم فآذنوا بحرب، فتفرقوا وأرسلوا إلى الخزرج: إنا لا نحالفهم ولا ندخل بينكم. فقالت الخزرج لليهود: فأعطونا رهائن وإلا فلا نأمنكم. فأعطوهم أربعين غلامًا من بينهم، ففرقهم الخزرج في دورهم. فلما أيست الأوس من

(١) الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة ج٢ص٨٤٥ ط: دار الوطن-الرياض .

(٢) السيوطي، نظم القعيان في أعيان الأعيان، ج١ص١٣٨ ط: المكتبة العلمية -بيروت.

نصرة اليهود حالفت بطونًا مِن الخزرج، منهم بنو عمرو بن عوف، وقال سائرهم: والله لا نصالح حتى ندرك ثأرنا، فتقاتلوا وكثر القتل في الأوس لما خذلهم قومهم، وجُرح سعد بن معاذ الأشهلي فأجاره عمرو بن الجموح الحرامي. فلما رأت الأوس أنهم إلى قلّة عزموا على أن يكونوا حلفًا للخزرج في المدينة، ثم اشتوروا في أن يحالفوا قريشا، فأظهروا أنهم يريدون العمرة، وكان بينهم أن من أراد حجًا أو عمرة لم يُعرض له، فأجار أموالهم بعدهم البراء بن معرور الخزرجي، فأتوا مكة فحالفوا قريشًا. لكن الوليد بن المغيرة قال لقريش: والله ما نزل قوم قط على قوم إلا أخذوا شرفهم، وورثوا ديارهم، فاقطعوا حلف الأوس، فقال: بأي! قال: بأي شيء؟ قال: إن في القوم حمية، قولوا لهم إنا نسينا شيئًا لم نذكره لكم، إنا قوم إذا كان النساء بالبيت، فرأى الرجل امرأة تعجبه قبلها ولمسها بيده؛ فلما قالوا ذلك للأوس نفرت، وقالوا: اقطعوا الحلف بيننا وبينكم، فقطعوه، فلما لم يتم لهم الحلف ذهبت النبيت أو بعضهم إلى خيبر.

فلما رأت الخزرج أن قد ظفرت بالأوس، افتخروا عليهم في أشعارهم، وقال عمرو بن النعمان البياضي الخزرجي: يا قوم إن بياضة بن عمرو قد أنزلكم منزل سوء بين سبخة ومفازة، والله لا يمس رأسي غسل حتى أنزلكم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكريم النخل. ثم راسلهم: إما أن تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها أو نقتل رهنكم، فهمّوا أن يخرجوا من ديارهم.

وبلغ من كان في المدينة من الأوس، فمشوا إلى كعب بن أسد القرظي فدعوه إلى المحالفة على الخزرج، ثم تحالفوا مع قريظة والنضير ثم أجمعوا أن ينزل كل أهل بيت من النبيت (بعض قبائل الأوس) على بيت من قريظة والنضير، وأرسلوا إلى النبيت يأمرونهم بإتيانهم وتعاهدوا ألا يسلموهم أبدًا

وأن يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم أحد، فجاءتهم النبيت فنزلوا مع قريظة والنضير، فأخذت الخزرج في قتل الرهن، فقال لهم كعب بن أسد القرظي: إنما هي ليلة ثم تسعة أشهر وقد جاء الخلف. ثم أرسل إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج فأجابوهم إلى ذلك، فاجتمع الملأ منهم واستحكم أمرهم ودخلت بينهم قبائل من أهل المدينة. فلما سمعت بذلك الخزرج اجتمعوا وخرجوا حتى أتوا عبد الله بن أبي، فقالوا: مالك لا تقتل الرهن؟ فقال: لا أغدرهم أبدًا وأنتم البغاة، وقد بلغني أن الأوس تقول: منعونا الحياة فيمنعونا الموت؟ ووالله ما يموتون أو تهلكوا عامتكم. فقال عمرو بن النعمان: انتفخ والله سَحرك. فقال: إني لا أحضركم ولا أحد أطاعني أبدًا، ولكأني أنظر إليك قتيلًا يحملك أربعة في كساء. فاجتمع الخزرج ورأسوا عمرو بن النعمان.

ولبثت الأوس والخزرج ليلة يتصنعون للحرب، ويجمع بعضهم لبعض، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب؛ فأرسلت الخزرج إلى جهينة وأشجع فأقبلوا إليهم، وأرسلت الأوس إلى مزينة فجاءتهم، ثم التقت بعاث -وبعاث من أموال قريظة- فيها مزرعة يقال لها قوْرى[1]،

فكان النصر أول النهار للخزرج، ثم ثبت حُضير الكتائب-رئيس الأوس- فرجعوا، وكانت الدبرة على الخزرج، وقتل عمرو بن النعمان وجيء به يحمله أربعة كما قال له ابن أبيّ ووضعت الأوس فيهم السلاح، وصاح صائح: يا معشر الأوس اسجحوا ولا تهلكوا إخوانكم فجوارهم خير من جوار الثعالب، فتناهت الأوس وكفت عن سلبهم بعد إثخان فيهم، وسلبتهم قريظة والنضير.

(١) كسكرى، تقدم في بعاث، والظاهر أنه الحائط المعروف اليوم بقوران شرقي المدينة أسفل الدلال، لما سبق في بعاث (السمهودي).

وجعلت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها، فخرج سعد بن معاذ الأشهلي حتى وقف على باب بني سلمة أجارهم وأموالهم، جزاء لهم بيوم الرعل وكان للخزرج على الأوس، وكان سعد بن معاذ حمل يومئذ جريحًا إلى عمرو بن الجموح فمن عليه وأجاره وأخاه يوم الرعل، وأجار أموالهم من القطع والحرق فكافأه سعد بمثل ذلك يوم بعاث.

وحلفت اليهود لتهدمن حصن عبد الله بن أبي، فلما أحاطوا بالحصن، قال لهم عبد الله: أما أنا فلم أحضر معهم، وهؤلاء أولادكم عندي فإنني لم أقتل منهم أحدًا، ونهيت الخزرج فعصوني. وكان جل من عنده من الرهن من أولاد بني النضير، ففرحوا حين سمعوا بذلك فأجاروه من الأوس ومن قريظة، فأطلق أولادهم وحالفهم، ولم يزل حتى ردهم حلفاءَ للخزرج بحيل تحيلها، ثم بعد أيام قلائل مات حُضير الكتائب من جراحة بالغة أصيب بها[1].

نتائج حرب بعاث

كان من نتيجة هذه المعركة أن قتل عدد كبير من سروات القوم وأشرافهم ورؤسائهم، وعلى رأسهم زعيما الأوس والخزرج حضير الكتائب بن سماك الأشهلي الأوسي وعمرو بن النعمان البياضي الخزرجي، وأصيبت ممتلكاتهم بأذى عظيم، مما أضعف الطرفين، وأوهن قواهما، وحملهما قسراً على التفكير بالتماس أنجع الوسائل لتجاوز هذه الخلافات ومسح آثارها وإبدالها بما يجمع القلوب ويغمرها بالمحبة والسلام، وخصوصاً أنهم رأوا أن الرابح الأكبر من هذه الحرب هم اليهود، فقد خرجوا منها أقوى مما كانوا بإضعاف أعدائهم الحقيقيين، لذلك نجد أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، تقول: «كَانَ يَوْمُ بُعَاثَ، يَوْمًا قَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) الأغاني ج١٧ ص ١٢٢، البلاذري ج١ ص٦٠١، د. أحمد الشريف مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ج١ ص٢٧٥.

وَسَلَّمَ، فَقدِم رَسُولُ الله ﷺ وَ قَدِ افْتَرَقَ مَلَؤُهُمْ، وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجُرِّحُوا، فَقَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي دُخُولِهِمْ فِي الإِسْلاَمِ»[1]

كان من آثار تقديم هذه الحرب، أن قتل فيها من أكابر الأوس والخزرج من كان لا يُؤمَن أنه يتكبر ويأنف أن يدخل في الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره، وقد كان بقي منهم من هذه صفته؛ عبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجي، وأبو عامر الفاسق(الراهب)بن صيفي بن زيد مناة الأوسي، وقصتهما مشهورة في معاداة الإسلام.

و صدق رسول الله ﷺ، حينما جمع الأنصار يوم حنين، وخطب فيهم، فقال: «..أَلَمْ آتِكُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي، أَلَمْ آتِكُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟..»[2]

المدينة تتهيأ للحدث العظيم (الهجرة النبوية الميمونة)

بينما كان المجتمع العربي في المدينة غارقاً في هذه الحالة من التنافر والتباغض الاجتماعي، و محاولة كل فريق أن تكون له اليد العليا في المدينة (يثرب)، والتنافس غير المحمود على الزعامة.. قام بعض العقلاء من كلا الحيين (الأوس والخزرج) بالسعي في لمّ شعث قومهم، وجمع شتاتهم، وواتت بعضهم الفرصة العظيمة في موسم حج سنة إحدى عشرة من البعثة النبوية، حيث مرّ رسول الله ﷺ بعقبة مِنى برجال من أهل المدينة، كلهم من الخزرج، فكلمهم وعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن، فوافق كلامه ما في نفوسهم من الصفة التي كان يذكرها اليهود للنبي الذي سيبعث، فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله يا قوم إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فأسرعوا إلى إجابة دعوته وأسلموا.

---

(١) صحيح البخاري ح٣٧٧٧.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير، ج٣ص٦٧٤ ط دار المعرفة-بيروت.

وكان عدد الرجال ستة، منهم أسعد بن زرارة، ورافع بن مالك بن العجلان وجابر بن عبد الله بن رئاب ... ولما رجعوا إلى المدينة حملوا إليها رسالة الإسلام، وانتشر ذكر رسول الله ﷺ في بيوت المدينة.

بيعة العقبة الأولى

وفي موسم حج سنة اثنتي عشرة من البعثة، جاء اثنا عشر رجلاً من أهل المدينة، فيهم اثنان من الأوس، واتصل هؤلاء برسول الله ﷺ عند العقبة بمِنى، فبايعوا رسول الله ﷺ، بيعة العقبة الأولى.

وأرسل معهم مصعب بن عمير ليعلم المسلمين شرائع الإسلام.

بيعة العقبة الثانية

موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء مناسك الحج بضعة وسبعون نفساً من المسلمين من أهل يثرب جاءوا في حجاج قومهم من المشركين فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ اتصالات سرية أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يجتمعوا في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى وتمت البيعة بين رسول الله ﷺ ووفد المسلمين، وجاء في بنودها، التي رواها الإمام أحمد عن جابر: قلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال:

١ - على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

٢ - وعلى النفقة في العسر واليسر.

٣ - وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ - وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم.

٥ - وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم وتمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم

وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة ... وبعد أن تمت البيعة طلب رسول الله انتخاب اثني عشر زعيماً يكونون نقباء على قومهم يكفلون المسؤولية عنهم في تنفيذ البيعة. فتم انتخابهم في الحال، وكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس[1].

أصبح الطريق الآن ممهداً لانتقال المسلمين بدينهم من عسف كفار قريش وبطشهم، وصد قبائل العرب عن اعتناق الدين الحنيف، إلى بلد يجدون فيه المنعة والقوة والحرية في دعوة الناس إلى الخروج من ربقة عبادة الأوثان إلى عبادة الله عز وجل.

وعندما اشتد البلاء على المسلمين، استأذنوا الرسول ﷺ في الهجرة من مكة، فأذن لهم.

قال ابن إسحاق «أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنْ مَعَهُ بِمَكَّةَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، بِالْخُرُوجِ إلَى الْمَدِينَةِ وَالْهِجْرَةِ إلَيْهَا، وَاللُّحُوقِ بِإِخْوَانِهِمْ مِنْ الْأَنْصَارِ، وَقَالَ: إنَّ اللهَ ﷻ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا. فَخَرَجُوا أَرْسَالا[2]»[3].

بعد هذه الهجرة الجماعية للمسلمين من مكة إلى المدينة لم يتبق مع النبي ﷺ من أصحابه سوى أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أو من حُبس أو فُتن من قبل المشركين[4]، في انتظار الحدث الأعظم (هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة).

---

(١) محمد شراب، المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي، ج١ ص٩٩ ط دار القلم -دمشق

(٢) أرسالًا: يعني جماعات

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، الإذن بالهجرة

(٤) المرجع السابق ج٢ ص٨٩

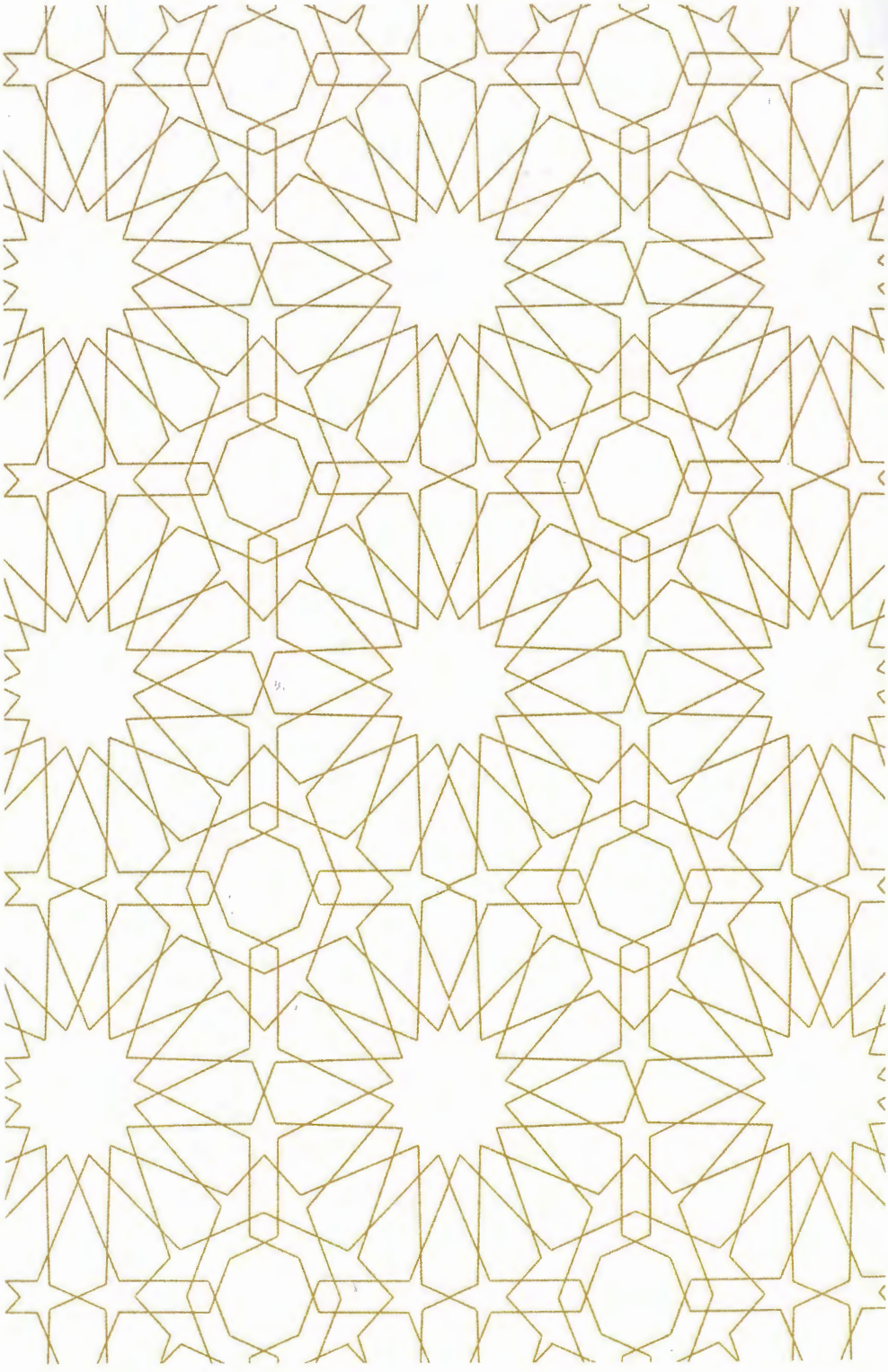

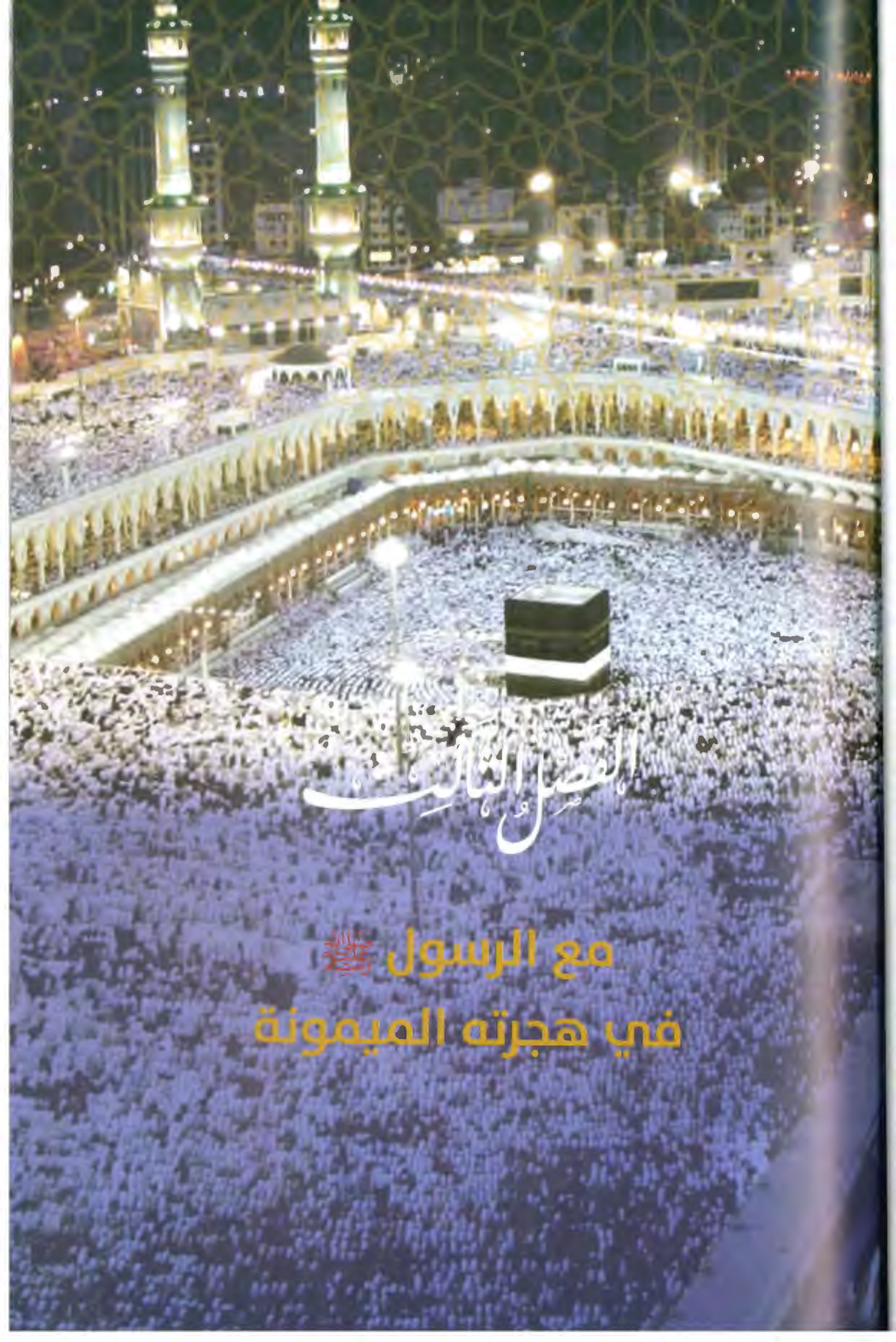

الفصل الثالث

مع الرسول ﷺ
في هجرته الميمونة

نحن الآن في السنة الرابعة عشرة من البعثة النبوية[1]، وبالتحديد في أواخر شهر صفر، وقد مضى على بيعة العقبة الثانية أكثر من شهرين، وأذِن النبي ﷺ للمسلمين أن يهاجروا إلى المدينة، فتوجهوا إليها زرافات ووحدانًا، ولم يبق سوى النبي ﷺ وأبو بكر وعلي رضي الله عنهما، وعدد قليل من المستضعفين، والمفتونين.

الإذن للنبي ﷺ بالهجرة

أراد أبو بكر رضي الله عنه الهجرة مثل بقية الصحابة، لأنه كان يعتقد أن النبي ﷺ لا يفارق مكة، فتجهز للهجرة، فلما رآه النبي ﷺ على تلك الحالة قال له: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ»[2]

وقفة تأمل: في حديث البخاري الآنف الذكر لفتة لطيفة تستحق وقفة تأمل؛ وهي أن الراحلتين بقيتا عند أبي بكر (أربعة أشهر)، رغم أن المدة بين بيعة العقبة الثانية والإذن بالهجرة لا يتجاوز شهرين ونصف، في هذا إشارة إلى أن النبي ﷺ تلقى وحيًا إلهيًا بأن قريش لن تستجيب للدعوة، وأن هناك حدث مهم سيحدث، وهو الهجرة إلى بلد آخر أريه في المنام «أُرِيتُ دار هجرَتِكم ذاتَ نخل بينَ لابَتَيْنِ»[3].

بقي أبو بكر الصديق رضي الله عنه يتربص متى يحين الموعد المأمول، حتى إذا كان في يوم قائظ من أواخر أيام شهر صفر (أوائل شهر سبتمبر ٦٢٢م)، قيل له هذا نبي الله يستأذن في الدخول..

---

(١) السيرة الحلبية، ج٣ ص٥٢١ دار الكتب العلمية-بيروت

(٢) صحيح البخاري ج١ ص٩٨ ط١ ت محمد زهير الناصر

(٣) المرجع السابق (باب هجرة الحبشة)

لندع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تحدثنا بما شاهدت و سمعت في هذا اللقاء المفاجئ المبهج» عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ لَا يُخْطِئُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيْ النَّهَارِ، إِمَّا بُكْرَةً، وَإِمَّا عَشِيَّةً، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي أُذِنَ فِيهِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ، وَالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَيْ قَوْمِهِ، أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ، فِي سَاعَةٍ كَانَ لَا يَأْتِي فِيهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: مَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ. قَالَتْ: فَلَمَّا دَخَلَ، تَأَخَّرَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ عَنْ سَرِيرِهِ، فَجَلَسَ رَسُولُ للهِ ﷺ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا أَنَا وَأُخْتِي أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، وَمَا ذَاكَ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهِجْرَةِ. قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الصُّحْبَةَ.

قَالَتْ: فو الله مَا شَعُرْتُ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ هَاتَيْنِ رَاحِلَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتهمَا لِهَذَا. فَاسْتَأْجَرَا عَبْدَ اللهِ بْنَ أَرْقَطِ- رَجُلًا مِنْ بَنِي الدُّئَلِ بْنِ بَكْرٍ، وَكَانَتْ أُمُّهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَهْمِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ مُشْرِكًا- يَدُلُّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، فَكَانَتَا عِنْدَهُ يَرْعَاهُمَا لِمِيعَادِهِمَا»[1].

وحانت ساعة (الصفر)، ليلة الاثنين، الأول من شهر ربيع الأول (١٣ سبتمبر عام ٦٢٢) لميلاد المسيح عليه السلام.

على الطرف الآخر، كان الملأ من زعماء قريش وكبرائها يتنادون للاجتماع في دار الندوة للتشاور فيما ينبغي فعله للقضاء على الدعوة قضاءً مبرماً.

(١) صحيح البخاري، السيرة لابن هشام.

مؤامرة الملأ من قريش

شعر كفار قريش أنهم قد بدؤوا يفقدون سيطرتهم على المسلمين، وخاصة على المستضعفين منهم، بعد أن اعتقدوا أنهم على وشك أن يئدوا هذا الدين الذي جاء به رسول منهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]. فأعدوا خطة شيطانية للتخلص من النبيّ ﷺ باغتياله وهو في فراشه.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ صَارَتْ لَهُ شِيعَةٌ وَأَصْحَابٌ مِنْ غَيْرِهِمْ بِغَيْرِ بَلَدِهِمْ، وَرَأَوْا خُرُوجَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ، عَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ نَزَلُوا دَارًا، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَنَعَةً، فَحَذِرُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعَ لِحَرْبِهِمْ. فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ- وَهِيَ دَارُ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ الَّتِي كَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تَقْضِي أَمْرًا إِلَّا فِيهَا- يَتَشَاوَرُونَ فِيهَا مَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حِينَ خَافُوهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَبِي الْحَجَّاجِ، وَغَيْرِهِ مِمَّنْ لَا أَتَّهِمُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا أَجْمَعُوا لِذَلِكَ، وَاتَّعَدُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ لِيَتَشَاوَرُوا فِيهَا فِي أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. غَدَوْا فِي الْيَوْمِ الَّذِي اتَّعَدُوا لَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يُسَمَّى يَوْمَ الزَّحْمَةِ، فَاعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، عَلَيْهِ بَتْلَةٌ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدَّارِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ وَاقِفًا عَلَى بَابِهَا، قَالُوا: مَنْ الشَّيْخُ؟

قَالَ: شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعَ بِالَّذِي اتَّعَدْتُمْ لَهُ، فَحَضَرَ مَعَكُمْ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ، وَعَسَى أَنْ لَا يُعْدِمَكُمْ مِنْهُ رَأْيًا وَنُصْحًا، قَالُوا: أَجَلْ، فَادْخُلْ، فَدَخَلَ مَعَهُمْ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا أَشْرَافُ قُرَيْشٍ، مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ،

(١) سورة الصف، الآية ٨.

وَشَيْبَةُ ابْن رَبِيعَةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ. وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ: طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ. وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ: النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ. وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى: أَبُو الْبَخْتَرِيِّ ابْن هِشَامٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ. وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ:

أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ. وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ: نُبَيْهٌ وَمُنَبِّهٌ ابْنَا الْحَجَّاجِ، وَمِنْ بَنِي جُمَحٍ:

أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا يُعَدُّ مِنْ قُرَيْشٍ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَإِنَّا وَاللهِ مَا نَأْمَنُهُ عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْنَا فِيمَنْ قَدْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا. قَالَ: فَتَشَاوَرُوا ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ، وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنْ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ، زُهَيْرًا وَالنَّابِغَةَ، وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ، مِنْ هَذَا الْمَوْتِ، حَتَّى يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: لَا وَاللهِ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ. وَاللهِ لَئِنْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لَيَخْرُجَنَّ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الَّذِي أَغْلَقْتُمْ دُونَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَلَأَوْشَكُوا أَنْ يَثِبُوا عَلَيْكُمْ، فَيَنْزِعُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ يُكَاثِرُوكُمْ بِهِ، حَتَّى يَغْلِبُوكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، فَانْظُرُوا فِي غَيْرِهِ، فَتَشَاوَرُوا.

ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: نُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَنَنْفِيهِ مِنْ بِلَادِنَا، فَإِذَا أخرج عنّا فو الله مَا نُبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ، وَلَا حَيْثُ وَقَعَ، إِذَا غَابَ عَنَّا وَفَرَغْنَا مِنْهُ، فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَأَلْفَتْنَا كَمَا كَانَتْ. فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: لَا وَاللهِ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، أَلَمْ تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ، وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ، وَغَلَبَتِهِ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ، وَاللهِ لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ مَا أَمِنْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَى حَيٍّ مِنْ الْعَرَبِ، فَيَغْلِبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحَدِيثِهِ حَتَّى يُتَابِعُوهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسِيرُ بِهِمْ إِلَيْكُمْ حَتَّى

يَأْتِكُمْ بِهِمْ فِي بِلَادِكُمْ، فَيَأْخُذَ أَمْرَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ يَفْعَلَ بِكُمْ مَا أَرَادَ، دَبِّرُوا فِيهِ رَأْيًا غَيْرَ هَذَا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ: وَاللهِ إِنَّ لِي فِيهِ لَرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدُ، قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ؟ قَالَ: أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَتًى شَابًّا جَلِيدًا نَسِيبًا وَسِيطًا فِينَا، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ فَتًى مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَيْهِ، فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَيَقْتُلُوهُ، فَنَسْتَرِيحَ مِنْهُ. فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا، فَرَضُوا مِنَّا بِالْعَقْلِ، فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ. قَالَ: فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: الْقَوْلُ مَا قَالَ الرَّجُلُ، هَذَا الرَّأْيُ الَّذِي لَا رَأْيَ غَيْرُهُ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمِعُونَ لَهُ[1].

ساعة الخروج

أنهى النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه استعدادهما، وإعدادهما لخطة الخروج من مكة، وتحديد الدليل الذي سيصحبهما إلى المدينة، والاتفاق على خطة السير، وعندما أصبح كل شيء جاهزاً، تواعدا للخروج في ساعة محددة، وفي نفس الوقت كان المتآمرون من كفار قريش يُجهّزون فريق الاغتيال، وإرساله إلى بيت النبي ﷺ استعداداً لتنفيذ الخطة.

فَلَمَّا كَانَتْ عَتَمَةٌ مِنَ اللَّيْلِ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْصُدُونَهُ مَتَى يَنَامُ، فَيَثِبُونَ عَلَيْهِ، أتى جبريل عليه السلام، وأخبر النبي ﷺ بما يحاك له، فقال: لَا تَبِتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تَبِيتُ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَانَهُمْ، قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هَذَا الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ، فَنَمْ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنَامُ فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ إِذَا نَامَ[2].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٤٨٠ ط ٢ تحقيق مصطفى السقا.
(٢) المرجع السابق ج١ ص٤٨٢.

وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده، وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، وجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات: يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إلى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[1].

حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً[2].

خرج النبي ﷺ إلى ميعاده مع صاحبه ورفيق دربه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فكان على الموعد.

يقول ابن إسحاق: «فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْخُرُوجَ، أَتَى أَبَا بَكْرِ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ لِأَبِي بَكْرٍ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى غَارٍ بِثَوْرٍ- جَبَلٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ- فَدَخَلَاهُ».[3]

لتبدأ من هناك أعظم وأبرك وأيمن رحلة في تاريخ البشرية.

تاريخ بدء الهجرة و تحديد المسار

قبل أن نبدأ بتحديد مسار طريق الهجرة النبوية يحسن أن نحدد تاريخ خروج النبي ﷺ من مكة المكرمة، والعوامل الرئيسة المؤثرة في اختيار الطريق التي لا شك أنهم أبلغوها للدليل، الذي سوف يقودهم في هذه الرحلة المحفوفة بعناية الله، رغم المخاطر التي تكتنفها، وقد علموا أن قريشاً قد رصدت جائزة عظيمة لمن يقبض عليهما أو يقتلهما.

(١) سورة يس، الآية٩.

(٢) مغلطاي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - ﷺ - والثلاثة الخلفاء، ج١ص٢٨٠ ط ١ دار الكتب العلمية.

(٣) سيرة ابن هشام.

أولاً: تاريخ الخروج من مكة:

المقصود بالخروج من مكة؛ أي خروج النبي ﷺ بصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من داره متجهَين إلى جبل ثور.

جاء في السيرة النبوية لابن كثير «روَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: وُلِدَ نَبِيُّكُمْ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَنُبِّئَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ».(١)

وجزم بن إسحاق بأنه خرج أول يوم من ربيع الأول(٢).

وأول يوم من ربيع الأول يوافق يوم الاثنين المقابل للثالث عشر من سبتمبر عام ٦٢٢ للميلاد(٣).

وقال الحاكم «تواترت الأخبار أن خروجه من مكة كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين»(٤).

ولكن هناك آراء أخرى تجعل معنى الخروج من مكة يوم الاثنين، يعني الخروج من غار ثور، ولا أرى أن هذا ممكن لأسباب أهمها:

١- مسار طريق الهجرة أطول من طريق الجادة، وخاصة في بدايته، من غار ثور إلى قديد، وغير معهود السير فيه، وبالتالي سيكون أكثر وعورة، مما يبطئ المسير، فلذلك من غير الممكن أن يصل المدينة في أسبوع.

٢- ذكر ابن سعد في الطبقات أن الركب النبوي وصل قديد ضحى الثلاثاء، قال ابن سعد: «وكان خروج رسول الله، ﷺ، من الغار ليلة الاثنين لأربع

(١) السيرة النبوية لابن كثير، ج٢ ص٢٣٢ تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة - بيروت

(٢) فتح الباري لابن حجر، باب هجرة النبي ﷺ.

(٣) اللواء محمد مختار باشا، التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية

(٤) فتح الباري لابن حجر، باب هجرة النبي ﷺ

ليال خلون من شهر ربيع الأول فقال[1] يوم الثلاثاء بقديد»[2].

في هذه الرواية وهمٌ واضح، وهو أن ليلة الاثنين ليست الليلةَ الرابعة من ربيع الأول، ولكنها الليلةُ الأولى، فتكون صحة العبارة «وكان خروج رسول الله، ﷺ من الغار ليلة الخميس لأربع ليال خلون من ربيع الأول فقال يوم الثلاثاء بقديد»

أي أن النبي ﷺ و أبابكر الصديق رضي الله عنه خرجا من مكة ليلة الاثنين الأول من شهر ربيع الأول، ومكثا في غار ثور ثلاث ليالي، ثم غادراه في الليلة الرابعة من ربيع الأول، يعني ليلة الخميس، واحتاج الركب النبوي خمسة أيام تقريباً ليصل إلى قديد، نتيجة لمسار الطريق الذي اختاروه لدواعي أمنية رغم طوله (حوالي ٢٠٠ كم)، ووعورته، وغير معهودٍ السيرُ فيه، وكذلك أيضاً لمعرفتهم أن الطريق أمامهم طويل وشاق، فلم ينهكوا مطاياهم بالسير العنيف، وهي الحكمة الواردة في ما يروى عنه ﷺ «**المنبتُّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**»[3].

٣-كذلك، لو كان خرج من الغار يوم الاثنين، فمن غير الممكن وصوله إلى قديد في يوم واحد، والركب قد سلك طريق الساحل الطويل، وأبو بكر وعامر بن فهيرة كانا يعتقبان بعيراً واحداً، كما في رواية موسى بن عقبة: «وَانْطَلَقَا مَعَهُمَا بِعَامِرِ بْنِ فُهَيْرَةَ يَخْدُمُهُمَا وَيُعِينُهُمَا، يُرْدِفُهُ أَبُو بَكْرٍ، وَيُعْقِبُهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ»[4]، أي أن الركب كان يسير بسرعة من يمشي على قدميه[5].

---

(١) من القيلولة

(٢) الطبقات الكبرى، ١/ ١٧٩، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

(٣) وَالْمُنْبَتُّ بِنُونٍ ثُمَّ مُوَحَّدَةٍ ثُمَّ مُثَنَّاةٍ ثَقِيلَةٍ أَيِ الَّذِي عَطِبَ مَرْكُوبُهُ مِنْ شِدَّةِ السَّيْرِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْبَتِّ وَهُوَ الْقَطْعُ أَيْ صَارَ مُنْقَطِعًا لَمْ يَصِلْ إِلَى مَقْصُودِهِ وَفَقَدَ مَرْكُوبَهُ الَّذِي كَانَ يُوَصِّلُهُ لَوْ رَفَقَ بِهِ.

(٤) دلائل النبوة للبيهقي، ٢/ ٤٨٠، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت

(٥) قدرها اللواء إبراهيم رفعت باشا في" مرآة الحرمين» ب٤ كم/ س .

٤- أورد ابن كثير في السيرة النبوية كلاماً واضحا في هذا الأمر، فقال: « وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوما، لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة»(١)

٥- أورد البيهقي في دلائل النبوة، أن النبي ﷺ قال: «**لقد رأيتني وصاحبي مكثنا بضع عشرة ليلة ما لنا طعام غير البَرير - والبرير نوع من ثمر الأراك - حتى أتينا إخواننا من الأنصار فآسونا من طعامهم، وكان جل طعامهم التمر**»(٢)

وفي بعض ألفاظ الحديث « **إِنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ...الحديث**» هذا دليل واضح لا لبس فيه أنهم أمضوا في الطريق أكثر من عشرة أيام.

أما القول، إن هذه المدة تشمل فترة المكوث في الغار، فهذا تنقضه الروايات الكثيرة إلى حد التواتر، التي تؤكد أنهما في ليال الغار كان يأتيهما عامر بن فهيرة باللبن، وتأتيهم أسماء بنت أبي بكر بما يصلحهم، كما أن جبل ثور أصلاً لا يُنبت الأراك، بل إن الجبال النارية كلها ليست من منابت الأراك.

٦- لم يُحفظ أن الركب النبوي كان يتزود من محطات الطريق، أو ممن كان يلقاهم من أصحاب المياه، سوى مرة أو مرتين، وهذا يؤكد صحة مفهوم هذا الحديث من أن جُلّ طعامهم البرير، لكن هذا لا ينفي أن يكون معهم شيء يسير من الطعام مما زودهم به أهل أبي بكر.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير، ج٢ص٢٥٧ ت مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة-بيروت.

(٢) المصنف في الدلائل ٦/ ٥٢٤. وأخرجه أحمد (١٥٩٨٨)، وابن حبان (٦٦٨٤) من طريق داود بن أبي هند به. وقال الذهبي ٢/ ٨٧٣: إسناده قوى. وصححه الألباني في التعليقات الحسان.

ومن شـواهد صحة الحديث أن سـاحل تهامة يكثر فيه شجر الأراك، ومازال هذا مشاهداً إلى اليوم.

٧- نقـل ابـن حجر في فتـح الباري من كتاب (خـبر المدينة) للزبيـر بن بكار رواية عن محمد بن شهاب الزهري أن النبي ﷺ وصل قباء في نصف ربيع الأول، وذلـك يوافق يوم الاثنين. فيكون الزمـن لكامل الرحلة من منزله إلى قباء خمس عشرة ليلة[1].

٨- اسـتبطاء الأنصـار لوصـول الركـب النبوي إلـى المدينة، فلـو كان زمن الرحلـة ثمانيـة أيام، مضافاً إليهـا ليال الغار الثلاثة، لمـا كان في ذلك أي تأخير، فهذا معتاد أو هو أقل المعتاد.

ثانياً: العوامل المؤثرة في اختيار المسار:

١- أهـم عامل هـو العامل الأمنـي لأن الخطر عظيم، وكفـار قريش عيونهم مبثوثـة في كل الطـرق، وفي كل الـدروب التـي يمكن أن يسـلكها الركب النبوي، وتركيز قريش على اتجاه المدينة، لأنهم يعلمون أن هناك شـيعته وأنصـاره، لذلك فقد جرى الأخـذ بأقصى درجات الحـذر متحملين في سـبيل ذلـك كل الصعوبات التي يمكـن أن تواجههم؛ من نقـص المياه، وقلة الطعام، وطول الطريق، ووعورته.

٢- البعد التام عن الجادة العظمى من مكة إلى المدينة، فلم يأخذ الجادة قط، إلا بعد أن أصبح قريبـاً من المدينة وصارت لا محيد له عنها (**جزء يسـير بين بئر الطلوب والعرج**).

٣- تجنب الحاضر أي الأماكن التي تشهد في العادة تجمعا سكانيـاً، فلم ينزل ضيفـاً على أحد من أهـل الطريق، ووقوفه على خيمـة أم معبد لأنه رآها خيمة منتبذة في مكان بعيد عن الحاضر.

(١) باب هجرة النبي ﷺ.

وصف الطريق من بيت النبي ﷺ إلى غار ثور

بيت النبي ﷺ

بدأت الرحلة المباركة الميمونة من دار النبي ﷺ، وهذه الدار كانت للسيدة خديجة رضي الله عنها. جاء في أخبار مكة للأزرقي «منزل خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ وهو البيت الذي كان يسكنه رسول الله ﷺ وخديجة، وفيه ابتنى بخديجة، وولدت فيه خديجة أولادها جميعاً، وفيه توفيت خديجة، فلم يزل النبي ﷺ ساكناً فيه حتى خرج إلى المدينة مهاجراً»[1].

مكان بيت النبي ﷺ في الوقت الحاضر

يقول الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الوهاب أبو سليمان[2] حفظه الله

(١) أخبار مكة للأزرقي، ج٢ص١٩٩ ت رشدي ملحس، دار الأندلس-بيروت.

(٢) د.عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد أبو سليمان، ولد بمكة ١٣٥٦(١٩٣٥م)، تتلمذ على علماء الحرم المكي الشريف، و بخاصة العلامة فضيلة الشيخ حسن بن محمد المشاط . حصل على=

«وموقع هذا المنزل المبارك في الوقت الحاضر في الساحة الشرقية للمسجد الحرام، لدى المصباح الكبير مقابل باب السلام بعد اثني عشر متراً في اتجاه الشمال نحو المدعى»[1]

21°25'22.6"N
39°49'40.4"E
بيت النبي صلى الله عليه وسلم

موقع المنزل:

منزل أبي بكر الصديق :

قال ابْنُ إِسْحَاقَ: «فَلَمّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْخُرُوجَ أَتَى أَبَا بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ لِأَبِي بَكْرٍ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ ثُمّ عَمَدَ إِلَى غَارٍ بِثَوْرٍ»[2]

وحدد الأزرقي مكان هذا البيت فقال «دار أبي بكر الصديق في خط بني جمح وفيها بيت أبي بكر ﷺ الذي دخله عليه رسول الله ﷺ، وهو على ذلك البناء إلى اليوم، ومنه خرج النبي ﷺ، وأبو بكر الصديق ﷺ إلى ثور مهاجراً»[3].

وحدد الشيخ عبد الوهاب أبو سليمان مكان هذا المنزل فقال:» ومكان هذا البيت حالياً مسجد أطلق عليه مسجد أبي بكر الصديق في المسفلة، تم هدمه لتطوير المنطقة المحيطة بالمسجد الحرام وأصبح يشغل حالياً طابقاً متسعاً ومجهزاً تجهيزاً حديثاً في الدور الرابع بمجمع كبير (مشروع مكة المكرمة للإنشاء والتعمير) بالمنطقة المجاورة للحرم وفي نفس المكان السابق ويبعد عن الحرم حوالي ٢٠٠ متراً[4].

21°25'11.6"N
39°49'27.7"E
منزل أبي بكر الصديق

موقع المنزل:

=الدكتوراة من جامعة لندن عام ١٣٩٠(١٩٧٠م)، وعلى دبلوم في القانون من كلية مدينة لندن للدراسات القانونية. عمل عميداً لكلية الشريعة بجامعة أم القرى، عين عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء، مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، وجائزة الأمير نايف العالمية للسنة النبوية. المصدر: (التعريف بالمؤلف في كتابه: الأماكن المأثورة) .

(١) الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الوهاب أبو سليمان، الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة، ص ١٥٥.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام.

(٣) أخبار مكة للأزرقي ج٢ ص٢٥٧.

(٤) الأماكن المأثورة المتواترة، ص ١٦٨.

هل وقف النبي ﷺ بالحَزْورة ليلة الهجرة

ورد أن النبي ﷺ وقف على الحزورة[1]، لكن ذلك كان عام الفتح وليس ليلة الهجرة. بدليل أن راوي حديث الوقوف بالحزورة يقول إنه رآه واقفاً عليها:» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ فَقَالَ: «وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خرجْتُ». رَوَاهُ الترمذيُّ وَابْن مَاجه»[2].

يدل هذا على أن الوقوف لم يكن ليلة الهجرة، لأنه في تلك الليلة لم يكن معه أحد، ولا يعلم بخروجه أحد، سوى علي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وهذا مما اتفق عليه أصحاب السير. يقول ابن إسحاق:» وَلَمْ يَعْلَمْ فِيمَا بَلَغَنِي، بِخُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدٌ، حَيْنَ خَرَجَ، إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَآلُ أَبِي بَكْرٍ»[3].

ثنية كدي[4]

انحدر النبي ﷺ وصاحبه في وادي إبراهيم[5]، ثم تياسرا ليصعدا ثنية كُديْ، وينحدرا منها في درب يسمى درب الميثب[6]، ثم أخذا في المفْجَر

---

(١) الْحَزْوَرَةُ بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ الزَّايِ: تَتَرَدَّدُ كَثِيرًا فِي السِّيرَةِ، وَفِي كُتُبِ الْجُغْرَافِيَا وَالتَّأْرِيخِ، وَهِيَ مَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِاسْمِ القشاشية، مُرْتَفَعٌ يُقَابِلُ الْمَسْعَى مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ كَانَ وَلَا يَزَالُ سُوقًا مِنْ أَسْوَاقِ مَكَّةَ». (معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ١/ ٩٨، البلادي).

(٢) صححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح

(٣) سيرة ابن هشام ج١ ص٤٨٥

(٤) الثنية الرئيسة للدخول والخروج من مكة في اتجاه الجنوب.

(٥) هو وادي مكة الذي يمر بالبيت الحرام، ثم يمر في المسفلة ويتجه جنوبا غربياً فيجتمع مع وادي عُرنة بين جبلي عمرو وعمير.

(٦) قال الأزرقي: الْمَيْثِبُ: مِنَ الثَّنِيَّةِ(كُدي) إِلَى أَسْفَلِ الرَّمْضَة (قوز النكاسة). والميثب: فج بسفح جبل الميثب من الجنوب، فيه طريق معبدة تجتمع مع طريق كُدي في بطحاء قريش (معجم معالم الحجاز للبلادي).

الغربي[1] في اتجاه جبل ثور، فصعدا الجبل ودخلا الغار «غار ثور»[2]

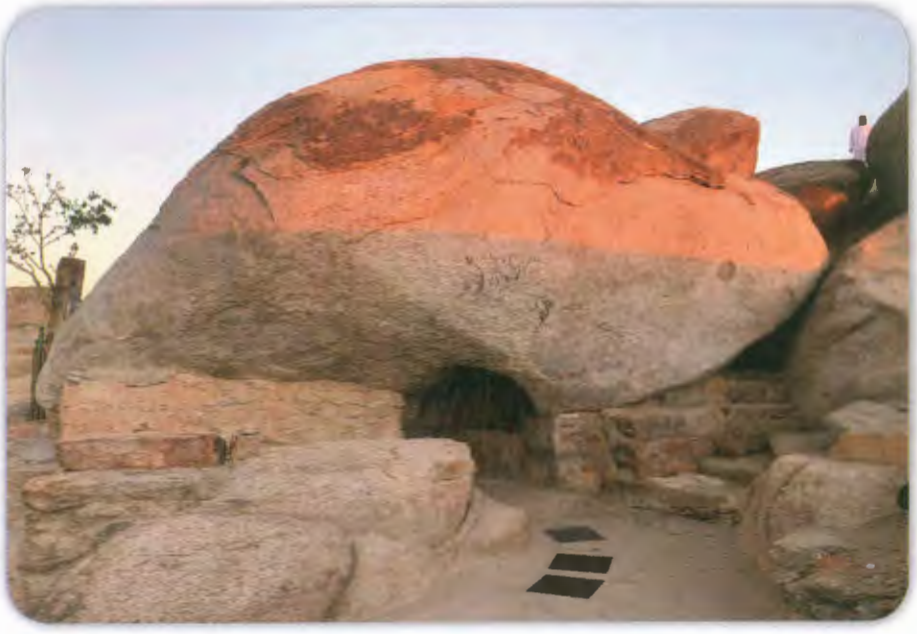

غار ثور

معجزات غار ثور

حصلت معجزات تدل على حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ، ذكرها أصحاب الحديث والسير، وكثير منها لم يصح، وبعضها الوضع فيه ظاهر. وأصح ما جاء من تلك المعجزات هو نسج العنكبوت على فم الغار، حسب ما جاء في مسند الإمام أحمد «فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا في الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسيج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسيج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال»[3]

(١) فج يفصل بين جبال مكة وجبل ثور جنوب مكة، يأخذه طريق كدي إلى منى وعرفات (معجم معالم الحجاز للبلادي).

(٢) جبل ثور: ويقال ثور أطحل، من جبال مكة بالمفجر من خلف مكة على طريق اليمن (معجم البلدان)

(٣) المسند ج٥ ص٨٧

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا إسناد حسن وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار»[1]

وفي الحديث الصحيح، أن أبا بكر نظر إلى أقدام المشركين فقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لأبصارنا، فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما[2].

وفي لجوء النبي ﷺ وصاحبه إلى غار ثور نزل قول الله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]

مكثا في الغار ثلاث ليالٍ (ليلة الاثنين فاتح ربيع الأول، وليلة الثلاثاء وليلة الأربعاء) وفي الليلة الرابعة أتاهم الدليل الذي اسْتَأْجَرَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَرْقَطَ[4]- رَجُلٌ مِنْ بَنِي الدِّئَلِ بْنِ بَكْرٍ- يَدُلُّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ وكانا قد دَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، فَكَانَتَا عِنْدَهُ يَرْعَاهُمَا لِمِيعَادِهِمَا.

بدأت الرحلة الميمونة من سفح جبل ثور قرب منتصف ليلة الخميس (لأربع ليال خلون من ربيع الأول).

(١) البداية والنهاية ج٣ ص١٨١ ط دار الفكر

(٢) صحيح البخاري ح ٣٦٣٥

(٣) التوبة الآيات ٣٨، ٣٩.

(٤) قيل أريقط كما في الزرقاني على المواهب (ج ١ ص ٣٣٩) وهو من الديل وقيل الدئل من كنانة كما في فتح الباري. وكان الأريقط على دين كفار قريش ولم يعرف له إسلام فيما بعد كما جزم به عبد الغني المقدسي وتبعه النووي وقال ابن حجر في الإصابة لم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد وقال السهيلي (ج ١ ص ٨): عبد الله بن أريقط لم يكن إذ ذاك مسلما ولا وجدنا من طريق صحيح انه أسلم بعد ذلك.

الصعود إلى غار ثور

طريق الهجرة من جبل ثور إلى قُباء

أفضل وصف لطريق الهجرة النبوية وصل إلينا هو حديث ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها، الوارد في السيرة النبوية لابن هشام، وهي المعتمدة عند أصحاب الحديث وأهل السِّير[١].

يقول ابن إسحاق[٢]: « حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ

(١) قال ابن حجر في فتح الباري «صحيح الإسناد»، باب هجرة النبي ﷺ-ج٧ص٢٣٨-دار المعرفة-بيروت ط: محب الدين الخطيب.

(٢) أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المطلبي بالولاء المديني صاحب المغازي والسير (...-١٥١) كان محمد المذكور ثبتا في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها، قال ابن شهاب الزهري: من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق وذكره البخاري في تاريخه؛ وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: من اراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق. وقال سفيان بن عيينة: ما أدركت أحدا يتهم ابن إسحاق في حديثه. وقال شعبة بن الحجاج: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين، يعني في الحديث. ويحكى عن الزهري أنه خرج إلى قرية فاتبعه طلاب الحديث فقال لهم: أين أنتم من الغلام الأحول أو قد خلفت فيكم الغلام الأحول، يعني ابن إسحاق. (وفيات الأعيان).

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: فَلَمَّا خَرَجَ بِهِمَا دَلِيلُهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَرْقَط، سَلَكَ بِهِمَا أَسْفَلَ مَكَّةَ، ثُمَّ مَضَى بِهِمَا عَلَى اللَّسَّاحِلِ، حَتَّى عَارَضَ الطَّرِيقَ أَسْفَلَ مِنْ عُسْفان، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا عَلَى أَسْفَلِ أَمَج، ثُمَّ اسْتَجَازَ بِهِمَا، حَتَّى عَارَضَ بِهِمَا الطَّرِيقَ، بَعْدَ أَنْ أَجَازَ قُدَيدًا، ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا مِنْ مَكَانِهِ ذَلِكَ، فَسَلَكَ بِهِمَا الْخَرَّارَ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ الْمَرَّةِ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا لِقْفا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا مَدْلَجَةَ لِقْفٍ ثُمَّ اسْتَبْطَنَ بِهِمَا مَدْلَجَةَ مَجَاجَّ - وَيُقَالُ: مِجَاجٍ [١]، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا مَرْجِحَ مَجَاجَّ، ثُمَّ تَبَطَّنَ بِهِمَا مَرْجِحَ مِنْ ذِي الْغَضْوَيْنِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: الْعُضْوَيْنِ - ثُمَّ بَطْنَ ذِي كَشْرٍ [٢]، ثُمَّ أَخَذَ بِهِمَا عَلَى الْجَدَاجِدِ، ثُمَّ عَلَى الْأَجْرَدِ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا ذَا سَلَمٍ، مِنْ بَطْنِ أَعْدَاءِ مَدْلِجَةِ تِعْهِنِ [٣]، ثُمَّ عَلَى الْعَبَابِيدِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ:

وَيُقَالُ: الْعَبَابِيبُ، وَيُقَالُ: الْعِثْيَانَةَ. يُرِيدُ: الْعَبَابِيبَ -.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا الْفَاجَّةَ، وَيُقَالُ: الْقَاحَّةُ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: ثُمَّ هَبَطَ بِهِمَا الْعَرْجَ، وَقَدْ أَبْطَأَ عَلَيْهِمَا بَعْضُ ظَهْرِهِمْ، فَحَمَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ، يُقَالُ لَهُ: أَوْسُ بْنُ حُجْرٍ، عَلَى جَمَلٍ لَهُ - يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الرِّدَاءِ - إِلَى مَسْعُودِ بْنِ هُنَيْدَةَ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا دَلِيلُهُمَا مِنَ الْعَرْجِ، فَسَلَكَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ الْعَائِرِ، عَنْ يَمِينِ رَكُوبَةٍ - وَيُقَالُ. ثَنِيَّةُ الْغَائِرِ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - حَتَّى هَبَطَ بِهِمَا بَطْنَ رِئْمٍ، ثُمَّ قَدِمَ بِهِمَا قُبَاءً، عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، حِينَ اشْتَدَّ الضَّحَاءُ، وَكَادَتْ الشَّمْسُ تَعْتَدِلُ.»[1]

(١) السيرة النبوية لابن هشام

نبـدأ الآن في تتبع مراحل هذا الطريق والتعـرف على معالمه، والأحداث التي حصلت فيه.

تتبع، ووصف طريق الهجرة من غار ثور إلى قُباء

لغرض التوضيح سـنقوم بتجزئة الطريق إلى أجزاء بعدد أيام الطريق، ثم نقوم بوصف كل جزء على حده.

اليوم الأول (الخميس الرابع من ربيع الا

قال ابن إسـحاق «فَلَمَّا خَرَجَ بِهِمَا دَلِيلُهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرْقَط، سَـلَكَ بِهِمَا أَسْفَلَ مَكَّ

هذا النص القصير المركز واضح جدا لمن يعرف العبارات التي اشتملت عليها ولكنها تحتاج إلى تحرير، أي معرفة المقصود منها:

أولاً: أسفل مكة:

في جغرافيـة مكـة المكرمـة أعلـى مكة شـرقها، وأسـفلها غربهـا، وهذا الاصطـلاح مأخـوذ من اتجـاه جريان سـيول الأودية، فـوادي إبراهيم أعلى سيله من حيث يسيل، المحصب من منى شرق مكة، فيدخل المسجد الحرام ويخرج منه في اتجاه المسفلة فإذا تجاوزها اتجه غربـًا، ثم تلتقي الأودية كلها في الساحل غرب مكة المكرمة[1].

السـاحل في اللغة: «المنطقة من الْيَابِس الَّتِي تجاور بحرا أَو مسطحًا مائيا كَبِيرا وتتأثر بأمواجه، ويجمع على (سواحل)»[2]. ولكن المقصود هنا ساحل مخصوص: هو سـاحل تهامة، وساحل مكة جزء منه، والنصوص التالية تؤيد ذلك:

(١) عاتق البلادي، أودية مكة المكرمة ص ٢٠.

(٢) المعجم الوسيط، باب السين.

ساحل تهامة:

ساحل تهامة بقعة محددة معروفة قديماً وإلى اليوم. ونعرض هنا بعض التعريفات لها من مصادر قديمة وحديثة.

- يعرِّف الشيخ عاتق بن غيث البلادي رَحِمَهُ اللَّهُ ساحل تهامة فيقول: «وهي هنا الأرض السهلية الجرداء المحصورة بين تهامة شرقاً والبحر الأحمر غرباً. وساحل الحجاز من الليث جنوباً حتى العقبة شمالاً»[1].

- يقول ياقوت في معجم البلدان: البزواء: «قرب المدينة بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل بين الجار وودان وغيقة من أشد بلاد الله حرا يسكنها بنو ضمرة من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة رهط عزة صاحبة كثير».

والبزواء معروفة (تسمى الآن الخبت) يأخذها الطريق الحالي من بدر إلى مستورة تقع بين الجبال شرقاً والبحر غرباً فهي في الساحل.

- نقل ابن هشام في السيرة النبوية قول ابن إسحاق «وَكَانَتْ مَنَاةُ لِلْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَمَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمُشَلَّلِ بِقُدَيْدٍ»[2].

وموقع مناة الطاغية معروف على الطرف الغربي لحرة المشلل المعروفة الآن بالقديدية، وتبعد عن البحر حوالي ٢٠ كم.

وهناك أقوال أخرى بهذا المعنى تدل كلها على أن الساحل هنا -وهو ساحل تهامة- لفظ يراد به الخبت كله الواقع بين البحر غرباً وجبال تهامة شرقاً، وليس المقصود الأرض الواقعة مباشرة على شاطئ البحر يصلها مدُّه.

(١) عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز ج٤ ص ١٥٥

(٢) السيرة النبوية، ١/ ٨٥

ساحل مكة:

ساحل مكة هو الجزء المقابل لمكة من ساحل تهامة، ويعرف قديماً وحديثاً بساحل الشعيبة، وهي مرفأ معروف إلى اليوم.

قال الأزرقي: «حَدَّثَنِي أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي، عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَيْثَمٍ الْقَارِيُّ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالِ، حَدِّثْنِي عَنْ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ، قَبْلَ أَنْ بَنَتْهَا، قُرَيْشٌ. قَالَ: «كَانَتْ بِرَضْمٍ يَابِسٍ لَيْسَ بِمَدَرٍ تَنْزُوهُ الْعَنَاقُ، وَتُوضَعُ الْكِسْوَةُ عَلَى الْجَدْرِ ثُمَّ تُدَلَّى، ثُمَّ إِنَّ سَفِينَةً لِلرُّومِ أَقْبَلَتْ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِالشُّعَيْبَةِ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ سَاحِلُ مَكَّةَ قَبْلَ جُدَّةَ، فَانْكَسَرَتْ فَسَمِعَتْ بِهَا قُرَيْشٌ، فَرَكِبُوا إِلَيْهَا وَأَخَذُوا خَشَبَهَا....»[1]

قلت: وإلى هذا الساحل أشار البخاري في الصحيح، فقال: «حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «وَاسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا - الخِرِّيتُ: المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ يَمِينَ حِلْفٍ فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلاَثٍ، فَارْتَحَلاَ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ الدِّيلِيُّ، فَأَخَذَ بِهِمْ أَسْفَلَ مَكَّةَ وَهُوَ طَرِيقُ السَّاحِلِ»[2].

حديث البخاري هذا فيه زيادة على حديث ابن إسحاق في دقة توجيه مسار الركب.

فوصف أسفل مكة بأنه «طريق الساحل»، يعني الطريق المتجه إلى ساحل مكة-الشعيبة- (لأن أسفل مكة يشمل الأرض الواقعة بين مفيض وادي مكة

---

(١) أخبار مكة للأزرقي، ج١ ص١٥٧ ت رشدي ملحس-دار الأندلس-بيروت.

(٢) الجامع الصحيح، ٣/ ٨٨، ط١، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

«وادي أم الجود» في وادي مر الظهران شمالاً، ومفيض وادي إبراهيم جنوباً في عُرنة). هذا يعني أن السير في البداية كان في اتجاه الشعيبة، أي في اتجاه الجنوب الغربي، ويتضح ذلك في الرواية التالية لحديث البخاري المتقدم.

خذارق (أذاخر) على طريق الساحل

جاء في السنن الكبرى للبيهقي، وكتاب «الشريعة» للآجُرِّي عن معمر عن الزهري: «قَالَ الزُّهْرِيّ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه رَجُلاً مِنْ بَنِي الدِّيلِ ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبَّادٍ هَادِيًا خِرِّيتًا وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ قَدْ غَمَسَ يَدَهُ فِي حِلْفِ آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَآمَنَاهُ وَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ فَارْتَحَلاَ وَانْطَلَقَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ أَذَاخِرَ وَهِيَ فِي طَرِيقِ السَّاحِلِ». رَوَاهُ الْبُخَارِي فِي الصَّحِيحِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى عَنْ هِشَامِ بْنِ يُوسُفَ عَنْ مَعْمَرٍ»[1].

هذا الحديث هو نفسه حديث البخاري السابق، رواية معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة، ولكن بزيادة مهمة جداً وهي «طَرِيقَ أَذَاخِرَ»، هذه الزيادة لم يوردها البخاري[2]، لكنها جاءت أيضاً في مغازي الزهري.

يقول الزهري[3] في مغازيه:

«واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من الدِئْل، من بني عبد ابن عدي،

(١) السنن الكبرى للبيهقي، ٦/ ١٩٥، ط٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

(٢) ربما لمعرفته أن أذاخر في أعلى مكة وليست في أسفلها، وهو رحمه الله من زيادة حرصه-إذا لم يكن متأكداً من صحة الكلمة لا يذكرها، كقوله في حديث حرم المدينة" المدينة حرم من عير إلى كذا." ولم يقل إلى ثور لشهرة ثور بمكة، وأنه لا يوجد ثور في المدينة.

(٣) الزهري (٥٨ - ١٢٤ هـ) (٦٧٨ - ٧٤٢ م) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري (أبو بكر) محدث، حافظ، فقيه، مؤرخ، من أهل المدينة.
نزل الشام واستقر بها، وتوفي بشغب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين.
له تصنيف في مغازي الرسول ﷺ. (معجم المؤلفين)، عمر كحالة

هاديـاً خِرِّيتاً-والخريـت: الماهـر بالهداية-قـد غمـس يميـن حلف في آل العـاص بـن وائل، وهو على دين كفـار قريش، فأمّناه، فدفعـا إليه راحلتهما، وواعـداه غار ثـور بعد ثلاث، فأتى غارهمـا براحلتهما صبيحـة ليالٍ ثلاث، فاتحلا، وانطلق معهما عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر، والدليل الدِّئْلي، **فأخذ بهم طريق أذاخر**، وهو طريق الساحل»[1].

هـذه إضافة مهمة، فقد حددت لنا معلماً على طريق السـاحل (سـاحل مكة، يعني الشـعيبة)، هذا المعلم اسـمه(أذاخر)، لكـن بالرجوع إلى معاجم البلدان، وإلى كل من ألّف في معالم مكة، لم نجد معلماً في أسـفل مكة اسمه (أذاخر)، بل يوجد علم واضح كبير على طريق سـاحل مكة اسمه جبل وماء (خـذارق)[2]. قال عنه ياقوت «قال الأصمعـي: ولكنانة بالحجاز ماء يقال له خذارق، وهو لجماعة من كنانة»[3].

قلت: أرى أن (خذارق) هذا هو بعينه (أذاخر) الوارد في الرواية السابقة، وأن التحريف حصل لأسباب لعل أهمها:

١-شهرة ثنية أذاخر (ريع ذاخر) الواقعة في أعلى مكة، لدخول النبي ﷺ منها إلـى البيت الحـرام عام الفتح، وتكرر اسـمها مرات كثيـرة في كتب الفقه والسنة والسيرة، فورودها في حديث الهجرة سبق قلم أو لسان، خصوصاً أن «خذارق» لم تتكرر في أحاديث أو روايات أخرى.

٢- تشـابه حروف وجرس «أذاخر» مع «خذارق» وهذا يسـهل الخلط بينهما لمن لا يعـرف هذه المواضع، وهناك مثال على هـذا في حديث البخاري عن بناء النبي ﷺ بأم المؤمنين «صفية» في رجوعه من غزوة خيبر.

---

(١) المغازي النبوية للزهري ص١٠١ تحقيق: د. سهيل زكار-دار الفكر-دمشق، تاريخ الطبع١٤٠١ هجرية

(٢) اسم الجبل اليوم «خثارق»، والماء «الحامضة»

(٣) معجم البلدان، رسم خذارق

جاء في الصحيح « حَدَّثَنَا عَبْدُ الغَفَّارِ بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الحِصْنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الرَّوْحَاءِ حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا... الحديث».

المقصود هنا «سد الصهباء» وليس «الروحاء»، وتم تصحيح هذا الخطأ في أبواب أخرى من الصحيح.

٣- جبل خذارق (خثارق) ما زال معروفاً، وهو على طريق الساحل للمتجه مباشرة من مكة إلى الشعيبة (ومازالت معروفة اسماً وموقعاً)، والمصورات الجوية توضح ذلك بشكل جليّ.

وورود جبل خذارق (وأرى أنه هو المقصود بأذاخر) في هذه النصوص له أهمية بالغة في توجيه مسار طريق الهجرة النبوية، في هذا الجزء منه الذي يفتقر إلى ذكر معالم واضحة لا تترك مجالاً للاجتهاد.

بئر الحامضة وجبل خثارق

قلت: وهنا مسألة مهمة ينبغي الانتباه لها، وهي: إن الساحل عند ابن إسحاق في قوله: «ثُمَّ مَضَى بِهِمَا عَلَى السَّاحِلِ»، هو ساحل تهامة، أما الساحل في حديث البخاري فهو ساحل مكة؛ يعني: الشعيبة، وذلك في قوله «فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ أَذَاخِرَ وَهِيَ فِي طَرِيقِ السَّاحِلِ».

فإذا جمعنا النصوص السابقة بعضها إلى بعض، وحللناها، وتأملناها على الأرض، فإن ذلك قد يوصلنا إلى وصف معالم وأحداث اليوم الأول لمسير الركب النبوي المبارك، على النحوِ التالي:-

وصف معالم الطريق من غار ثور إلى بئر العُدْ

نزل النبي ﷺ، وصاحبه من جبل ثور، والمرجح أن ذلك كان من صفحة الجبل الغربية، ورغم أنها شديدة الانحدار، إلا أنها أقصر من جهة الصعود الشمالية المعروفة، وأبعد عن مكة، ويظهر فيها اليوم آثار جادة، يبدو أنها كانت تستخدم قديماً.

عند نزولهما وجدا عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه والدليل

عبد الله بن أريقط (أو أرقط) في انتظارهما أسفل الجبل فيما يعرف اليوم ببطحاء قريش.

بدأ الجميع في السير جاعلين جبل السرد[١] عن أيمانهم وجبل الراقد[٢] عن أيسارهم حتى انعطف وادي اللاحجة[٣] جنوباً فتركوه واتجهوا غرباً عدلاً فدخلوا من أحد فجاج جبال العكيشية[٤] ثم انحدروا منها في وادي إبراهيم[٥].

استمر سيرهم في هذا الوادي، وانعطفوا بانعطافه جاعلين جبل الدومه الحمراء عن أيمانهم وجبل الخشناء عن أيسارهم، حتى تجاوز الركب روضة أم الهشيم و مازالوا في وادي إبراهيم، في جزع منه يسمى اليوم (المنصورية).

21°15'37.0"N
39°41'00.0"E
وادي المنصورية

الركب الآن على بعد حوالي ٢٥ كم من جبل ثور وقد اشتد الضحى. ولما كان معظم فترات سيرهم في وادي إبراهيم، وهو بالتأكيد كان مليئاً بالأحراش والصخور والظلام دامس (في الليلة الرابعة من الشهر القمري) لذلك سيكون سيرهم وئيداً وبطيئاً نسبياً، وهذا مناسب لهم من الناحية الأمنية، فأحراش الوادي تسترهم، ولكن رغم ذلك فقد جدّ الركب النبوي في السير حين بزغ الضوء.

---

(١) الْجَبَلُ الَّذِي بَيْنَ الطَّلُوبِ وَاللاَّحِجَةِ، وَيُقَالُ لِرَأْسِهِ: الْمَيْثَبُ، وَفِيهِ رَدْهَةٌ تُمْسِكُ الْمَاءَ يُقَالُ لَهَا النَّبْعَةُ.(أخبار مكة للأزرقي)، انظر معالم الحجاز للبلادي.

(٢) اسمه قديماً جبل حُبْشي، (ويقال: حبيش: جبل أسود فيه جدد بيض، يقع جنوب مسفلة مكة على عشرة أكيال وعنده توفي عبد الرحمن بن أبي بكر في نومه فسُمي الجبل الراقد) -المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (محمد شراب)

(٣) هو الوادي الذي يبتدئُ من وجه جبل ثور الشمالي، ومن غرب جبل سُدير، ثم يسيل غرباً ماراً بين ثور في الجنوب الشرقي وجبل السَّرد في الغرب، وأسفله يسمى بطحاء قُريش، وينتهي سيله إلى عرنة بطرف جبل حُبَشي من الغرب. يمر فيه طريق كُدَيّ إلى ثور والحُسَينية، كان يسمى (درب اللاَّحِجة). معالم مكة التاريخية والأثرية، البلادي، ١/ ٢٣٥

(٤) (وردت في المصادر العقيشية)، بلوغ القرى ص١٢٤٦

(٥) يسمى هنا وادي اليوم، السلولي

الصخرة الطويلة

الصخرة الطويلة:

قبل منتصف النهار بقليل كان الركب على بعد حوالي ٣٠ كم من جبل ثور، وأمامهم سلسلة صخرية تعتبر ذيلاً لجبل «خثارق»، وإحدى هذه الصخور كانت بارزة وبجانبها صخرة لها امتداد أفقي إلى جهة الشمال (الشمس على خط الاستواء تقريباً لأن اليوم السادس عشر من سبتمبر) لذلك كان ظلها وارفاً وكافياً لهم جميعاً فاتجه الركب النبوي إليها ليستريح في ظلها برهة من الوقت.

يصف أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا الحدث، فيقول، فيما رواه البخاري: «أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنْ الْغَدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَخَلَا الطَّرِيقُ[1] لاَ يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً وَقُلْتُ نَمْ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا

(١) كان الركب على طريق ساحل مكة (الشعيبة)

أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا فَقُلْتُ لَهُ لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ[1]، قُلْتُ أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ أَفَتَحْلُبُ قَالَ نَعَمْ فَأَخَذَ شَاةً فَقُلْتُ انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ وَالْقَذَى، قَالَ: فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى يَنْفُضُ فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ وَمَعِي إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرْتَوِي مِنْهَا يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ فَصَبَبْتُ مِنَ الْمَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ فَقُلْتُ اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ ثُمَّ قَالَ أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟ قُلْتُ بَلَى قَالَ فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتْ الشَّمْسُ»[2].

قلت: هذه الصخرة في مرتفع يشرف على سهل فسيح تكثر فيه الأعشاب والشجيرات، والأشجار المعمرة، وفي ملتقى أودية: مثل وادي عُرنة، ووادي إبراهيم، ووادي السرب، وشعاب أخرى، فهو مناسب للرعي وتنمية الماشية، ولا يبعد كثيراً عن مكة المكرمة.

ووجود راعي أغنام لشخص من أهل مكة عند الصخرة دليل على قربها من مكة، فالأغنام لا تذهب بعيداً عن أصحابها، بعكس الإبل.

لذلك قيل في أمثال العرب: «إِنَّمَا اشتريتُ الْغنم حِذارَ العازبة»، والعازبة: الْإِبِل. قَالَه رجل كَانَت لَهُ إبل فَبَاعَهَا وَاشْترى غنما لِئَلَّا تَعْزُبَ، فعَزَبتْ غَنَمُه (أي بعُدت عنه) فعاتب على عزوبها. يُقَال ذَلِك لمن ترفّق أَهْون الْأُمُور مئونةً، فَلَزِمَهُ فِيهِ مشقَّةٌ لم يحتسبها»[3]

الركب النبوي وصل الصخرة حوالي س١١ قبل الظهر بساعة وربع،

(١) أكيد لرجل من مكة، وفي بعض طرق الحديث لرجل من مكة سمّاه، فعرفه أبو بكر.

(٢) الجامع الصحيح، مرجع سابق، ٤/ ٢٠١

(٣) تهذيب اللغة للأزهري، ٢/ ٨٩، ط١، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

بعد مسير نحوٍ من اثنين وثلاثين كيلاً قد تزيد قليلاً[1]، بدأه حوالي الساعة الرابعة صباحاً[2]، وتخلله النزول للصلاة والاستراحة، وقضاء الحاجة، ولا ننس أن أبابكر وعامر بن فهيرة ﷺ يعتقبان بعيراً واحداً، أي أن الركب يسير بسرعة الراجل، والطريق كما وصفنا، لذلك فإن قطع هذه المسافة في ظرف سبع ساعات مناسب جداً لركب يعرف أن أمامه رحلة طويلة ينبغي فيها عدم إجهاد رواحله حتى تبلِّغَه غايته.

استئناف السير

بعد أن زالت الشمس استأنف الركب النبوي المسير، وهنا عدّل الركب اتجاهه، فبعد أن كان يسير في اتجاه الجنوب الغربي (ساحل مكة)، مال إلى الشمال الغربي، وهدفه الالتفاف من وراء جبال الخشاش[3]، والوصول إلى ساحل تهامة.

الركب الآن في أرض مفتوحة، ولكنها ليست مطروقة، فهي عبارة عن خُبوت (خبت عمق، وخبت القد)، ومرتفعات صغيرة (جبال الثعلبية، وجبال سنادة)، ومغايض أودية مكة، وأمامهم -عن بعد- جبال العُدْ، وعليهم أن يصلوها قبل المغيب.

وصل الركب النبوي إلى جبال العُدْ[4]- بعد مسير ٥٢ كم تقريباً- وكان الليل قد أرخى سدوله فحطوا رحالهم في أحد شعابه حتى الصباح أي صبح الجمعة.

---

(١) تتبع المسار بواسطة برنامج جوجل إيرث

(٢) في هذا الوقت من السنة يؤذن لصلاة الصبح في مكة س٥٢ , ٤

(٣) الخَشَاش: هي تلك المنطقة الجبلية التي تمتد من شرق جُدَّة باتجاه الشمال إلى عُسْفان، وتشرف على بَحْرة من الشمال.

(٤) هي آخر السلسلة التي تمر جنوب بحرة وحداء، وتشرف على البحر ليس أدنى منها إليه إلا جبل تُسْحُق، بعيداً عنها، وتبعد عن بحرة (٣٥) كيلاً إلى الغرب الجنوبي. ويمر وادي مر الظهران شمالها غير بعيد. (معالم مكة التاريخية والأثرية- البلادي)

شعيب وبئر العد

21°14'23.2"N
39°23'58.3"E
بئر العدّ

وصف الطريق من العُدّ إلى ساحل جُدّة

بعد صلاة الفجر ملؤوا قربهم من ماء العُدّ[1]، واستأنفوا المسير. فهم الآن عملياً في الساحل، لا يفصل بينهم وبين البحر فاصل، إلاّ أن من أراد أن يسلك طريق الساحل شمالاً، فعليه أن يستمر في السير، حتى يضع جبال الخشاش كلها عن يمينه، وهذا ما ينوي الركب فعله.

وبعد مسير (١٩) كم تقريباً، قطعوا فيه جزءً من بِراق جبل تُسحُق الشمالية، ثم جزعوا وادي مرّ الظهران (وادي فاطمة) عند النهايات الجنوبية

(١) العُدّ: بضم العين المهملة، وتشديد الدال المهملة أيضاً، والعُدّ: المورد من الماء، وجمعه عدود: وهو ماء جنوب غربي مكة في الساحل، يتردد ذكره في النزاع بين الأشراف، وفيه يقول ابن الحَكّاك شاعر مكي من أهل القرن الخامس الهجري (لأرْوَى منزلٌ أقْوَى ... دُوَين العُدِّ فالإطوى)، وهو في وادٍ يدعى وادي العد، يصب من جبال تسمى نفس الاسم، يتكون من ثلاث آبار للاستقاء، وهي: أم الجرم، والعويجاء، والشُّوَيميّة. (معالم مكة التاريخية والأثرية) -البلادي.

لجبل مُوّيحة (الجزء الأخير من جبال مدينة جدة الشرقية)، وبعد أن وضع الجبال عن يمينه- استدار الركب النبوي الميمون، وولّى وجهه تلقاء الشَّمال، ثم **مضى على الساحل** (بالضبط كما هو نص ابن إسحاق).

الركب النبوي أصبح الآن يسير مع استطالة الساحل، الجبال عن يمينه، والبحر عن يساره، وليس بينهما فاصل، وهذا هو ساحل تهامة، كما مر معنا تعريفه، والركب هنا في جزء منه؛ وهو (ساحل جدة)[1]، وسِيف البحر على بعد ٢٠ كم.

ساحل جدة

مضى الركب على ساحل جدة، والجبال تتقارب منه وتتباعد ثم تتقارب، وهو يسير في خبت واسع تكتنفه أودية وبراق وآكام وظِراب (أرض شرق جدة)، لذا؛ سيكون السير في أرضٍ هذه طبيعتها سيراً وسطاً.

بدأ الركب بقطع أودية جدة القادمة من جبال الخشاش وهي على التوالي (من الجنوب إلى الشمال): مويحة، غليل، قوس، مريّخ، العصلاء، الهطيل، دغبج، بحار، أم حبلين، غيا، نفيسة، لوي، عويمر.

هذه الأودية يتوفر فيها الماء في نقاط تجمع محددة، وهي من بلاد كنانة (رهط ابن أريقط دليل الركب)، ولا شك أنه يعرف مكان مَلازم الماء ومماسكه في هذه الأودية، وسيرشدهم إليها، فيأخذوا منها حاجتهم من الماء، لذلك فلا خوف عليهم من العطش.

---

(١) جُدَّة: جعلها عثمان ساحلا لمكة سنة ست وعشرين. جاء في الثقات لابن حبان (فلما فرغ عثمان من عمرته كلموه بأن يحول الساحل إلى جدة، وكانوا قبل ذلك في الجاهلية يرسون بالشعيبة وقالوا: جدة أقرب إلى مكة وأوسع وأقرب من كل ناحية، فخرج عثمان إلى جدة فرآها ورأى موضعها وأمرهم أن يجعلوها بمكان الشعيبة، فحول الساحل إلى جدة ودخل البحر وقال: إنه مبارك، وقال لمن معه: ادخلوا، ولا يدخلها إلا بمئزر).
قال أبو المنذر: وبجدّة ولد جدّة بن حزم بن ريّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فسمي جدّة باسم الموضع (معجم البلدان، رسم جدة)

وقد كانت هذه الأودية هي مصدر مياه الشرب لمن ينزل ساحل جدة، ولمن يمر بها. وقد سجل ذلك من أرّخ لجدة مثل ابن المجاور[1] فقال:« فكان إذا وقع الغيث وامتلأت منه الصهاريج التي بظاهر البلد، كانت العبيد تنقل ماء الصهاريج على الدواب فتقلبه في الصهاريج التي عندهم في الدور»[2].

طريق الحرمين – طريق الهجرة!!

قلت: وردت عليّ خاطرة وأنا أتأمل هذا الجزء من طريق الهجرة النبوية الميمونة؛ وهي: إن الركب النبوي المبارك سار على طريق مقارب للطريق المسمى اليوم طريق الحرمين، الواقع شرق جدة، لمسافة خمسين كم تقريباً، وقارنت بينه وبين الطريق السريع بين مكة والمدينة، المسمى خطأً (طريق الهجرة)، رغم أن الركب النبوي لم يسر عليه خطوة واحدة! فأيُّهما أولى بالتسمية؟

وبعد نحوٍ من أربعين كيلاً، ساروها من جبال العدّ، أناخ الركب الميمون في وادي العصلاء، أو في مكان قريب منه، إحداثياته:(59E 14 39 18N 34 21)

اليوم الثالث والرابع (السبت والأحد السادس والسابع من ربيع الأول)

أسفل من عسفان

قال ابن إسحاق:«ثُمَّ مَضَى بِهِمَا عَلَى السَّاحِلِ، حَتَّى عَارَضَ الطَّرِيقَ أَسْفَلَ مِنْ عُسْفان».

قوله: عارض الطريق أسفل من عسفان[3]:

(١) يوسف بن المجاور (٦٠١ - ٦٩٠ هـ) (١٢٠٥ - ١٢٩١ م) يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني، الدمشقي (أبو الفرج، جمال الدين، ابن المجاور) مؤرخ، محدث، كاتب، من أهل دمشق. من آثاره: تأريخ المستبصر.

(٢) تاريخ المستبصر، بناء جدة.

(٣) بضم العين وسكون السين وفاء وألف وآخره نون: بلد على مسافة ثمانين كيلا من مكة شمالا على طريق المدينة. ولها ذكر في مواطن من السيرة والحديث. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة .

الطريق التي تأتي عسفان من أسفلها هي الطريق الملاصق لشاطئ البحر (الطريق الساحلي)، وعارضه هنا بمعنى تقابل معه وكل منهما يسير في اتجاه مغاير[1] (يعني تقاطع معه)، و مثل هذا المعنى ورد في حديث عروة عن الزبير، يذكر ملاقاته للنبي ﷺ و صاحبه في طريق الهجرة، و هو قادم من الشام في تجارة: «عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ الزُّبَيْرَ يَذْكُرُ، « أَنَّهُ لَقِيَ الرَّكْبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ قَافِلِينَ مِنْ مَكَّةَ[2] عَارَضُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ بِثِيَابٍ بِيضٍ..الحديث»[3]. «تعليق الذهبي- على شرط البخاري ومسلم

وتأتي «عارضه» أيضاً بمعنى جانبه وعدل عنه[4].

وهذا الطريق الساحلي هذا، جادةٌ تأخذ مساراً قرب البحر، فإذا كانت القافلة قادمة من الشمال، ووصلت ذهبان (على شاطئ البحر) اتجهت شرقاً عبر وادي الغولاء - أسفل عسفان-حتى تلتقي بالجادة العظمى فوق عسفان، وهذا الطريق هو الذي سلكه أبو سفيان عندما ساحل بالعير خوفاً من أن يأخذها المسلمون ببدر.

وفي ذلك يقول الواقدي « كَانَ الْفُرَاتُ بْنُ حَيّانَ الْعِجْلِيّ أَرْسَلَتْهُ قُرَيْشٌ حِينَ فَصَلَتْ مِنْ مكة إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ يُخْبِرُهُ بِمَسِيرِهَا وَفُصُولِهَا، وَمَا قَدْ حَشَدَتْ، فَخَالَفَ أَبَا سُفْيَانَ، وَذَلِكَ أَنّ أَبَا سُفْيَانَ لَصِقَ بِالْبَحْرِ وَلَزِمَ فُرَاتُ الْمَحَجّةِ».

(١) كتاب العين مادة عرض.

(٢) الصحيح «قافلين إلى مكة»، مغازي الزهري، ص١٠٣ تسهيل زكار، البخاري ح٣٩٠٦.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الهجرة ج٣ص١٢ - دار الكتب العلمية -بيروت ط١.

(٤) الصحاح في اللغة، مادة عرض.

أسفل من عسفان

أسفل من عسفان

21°56'53.0"N
39°08'07.0"E
أسفل عسفان

قال ابن إسحاق (أسفل من عسفان)، ولم يقل أسفل عسفان، في هذا دليل على أن المعارضة حصلت أسفل عسفان، ولكن على مسافة بعيدة عنها. زيادة (من) هنا تعني زيادة البعد عن عسفان.

هذا البعد يحققه من يسير على الساحل متجه شمالاً فإنه يتقاطع مع الطريق القادم من ذهبان (الطريق الملاصق للبحر القادم من الشمال) المتجه شرقاً إلى عسفان عبر وادي الغولاء وهذا الوادي أسفل عسفان، فإذا كنت في هذا الوادي قريباً من عسفان، فأنت في أسفل عسفان، وإذا كنت بعيداً عنها فأنت في أسفل من عسفان.

وهناك قول آخر، يعزز القول السابق، وهو: إن المراد بعسفان هنا الوادي وليس المنزل، فيكون أسفل الوادي ناحية البحر، قريب من ذهبان، وأعلاه عند عسفان.

وصف الطريق من ساحل جُدّة إلى أسفل من عسفان

قام الركب المبارك من مبيته قرب وادي من أودية ساحل جدة (نرجح أنه العصلاء)، واستأنف السير في خط شبه مستقيم، جازعاً أسافل تلك الأودية جميعها، حتى بدت أمامه حرة معترضة مستطيلة، فتياسر قليلاً ليأخذ خشمها[1]، وهنا كانت في انتظاره مفاجأة سارة.

اللقاء مع بُريدة بن الحُصيب

اللقاء مع بُريدة بن الحُصيب (39 08 05E 21 53 35N)

21°53'35.0"N
39°08'05.0"E
اللقاء مع بريدة

منذ أن خرج الركب النبوي من بئر العُدّ صبحَ الجمعة، قطع حوالي (٩٠) كم ليصل إلى أسفل من وادي عسفان[2]، قرب حرة ذهبان (حرة الوقر)، يوم الأحد، بعد أن أمضى يومين في الساحل (الجمعة والسبت)، وهنا وجد الركب النبوي المبارك جمعاً عظيماً، قوامه ثمانون بيتاً من بني

(١) وأرى أنه قطع أرض مطارجدة ومحطة الرحيلي للوصول إلى حرة ذهبان

(٢) يسمى اليوم وادي الغولاء

سهم، من قبيلة أسلم من خزاعة يرأسهم بُريدة بن الحُصيب، فوقف عليهم الركب، وسأل النبي ﷺ رئيسهم: من أنت؟ «قَالَ: أَنَا بُرَيْدَةُ فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، بَرُدَ أَمْرُنَا وَصَلُحَ، قَالَ: ثُمَّ مِمَّنْ؟ قَالَ: مِنْ أَسْلَمَ قَالَ: سَلِمْتَ، قَالَ: قَالَ ثُمَّ مِمَّنْ قَالَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ قَالَ خَرَجَ سَهْمُكَ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَسُولُ اللهِ، قَالَ بُرَيْدَةُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَأَسْلَمَ بُرَيْدَةُ، وَأَسْلَمَ الَّذِينَ مَعَهُ جَمِيعًا فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَا تَدْخُلِ الْمَدِينَةَ إِلَّا وَمَعَكَ لِوَاءٌ..»[1]

وجاء في رواية للمقريزي «لقي رسول الله ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه فيما بين مكة والمدينة وهم يريدون موقع سحابة، فأسلموا بعد ما دعاهم إليه، واعتذروا بقلة اللبن معهم وقالوا: مواشينا شصص، أي جافّة، وجاءوه، بلبن فشربه وأبو بكر، ودعا لهم بالبركة»[2].

وقد حدد لنا ابن سعد في الطبقات الكبرى مكان هذا اللقاء بقوله: «أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: فَحَدَّثَنِي هَاشِمُ بْنُ عَاصِمٍ الأَسْلَمِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَانْتَهَى إِلَى الْغَمِيمِ أَتَاهُ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الإِسْلامِ فَأَسْلَمَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ. وَكَانُوا زُهَاءَ ثَمَانِينَ بَيْتًا. فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ العشاء فصلوا خلفه»[3].

أين يقع الغميم

الغميم: موضعٌ، أرضه أخذت اسمها من صفة مكوناتها الطبيعية، ففي القاموس «الغَمِيم: النَّبَاتُ الأَخضر تَحْتَ الْيَابِسِ»[4].

بالرجوع إلى معاجم الأمكنة والبلدان، لم نجد إلا موضعاً واحداً بهذا

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر.
(٢) إمتاع الأسماع ج١ ص٦٠ ط١ دار الكتب العلمية-بيروت.
(٣) الطبقات الكبرى، ج٤ ص١٨٢ ط١- دار الكتب العلمية-بيروت .
(٤) تاج العروس للزبيدي، مادة غميم.

الاسم بين مكة والمدينة، له شهرة واسعة في كتب الحديث والسيرة النبوية، وما زال معروفًا اسمًا ورسمًا.

جاء في أحداث غزوة بني لحيان في كل كتب السيرة واللفظ للواقدي، قولُ النبيّ ﷺ «...إنّ قُرَيْشًا قَدْ بَلَغَهُمْ مَسِيرِي وَأَنِّي قَدْ وَرَدْتُ عُسْفَانَ، وَهُمْ يَهَابُونَ أَنْ آتِيَهُمْ، فَاخْرُجْ فِي عَشَرَةِ فَوَارِسَ. فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِيهِمْ حَتّى أَتَوْا الْغَمِيمَ»[1]، هذا يعني أن الغميم قريب من عسفان بينها وبين مكة.

و في أحداث غزوة الحديبية يقول ابن كثير «قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَخَرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعُسْفَانَ لَقِيَهُ بِشْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ سَمِعَتْ بِمَسِيرِكَ فَخَرَجُوا مَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ، قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ وَقَدْ نَزَلُوا بِذِي طُوًى، يُعَاهِدُونَ اللهَ لَا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ قَدْ قدمُوا إِلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ»[2].

وكما قلنا فإن المكان معروف، وحدده بدقة البلادي بقوله» الغَمِيْم: بفتح الغين، وكسر الميم، ثم ياء مثناة من تحت، وميم: مكان كان يعرف بكراع الغَمِيم، وهو نعف منقاد من حرة ضجنان يغشاه الرمل، ولذا فقد سمي اليوم برقاء الغميم، والبرقاء والأبرق: مرتفع تختلط فيه الحجارة بالرمل.

تبعد برقاء الغميم أو كراع الغميم «٦٤» كيلاً من مكة على طريق المدينة، يراها من يسير على هذا الطريق يمينه. وتبعد عن عسفان «١٦» كيلاً، في طريق مكة»[3].

لكن رغم كل ذلك نجد أن بعض أقدم المصادر مثل البكري في كتابه «معجم ما استعجم» وهم في تحديد الموقع، والظاهر أنه هو مصدر الوهم الذي نقله بعض من جاء بعده.

(١) مغازي الواقدي، غزوة لحيان .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير، غزوة الحديبية.

(٣) معالم مكة التأريخية والأثرية ج١ ص ٢٠٥-دارمكة للنشر .

قلت: وصدق الشيخ عاتق البلادي رَحِمَهُ اللَّهُ فرغم وضوح موقع هذا المعلم، وشهرته، وبقائه معروفاً باسمه ورسمه إلى الآن، فما زلنا نجد من ينقل هذا الوهم إلى اليوم.

الغميم الموهوم عند البكري

يقول البكري(ت٤٨٧) «الغميم: بفتح أوّله، وكسر ثانيه، تقدّم ذكره وتحديده في رسم العقيق. وكراع الغميم: إليه منسوب. وقال ابن حبيب: الغميم بجانب المراض، والمراض بين رابغ والجحفة».

وبعد كلام عن موضع آخر باسم (الغُمَيِّم)، رجع إلى الغميم، فقال:» وفى الحديث أنّ النّبيّ ﷺ خرج عام الفتح إلى مكّة، فصام، حتّى بلغ كراع الغميم، فأفطر. وكراعه: طرف من الحرّة تمتدّ إليه»[1].

والغميم الوارد في الحديث هو الغميم الذي بين عسفان ومكة، الذي تقدمت الإشارة إليه، وهو المعروف إلى يوم الناس هذا.

ثم جاء بعده نصر الفزاري الإسكندري[2](ت٥٦٠) ثم ياقوت(ت٦٢٦) الذي قال» كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة، والغميم موضع له ذكر كثير في الحديث والمغازي.

وقال نصر: الغميم موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة..»[3].

---

(١) معجم ما استعجم، ٣/ ١٠٠٦، ط٣، الناشر: عالم الكتب، بيروت

(٢) نصر الفزاري (٠٠٠ - ٥٦٠ هـ) (٠٠٠ - ١١٦٥ م) نصر بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن علي بن الحسين بن زياد بن عبد القوي الفزاري، الاسكندري (أبو الفتح) فاضل، له معرفة بالادب، وتقويم البلدان قدم بغداد قبل سنة ٥٦٠ هـ وسمع بها من شيوخ ذلك الوقت وجالس العلماء، وحدث بشيء يسير عن الحافظ ابي القاسم ابن عساكر وهو يومئذ حيا بدمشق، ودخل اصبهان، وتوفي بها ظنا.

من آثاره: كتاب كبير في اسماء البلدان والامكنة والجبال والمياه، واجزاء في الحديث

(٣) معجم البلدان، رسم: الغَميم

قلت: أورد ياقوت أبياتاً لكثيّر عزة، من قصيدة معروفة، يعدد فيها بعض المواضع من مكة إلى المدينة على طريق الجادة، يقول فيها:

قِـفْ تـأمّـلْ وأنـتَ أبـصـرُ منّي
هـلْ تَـرى بـالـغَـمِـيـمِ مـنْ أجـمـالِ
قَـاضـيَـاتٍ لُـبَـانَـةً مِـنْ مُـنَـاخٍ
طـوافٍ ومـوقـفٍ بـالـجـبـالِ
قِـلْـنَ عُـسْـفَـانَ ثـمَّ رُحْـنَ سِراعـاً
طـالِـعَـاتٍ عَـشِـيَّـةً مِـنْ غَـزَالِ

هذه الأبيات تدل بوضوح على أن الغميم بين عسفان ومكة، وليس بين رابغ والجحفة، كما يقول البكري ومن تبعه.

مناقشة تحديد البكري للغميم

نقف مع هذا التحديد عدة وقفات:

١ - قال ابن حبيب[1] «الغميم بجانب المراض» هذه العبارة تبدو صحيحة، لأن هناك موضعان يطلق عليهما المراض، حدّدهما صاحب القاموس بقوله» المَرَاضَانِ، بالفَتْحِ: وادِيانِ مُلْتقاهُما واحِدٌ. قالَهُ اللَّيْثُ. أَو هُما مَوْضِعانِ أَحدهُما لسُلَيْمٍ، والآخَرُ لهُذَيْلٍ»[2].

(١) محمد بن حبيب (٠٠٠ - ٢٤٥ هـ) (١) (٠٠٠ - ٨٦٠ م) محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي مولاهم، البغدادي.
عالم باللغة والشعر والاخبار والانساب.
ولد ببغداد، وروى عن ابن الاعرابي وابن الكلبي وقطرب وابي عبيدة وابي اليقظان، وأكثر الاخذ عنه أبو سعيد السكري، وتوفي
بسامراء في ذي الحجة.
من مؤلفاته الكثيرة: المختلف والمؤتلف في أسماء القبائل، المحبر، غريب الحديث، المذهب في أخبار الشعراء وطبقاتهم، ونقائض جرير والفرزدق.

(٢) تاج العروس للزبيدي، مادة: مرض.

هـذا الـكلام منقول عـن الهجري، الذي قـال: «هما مَراضـان، فمَراض سـليم من الطرف ونخل، وهو مسـتراض ماء، والمراض الآخر بدار هذيل، يذكره شعراؤهم»[1]

إذاً: همـا موضعـان يسـمى كل منهما المَراض: مراض سُـليم في شـرق المدينـة، علـى طريـق الربـذة، نقـل السـمهودي عن ابـن سـعد» المراض: كسـحاب موضع بناحية الطرف على سـتة وثلاثين ميلا من المدينة، قاله ابن سعد، ويضاف إليه «روضات المراض»[2].

قلت: وهذا المراض خارج نطاق بحثنا هذا.

والمـراض الآخـر لهذيـل، وهو الـذي يعنينا هنـا، وهو الواقـع بجانب الغميم، كما قال ابن حبيب.

٢- كلمة المَراض في اللغة «مأْخوذةٌ من اسْـتِراضَةِ الماءِ، وَهُوَ اسْتِنْقاعُه فِيهَا، والرَّوْضَةُ مأْخوذةٌ مِنْهَا»[3].

وفي القاموس: «المَراضُ: صَلابةٌ في أَسْفَلِ سَهْلٍ تُمْسِكُ الماءَ»[4]

٣- نقل ياقوت عن الواقدي قوله «وقال الواقدي: بين ضجنان ومكّة خمسـة وعشرون ميلا، وهي لأسلم وهذيل وغاضرة»[5].

والغميـم هـو الامتداد الشـمالي لحرة ضجنـان، كما مر معنـا في تحديد البلادي، يعني أن الغميم لهذيل تشترك فيه مع بعض القبائل الأخرى.

٤- وادي الهدّة الواقع بلحف الغميم لقبيلة لحيان من هذيل التي غزاها النبي ﷺ في غزوة لحيان، وموقع الرجيع غير بعيد عنه.

---

(١) التعليقات والنوادر، ص١٥٨٩.

(٢) وفاء الوفا ج٤ ص١٤٣-دار الكتب العلمية-بيروت.

(٣) تاج العروس، مادة: مرض.

(٤) مادة: روض.

(٥) معجم البلدان، رسم: ضجنان.

٥- ديار هذيل لا تتجاوز سهل وادي غران شمالاً.

٦- الغميم المعروف اليوم يقع بجانب ملتقى أودية كثيرة قادمة من الاتجاهات الثلاثة من الجنوب وادي الصغو، وفروعه الكثيرة، ومن الشرق وادي الهدّة (اللصب)، وروافده، ومن الغرب أودية جبال الخشاش الهابطة شرقًا، وتجتمع كلها في دارة واسعة بجانب الغميم، حددها صاحب القاموس بقوله: «دارَةُ (المَرَاضِ)، كسَحَاب: مَوضع لهُذَيْل»[1]، وفي هذه الدارة يقع «غدير الأشطاط» الوارد في السيرة النبوية.

٧- نأتي إلى الجزء الأخير من تحديد البكري للغميم» والمراض بين رابغ والجحفة».

هذا الجزء ينقض ما قبله، لأن المراض الموجود بجانبه الغميم بعد عسفان في اتجاه مكة، وقد نبّه إلى ذلك البلادي فقال: «قلت: قوله، بين رابغ والجحفة وهْمٌ، وشعر كثير لا يدل على ذلك».[2]

قلت: والظاهر أن هذه العبارة من زيادات البكري، وهو رَحِمَهُ اللَّهُ إذا اجتهد أحيانًا في تحديد الموضع يأتي بطوامّ، لأنه لا يعرف هذه المواضع عن مشاهدة، فهو ينقل عن مصادر مهمة، كثير منها فُقد، وهذا يجعل لكتابه أهمية كبيرة، بالإضافة إلى أنه متقدم نسبيًا (القرن الخامس)، لذلك قيل «خذ نقل البكري، واحذر اجتهاده»[3].

كل المعطيات السابقة تدل على أن المراد من قول ابن حبيب «الغميم بجانب المراض» هو الغميم المعروف اليوم بنفس الاسم، المتقدم تحديده بدقة جنوب عسفان في اتجاه مكة المكرمة، في أرض هذيل، وليس بين

(١) تاج العروس، مادة: دور

(٢) معجم معالم الحجاز ج٦ ص٢٦٤

(٣) قول لأحد الباحثين المعاصرين هو د. حمود بن مطلق الدغيلبي

الجحفة ورابغ، حيث لا دار لهذيل بينهما، وتصبح صحة العبارة: (والمراض بعد رابغ والجحفة).

نعود إلى الغميم الذي الْتقى عنده الركب النبوي ببريدة بن الحُصيب، هل هو الغميم المتقدم الواقع قبل عسفان على المحجة، أو غميم غيره؟

في الحقيقة لا يمكن أن يكون هو لأسباب عديدة:

أولاً: هذا الغميم على الجادة العظمى بين مكة والمدينة، والركب النبوي تنكب الجادة ولم يسلكها إلى أن وصل المدينة، سوى جزء يسير بين القاحة والعرج.

ثانيـاً: هذا الغميم قريب من عسفان، وهو على الطريق الجادة المؤدية إليها.

وفي قصة إسلام عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام، يقول ابن سعد:» أنهما خرجا مهاجرين وجاء الخبر قريشاً، فخرج خالد بن الوليد ومعه نفر من قومه حتى بلغوا عسفان فلم يصيبوا أثراً ولا خبراً عنهم، وكان القوم قد أخذوا على يد بحر (أي طريق البحر) حتى خرجوا على أمج، طريق النبي ﷺ التي سلك حين هاجر إلى المدينة «[1].

في هذا دليل واضح أن الركب النبوي لم يمر بالغميم الذي في الطريق الأعظم إلى عسفان.

ولا بالثنايا ولا بالحرار التي حول عسفان وإلا كانوا وجدوا لهم خبراً أو أثراً هناك، ولكنهم اتجهوا مباشرة من الساحل إلى أسفل أمج.

ثالثـاً: في الغميم الذي التقى فيه الركب النبوي مع بريدة بن الحصيب، قال له النبي - ﷺ - «**أين تركت أهلك؟ قال: بغدير الأَشطاطِ**».

(١) الطبقات الكبرى، ج٤ ص٩٩ ط١، دار الكتب العلمية

وغدير الأشطاط على مرأى من الغميم الذي على الجادة، فلو كان اللقاء في هذا الغميم لكان أشار إليهم، وقال: (ها هم يا رسول الله) ﷺ، أو بعبارة مشابهة.

كما أن رواية المقريزي التي تقول إن بريدة بن الحصيب الأسلمي عندما التقى الركب النبوي كان في ركب من قومه **يريدون موقع سحابة**، وفي هذا ما يدل على أنهم كانوا بعيدين عن أهليهم النازلين على غدير الأشطاط.

رابعًا: للشيخ عبد الله بن محمد الشائع قول نفيس في استبعاد أن يكون الركب النبوي قد سلك فج الكريمي ومر قريبًا من الجادة العظمى.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعروف أن هذا الوادي يكثر فيه السكان؛ وذلك لوفرة المياه، ومن يسلك مع هذا الطريق الذي وصفوه يقترب من الثنايا المسلوكة من مكة إلى وادي مر الظهران، وهذه الثنايا يسلكها من يخرج من مكة إلى المدينة، وهي على التوالي من الشرق إلى الغرب، (ثنية البيضاء)، (ثنية رحى)، و(ثنية المُرير). وهذا الاتجاه هو مظان وجود من سارع من أهل مكة وما جاورها لاعتراض الركب النبوي سعيًا وراء الحصول على الجائزة السخية المبذولة لهذا الغرض.

والقول: إن الركب النبوي نفذ مع (فج الكريمي) الذي قيل: إنه «ثنية المرار» ليسلك بعد ذلك وادي الصغو باتجاه عسفان. فهذه الناحية الواقعة بين حرة ضجنان، وكراع الغميم شرقًا، وبين الجبال الغربية مكشوفة، ومعها جادة الطريق الرئيس من مكة إلى المدينة منذ العصر الجاهلي»[1]

غميم اللقاء مع بريدة الأسلمي

عندما وصل الركب النبوي النهاية الشمالية لساحل جدة عشية يوم الأحد رابع أيام الخروج من غار ثور كانت تمتد أمامه حرة معترضة مستطيلة تشبه تمامًا حرة ضجنان، ولها نهاية تشبه تمامًا الغميم على الجادة العظمى.

(١) مواضع بعض الغزوات والسرايا النبوية، عبد الله الشايع، ط١، دارة الملك عبد العزيز

هذه الحرة هي حرة ذهبان، ونهايتها المستدقة تسمى اليوم (حرة الوقر).

هذا الشكل من الحرار يسمى (كراع).

جاء في مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي[1]: « وما كان مستطيلا (من الحرار) ليس بواسع فهو لابة. ويقال له كراع»[2].

وإلى يساره غير بعيد لسان من البحر ممتد في الساحل يطلق عليه أيضاً الكراع[3]، فهذه الصفات يمكن أن تعطي هذا المكان اسم (كراع الغميم)، فلعل هذا هو السبب في إطلاق (الغميم) على مكان هذا اللقاء، وخاصة أنه لا يوجد مكان مشابه لهذا الشكل من الحرار على طريق الهجرة إلى المدينة، ولعلنا بهذا نستطيع أن نعتبر هذا الغميم من الفوائت البلدانية[4]. والله أعلم.

اليوم الخامس (الاثنين الثامن من ربيع الأول)

الركب النبوي يعارض الطريق أسفل من عسفان

بعد أداء صلاة الصبح يوم الاثنين، ودّع الركب النبوي بريدة وقومه، على أن يلحقوا بالمدينة بعد أن يستتب الأمر فيها للنبي ﷺ، واستأنف الركب النبوي المسير شمالاً.

بعد مسافة قصيرة من خشم حرة (الوقر) هبطوا في حوض وادي

(١) ابن عَبْد الْحَقّ (٦٥٨ - ٧٣٩ هـ = ١٢٦٠ - ١٣٣٨ م)

عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين: عالم بغداد في عصره. مولده ووفاته فيها. كان يضرب به المثل في معرفة الفرائض. له «معجم» في رجال الحديث، و«مراصد الاطلاع في الأمكنة والبقاع - ط » اختصر به معجم البلدان لياقوت، (الأعلام للزركلي)

(٢) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١ ص٣٩٤ - دار الجيل -بيروت

(٣) يسمى اليوم كراع عويمر، والاسم الأشهر "شرم أبحر"

(٤) الفوائت البلدانية المقصود بها ورود ذكر لموضع أو معلم في الروايات والمصادر الحديثية أو التاريخية أو الأدبية، ولم يرد في كتب معاجم البلدان.

(الغـولاء)[1]، وهنـا عـارض (تقاطع) الركـب النبوي مع الطريق السـاحلي الملاصق للبحر القادم من ذهبان[2]، المتجه شـرقـًا إلى عسفان، وهو الطريق الذي أشار إليه ابن إسحاق بقوله « **ثُمَّ مَضَى بِهِمَا عَلَى السَّاحِلِ، حَتَّى عَارَضَ الطَّرِيقَ أَسْفَلَ مِنْ عُسْفان**».

قطع الركب النبوي حوض وادي الغولاء، وسار بموازاة جبل الأخل[3]، ثم جزع وادي عويجاء[4]، وبعض المسـايل الصغيـرة الآتيةمن جبل الأخل، ومن الآكام المتناثرة في السـاحل، وبعد مسـير حوالي (٤٧) كم حط الركب رحاله للمبيت في أسفل وادي أمج[5]، في لحف حرة، اسمها قديمـًا(المدرة)[6]، واسمها اليوم (حرة ثول).

وأسـفل وادي أمج يسـمى اليوم وادي ثُوَل (نسـبة إلى اسـم البلدة التي يصـب عليها الوادي، ثم في البحر)، وهو الذي أشـار إليه ابن إسـحاق بقوله (ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا عَلَى أَسْفَلِ أَمَج).

(١) وادي الغـولاء: وادٍ مـن أودية الحجاز الغربية، يبدأ من عسـفان، ثم ينحـدر غربـًا، وتحف به من الجنوب نهاية جبال الخشـاش الشـمالية، ثم حرة الوقر، ويمر سـيل الغولاء بقرية ذهبان على بعد خمسـين كيلاً من جدة شمالاً، ويبلغ طول الوادي ٤٥ كم من عسفان حتى يدفع في البحر (معجم معالم الحجاز للبلادي) باختصار

(٢) ذهبان أيضا قرية بالساحل بين جدة وبين قديد، معجم البلدان. وهي اليوم بلدة كبيرة شمال جدة على البحر.

(٣) جبل مذروب الرأس أعلى مجموعته، بين الغولاء وعويجاء، أسـود تراه وأنت تسـير على طريق جـدة إلـى المدينة إذا تجـاوزت ذهبان يمينك، تسـيل منه في الخبت تلاع، منهـا: أم الذهيب، وأم المراقيب، وأم الكتان. (معجم معالم الحجاز للبلادي، ١/ ٧٣، ط١) .

(٤) وادي صغير بين الغولاء وخليص، يسيل بين حرتين فيصب في الخبت بين ذهبان وثول. (المصدر السابق، ٦/ ١٩٠).

(٥) أمـج وادٍ فحـل من أوديـة الحجاز، يأخذ من حرة بني سـليم، ثـم ينحدر غربـًا، فـإذا وصل بلدة خليص سُـمي وادي خليص، فإذا تجاوز خليصـًا ودفع في السـاحل سُمي وادي ثُوَل حتى يفرغ في الساحل (معجم معالم الحجاز للبلادي) باختصار.

(٦) المَـدْرة وهـي حـرة بين ذي يعـترض (وادي الوسـامي) وبيـن (وادي) ثـول وهو أسـفل وادي ساية(أسفل ساية أمج).الأمكنة و الجبال و المياه، ص٢٦٣،ط١،دارعمار-الأردن .

أسفل أمج

اليوم السادس (الثلاثاء التاسع من ربيع الأول)

خيمتي أم معبد في وادي قديد[1]

اليوم هو فجر الثلاثاء التاسع من ربيع الأول، وقد أمضى الركب النبوي خمسة أيام منذ خروجهم من الغار، اعتسفوا فيها مساراً لم يكن معروفاً من قبل، ولذلك قال بعض الرواة أن النبي ﷺ أخذ على غير طريق مخافة الطلب[2]، وقد بلغ بهم التعب مبلغه، ولم يكن معهم زاد معتبر، وقد كانوا خلال الأيام السابقة يسيرون في الساحل تفصلهم عن الجادة العظمى الجبال والحرار. وهذا مصداق لقول ياقوت: «لما هاجر النبي ﷺ لم يزل مساحلاً

(١) قُدَيْدٌ، وَادٍ فَحْلٌ مِنْ أَوْدِيَةِ الْحِجَازِ التِّهَامِيَّةِ، يَأْخُذُ أَعْلَى مَسَاقِطِ مِيَاهِهِ مِنْ حَرَّةِ «ذَرَة» فَيُسَمَّى أَعْلاهُ سِتَارَةَ، وَأَسْفَلَهُ قُدَيْدًا، يَقْطَعُهُ الطَّرِيقُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى نَحْوِ مِنْ ١٢٥ كَيْلًا، ثُمَّ يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ عِنْدَ الْقَضِيمَةِ. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية- البلادي).

(٢) القرطبي تفسير الآية٨٥ من سورة القصص .

حتى انتهى إلى قديد فانتهى إلى خيمة منتبذة.. وذكروا الحديث»[1]؛ يقصد حديث خيمتي أم معبد.

بعد أداء صلاة الفجر تحرك الركب النبوي الميمون من مكان مبيته في طرف حرة ثول[2]، وعندما تجاوزها انكشف حجاب الجبال و الحرار التي كانت تحول دون رؤية الركب لمن هو على الجادة العظمى (طريق الأنبياء، درب القوافل)، و يبدو أن الدليل كان ينوي الاتجاه شَمالاً مع ميل إلى الناحية اليسرى ليبعد عن الجادة بأقصى قدر ممكن، و لكن الركب يحتاج إلى شيء يتزودون به من طعام أو شراب، فالتفتوا يمينا ناحية الجادة فرأوا عن بُعد خيمتين منعزلتين، ومتنحيتين عن الحاضر في طرف وادي قديد، فاتجهوا ناحيتها، مع ما في ذلك من مخاطرة من وجود من يترصدهما ليفوز بجائزة قريش، لكن يبدو أنهم في حاجة ماسة إلى الزاد.

وصل الركب النبوي ضحى الثلاثاء إلى وادي قديد، بعد أن جزع وادي الوسامي، وتوجهوا إلى تلك الخيمة المنتبذة فإذا هي لامرأة من خزاعة تدعى أم معبد.

معجزة نبوية عند أم معبد

وقف الركب النبوي على أم معبد «وكانت امرأة برزة[3]، جلدة[4]، تحتبي[5] بفناء القبّة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مرملين[6]، مسنتين[7]، فنظر رسول

(١) معجم البلدان، ج٢ص٤١٤ ط٢ دار صادر-بيروت .
(٢) يُسمى طرفها اليوم (حرة كنيتيل) .
(٣) هي التي لا تحتجب كالشابات رغم عفافها.
(٤) قوية أو جزلة.
(٥) الاحتباء: هو الجلوس مع ضم الفخذين إلى البطن بواسطة الذراعين.
(٦) أي نفذ ما عندهم كأنهم لصقوا بالرمل.
(٧) أصابتهم سنة أي القحط.

الله -ﷺ- إلى شاة في كسر الخيمة[1]، فقال: ما هذا الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال -ﷺ-: «**بها من لبن؟**» قالت: هي أجهد من ذلك. قال -ﷺ-: «**أفتأذنين لي أن أحلبها؟**» قالت: بأبي أنت وأمي، نعم. إن رأيت بها حلبًا فاحلبها.

فدعا بها رسول الله -ﷺ- فمسح ضرعها بيده، وسمى الله ﷻ، ودعا لها في شأنها، فتفاجت[2] عليه ودرت واجترت، فدعا بإناء يريض[3] الرهط، فحلب فيها ثجًا[4]، حتى علاه البَهاء[5]، ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم -ﷺ- ثم أراضوا[6]، ثم حلب ثانيًا بعد حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها وبايعها، ثم ارتحلوا عنها).

عودة أبي معبد

بعد رحيل هؤلاء الأطهار «ما لبثت إذ جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا، يتساوكن هزلًا، مخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين هذا والشاة عازب حائل[7].. ولا حلوبة في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله: كذا .. وكذا .. فقال: صفيه لي يا أم معبد. قالت: رأيت رجلًا ظاهر الوضاءة .. أبلج[8] الوجه، حسن الخلق .. لم تعبه ثجلة[9] .. ولم

(١) أي جانب الخيمة.
(٢) أي فرجت ما بين رجليها للحلب.
(٣) يريض: أي يروي.
(٤) ثجًا: أي لبنًا سائلاً كثيرًا
(٥) هو بريق رغوة الحليب.
(٦) أي شربوا عللاً بعد نهل أي الشرب الثاني.
(٧) أي لم تحمل.
(٨) مشرق الوجه مسفر.
(٩) ضخامة البطن واسترخاؤه.

تـزر به صعلة[١] .. وسـيم قسـيم، في عينه دعـج[٢] .. وفي أشـفاره عطف[٣] .. وفي صوتـه صهل[٤] .. وفي عنقه سـطع[٥] .. وفي لحيته كثاثة[٦] .. أزج أقرن[٧] .. إن صمـت فعليـه الوقار .. وإن تكلم سـماه وعلاه البهـاء .. أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه من قريب .. حلو المنطق .. فصل لا نذر ولا هذر، كأنه منطقه خرزات نظم تحدرن، ربعة[٨]، لا بائن من طول، ولا تقتحمه عين من قصر[٩]، غصن بين غصنين، هو أنظر الثلاثة منظرًا .. وأحسنهم قدرًا .. له رفقاء يحفون به .. إن قال أنصتوا لقوله .. وإن أمر تبادروا إلى أمره .. محفود محشـود[١٠] .. ولا عابس ولا معتد. قال أبو معبد: هـو والله صاحب قريش الـذي ذكر لنا من أمره. ما ذكر بمكـة «ولقد هممت بأن أصحبه» ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلًا»[١١].

(١) النحافة.

(٢) اشتد سوادها وبياضها.

(٣) الأشفار: طرف جفن العين التي ينبت منها الشعر، أي إنها طويلة حتى انعطفت.

(٤) وقيل: صحل أي أنه حاد الصوت.

(٥) سطع: أي طال عنقه.

(٦) اجتماع وكثرة.

(٧) أي لا قليل ولا كثير.

(٨) وسيط القامة.

(٩) أي لا تتجاوزه العين إلى غيره احتقارًا.

(١٠) مطاع في قومه يسرعون لخدمته.

(١١) المستدرك على الصحيحين للحاكم،

آبار قديد

موقع خيمتي أم معبد

22°20'07.1"N
39°17'03.5"E
آبار قديد

أم معبد، واسمها: عاتكةُ بنت خالد بن خُليف بن مُنقذ بن ربيعةَ، من بني كعب من خزاعة.

وكانت أم معبد تسكن وادي قديد وهو وادٍ طويل (١٢٠ كم)، يبدأ من قَرى الحرة، فيسمى أعلاه استارة إلى أن يخرج من بين الجبال والحرار، ويتفرق سيله (يذهب قدداً) فيسمى قديداً (إذا تجاوز الحميمة)[1]، فإذا جعل الجبال والحرار وراءه وساحل، وجرى في الخبت، صار لبني مدلج من كنانة (قوم سراقة بن مالك)، ومن فوقهم بنو حرام من كعب من خزاعة (قوم أم معبد)، وفوقهم بنو المصطلق.

(١) الحميمة: قارة (جبل بركاني أسود) يفترق عنها وادي قديد في مضيقه، غرب البحول (البلادي). والحد المعروف اليوم بين قديد واستارة هو الظبية (معجم معالم الحجاز ٦/ ٩). قلت: قديماً كان الحد أسفل من ذلك؛ فقد كانت البخترية تعتبر من استارة.

وبهذا تكون أم معبد في موقع وسط من وادي قديد، قرب الجادّة، أسفل منها بنو مدلج من كنانة، جهة ساحل البحر، وفوقها بنو المصطلق شرقاً منها، قرب الحميمة، أعلى وادي قديد.

وقد خلد التاريخ اسم أم معبد لارتباطه بتلك البركات التي حلت عليها عندما ضافها نبينا ﷺ مع ركبه الميمون، وكانت شاهدة على تلك المعجزة الربانية التي جعلت شاة حائلَ عجفاء تتحول إلى مصدر لدرّ لبن لا ينضب.

أسلمت أم معبد، وقيل إنها هاجرت إلى النبي ﷺ، لكنها استمرت في مكانها من وادي قديد، وتزور المدينة بين الفينة والأخرى حتى توفيت رحمها الله. ولها أخبار مبثوثة في كتب الحديث والأنساب، منها ما جاء في كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري يقول: «قالت أم معبد الخزاعية: رأيت عثمانَ، وعبدَ الرحمن بن عوف في آخر خلافة عمر؛ ونساء النبي ﷺ قد حججن؛ وابن عفان يسير أمامهن على راحلته، فإذا دنا منهن إنسان، قال إليك إليك؛ وابن عوف وراءهن يفعل مثل ذلك. ولما نزلن، ستر عليهن بالشجر من كل ناحية. فلما رأيتهن، بكيتُ، وقلتُ لهن: ذكرتُ رسول الله ﷺ حين نزل بهذا الموضع، فبكين معي، وعرفنني فأكرمنني، ورحبّن بي، ووصلتني كل امرأة منهن بصلة، وقلن: إذا أخرج أمير المؤمنين العطاء فاقدمي علينا، فقدمتُ عليهن فأعطتني كل امرأة منهن خمسين ديناراً. وكنّ سبعاً»[1].

قول أم معبد: «حين نزل بهذا الموضع» دليل على قرب خيمتها من الجادة العظمى.

أما الزمخشري، وهو ينقل عن الشريف عُليّ بن وهاس، فيحدد موقعها تحديداً جيداً نسبياً، وإن كان فيه شيء من الغموض، فيقول: «وقُدَيد وهي قرية فيها بئار، وهي خيمتا أم معبد»[2].

(١) أنساب الأشراف للبلاذري، ج١ ص٤٦٥ ط١، دار الفكر-بيروت

(٢) الجبال والأمكنة والمياه، ص٢٦٣ ط١، دار عمار-الأردن

لعل المقصود؛ إن قديداً وادٍ به قرية، وفي هذه القرية بئار عندها خيمتا أم معبد.

وحدد مكانها التقريبي البكري «ومن المشلل[1] إلى قديد ثلاثة أميال، وبينهما خيمتا أم معبد»[2]

يعني على الطريق من ثنية المشلل إلى قديد، ويوضح هذا المعنى النص التالي:

قال الزبير بن بكار في الجمهرة: «خرجنا مع محمد بن عباد إلى العمرة، فإنا لبقرب قديد، إذ لحقنا الأحوص الشاعر على جمل برحل، فقال: الحمد لله الذي وفقكم لي، ما أحب أنكم غيركم، ما زلت أحرك جملي في آثاركم منذ رفعتم لي ولا أعرفكم، فازددت بكم غبطة حين عرفتكم. فأقبل عليه محمد بن عبّاد فقال: لكنا والله ما غبطنا أنفسنا بك، ولا نحب مسايرتك. فتقدم عنا أو تأخر. فقال: والله ما رأيت كاليوم جواباً! قال: هو ذاك.

وكان محمد رجلاً جديّاً يكره الباطل وأهله، فأشفقنا مما صنع، ولم نستطيع أن نرد عليه، ونحن معه عدّة من آل الزبير. وتقدم عنا الأحوص، ولم يكن لي شأن غيره أن أعتذر إليه، وأفرق من محمد. فلما هبطنا من المشلل على خيمتي أم معبد، سمعت الأحوص يهمهم بشيء، فتفهمته، وهو قد بدرني (تقدم عني)، ومحمد خلف خيمتي أم معبد، فإذا هو يقول: « خيمتي أم معبد»، « محمد»، كأنه يهيئ القوافي إلخ»[3].

(١) بضمّ أوله، وفتح ثانيه، وفتح اللام وتشديدها، وهي ثنيّة مشرفة على قديد، البكري، رسم:المشلل

(٢) معجم ما استعجم ج٣ص٩٥٦ ط٣: عالم الكتب-بيروت

(٣) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ج١ ص٧٤ تحقيق محمود شاكر-مطبعة المدني

قلت: يدل هذا النص، والذي قبله على أن موقع الخيمتين قريبتان من طريق القوافل (طريق الأنبياء)، للهابط من ثنية المشلل وقبل قديد.

وثنية المشلل هي ثنية على قفا حرة المشلل، كانت عليها الجادة العظمى (طريق الأنبياء)، حتى نهاية القرن الأول الهجري، ثم تحول عنها إلى نعفها[1]، عندما أمر الوليد بن عبد الملك في خلافته بعمل المنار (أعلام الطريق) فجرت عدة تعديلات طفيفة على المسار الأصلي للجادة العظمى (طريق الأنبياء).

والنصوص كلها متضافرة على أن خيمتي أم معبد، أو ما يطلق عليه اليوم (أرض أم معبد) محصورة بين ثنية المشلل و وادي قديد، وأقرب تحديد يدلنا على موقعها، هو تحديد الزمخشري لأنه ربطه بوجود بئار عند الخيمتين، والبئار القديمة، معروف منها اليوم بئر المصنوع، وبئر ثانية بجانبها، وينطبق على موضعهما الأوصاف التي ذكرتها المصادر لموقع الخيمتين، لكن موضع الخيمتين بالضبط غير معروف، ولم تحدده المصادر التي وصلت إلينا بدقة حسب علمي، والموضع الذي يقال اليوم أنه مكان الخيمتين لا يتفق موقعه مع وصف المصادر التي مرت معنا[2]. والله أعلم.

(١) النَّعَف: مَا انحدر عَن غِلظ الْجَبَل، وارتفع عَن مَجْرَى السَّيْل. تهذيب اللغة للأزهري، باب العين والنون

(٢) الخيمة بطبيعتها غير ثابتة، ولأجل أن يُعرف مكانها لأزمنة طويلة، يحتاج الأمر لبناء ثابت، وهذا لم يحدث، حسب ما بين أيدينا من المصادر.

وصف الطريق من قديد إلى الخرار

المسافة من قديد إلى الخرار تصل إلى (٥٠) كم، لم تغطها رواية ابن إسحاق سوى بقوله « ثُمَّ اسْتَجَازَ بِهِمَا، حَتَّى عَارَضَ بِهِمَا الطَّرِيقَ، بَعْدَ أَنْ أَجَازَ قُدَيدًا، ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا مِنْ مَكَانِهِ ذَلِكَ، فَسَلَكَ بِهِمَا الْخَرَّارَ..»، ولتتبع هذا الجزء من الطريق لابد أن نستعين بمصادر أخرى تعيننا على معرفة المسار الصحيح الذي سلكه الركب النبوي، بالقدر الذي تمكننا منه النصوص الواردة في تلك المصادر.

رغم أن ابن إسحاق لم يورد في سيرته استضافة أم معبد للركب النبوي، لكن نفهم من سياق عبارة ابن إسحاق الموجزة أن الركب النبوي غادر أم معبد ووادي قديد في اتجاه الشمالي الغربي، مبتعدين عن الجادة العظمى بأقصى قدر ممكن، فلما تجاوزوا وادي قديد، وصاروا قريبين من شاطئ

البحـر، بين مصب واديي قديد، ودوران[1]، أبصر بهـم أحد أفراد قبيلة مدلج مـن كنانة فجاء إلى مجلس قومه في أسـفل قديد[2]، وقال لهم: إني رأيت آنفاً أسـودة بالسـاحل[3]،أُراها محمداً وأصحابه، وهنا حصلت حادثة سـراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني[4].

يقول ابن سـعد، والبلاذري واللفظ لابن سعد «فَقَالَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ بِقُدَيْدٍ. فَلَمَّا رَاحُوا مِنْهَا عَرَضَ لَهُمْ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ»[5].

وينقـل الحافظ ابـن حجـر، والسـمهودي، وغيرهما، عن ابن سـعد أن معارضة سـراقة للركب النبوي كان في قديد تحديداً، قالوا: «وَذكر ابن سَـعْدٍ أَنَّ سُرَاقَةَ عَارَضَهُمْ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ بِقُدَيْدٍ»[6].

ذلـك، لأن سـراقة من أهـل قديد، ومن هـذا الوادي بـدأ يتعقب الركب النبوي، المحفوظ بحفظ الله تعالى.

ولندع سراقة يحدثنا بنفسه عن الواقعة كما رواها البخاري:

«قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ وَهُوَ ابْنُ أَخِي

(١) دوران وادي قاحـل مـن أودية الحجاز يقع بين قديد و كلية، يسـيل من الجبال المتصلة بحرة ذرة مـن الغرب، ثم ينحدر غرباً بين جبل فرسـان شـمالاً، و ثنيـة الرغامة فحرة المشـلل (القديدية) جنوباً، حتى يبحر عند قرية صعبر(معجم معالم الحجاز-البلادي)

(٢) منازل بني مدلج أسـفل قديد، وهو منزل سـراقة بن مالك، ولذلك توعّد أبو جهل يوم بدر سراقة بن مالك بقوله «سَيَعْلَمُ إِذَا رَجَعْنَا إِلَى قُدَيْدٍ مَا نَصْنَعُ بِقَوْمِهِ!». الواقدي، المغازي، بدر القتال.

(٣) رأيت أسودة بالساحل: يعني رأيت أشخاصاً لا أتبينهم، لبعدهم، قريبين من البحر.

(٤) سُرَاقَة بن مالِك (٠٠٠ - ٢٤ هـ = ٠٠٠ - ٦٤٥ م) سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، أبو سفيان: صحابي، له شعر. كان ينزل قديدا.
له في كتب الحديث ١٩ حديثا. وكان في الجاهلية قائفا، أخرجه أبو سـفيان ليقتاف أثر رسـول الله ﷺ حين خرج إلى الغار مع أبي بكر. وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨ هـ

(٥) الطبقات الكبرى، ج١ ص١٧٩ ط١-دار الكتب العلمية-بيروت، سـبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (قصة سراقة رضي الله عنه)

(٦) فتح الباري، باب هجرة النبيّ ﷺ، وفاء الوفا، ١/ ١٨٨

سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ قَالَ سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ أَخْفِ عَنَّا فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ...»

22°26'21.0"N
39°11'38.0"E
حادثة سراقة

مكان حادثة سراقة

يمكـن أن تسـتنتج من تفاصيل الرواية السـابقة، أن سـراقة أدرك الركب النبـوي، وهـم في أرض سـبخة (العثـان دخان البخـور خاصة، وهـو دخان أبيـض)، وهذا دالٌّ علـى أن الأرض التي أدركهم عليهـا أرضٌ ملحية[1]،مما يشير إلى أنهم مازالوا غرب طريق الجادة قريباً من البحر.

وهناك نص آخر يؤكد ذلك، و هو ماجاء في مسند ابن الجعد «..حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَرْضٍ صَلْبَةٍ، كَأَنَّهَا مُجَصَّصَةٌ جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهِ السَّـلَامُ، فَقَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، قَدْ أُتِينَا فَقَالَ: «كَلَّا» قَالَ: فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِدَعَوَاتٍ فَارْتَطَمَ فَرَسُـهُ إِلَى بَطْنِهِ قَالَ: قَدْ أَعْلَمُ أَنْ قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوا لِي وَلَكُمَا عَلَيَّ أَنْ أَرُدَّ النَّاسَ عَنْكُمَا، وَلَا أَضُرُّكُمَا قَالَ: فَدَعَوَا لَهُ، فَرَجَعَ..الحديث»[2]

وفي لفظ لمسلم «..وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُتِينَا، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا» فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ فَرَسُـهُ إِلَى بَطْنِهَا، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ فَدَعَا اللهَ، فَنَجَا، فَرَجَعَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا»[3].

كل تلـك النصـوص دالة على أن المـكان الذي أدرك فيه سـراقة الركب النبـوي، هـو مكان غرب الجـادة قرب البحر علـى غير طريق الجـادة. يؤيد ذلك، حديث بن عباس عند ابن عائذ: «وركب سـراقة فلما أبصر الآثار على غير الطريق وهو وجِلٌ أنكر الآثار فقال والله ما هذه بآثار نعم الشام ولا تهامة فتبعهم حتى أدركهم».[4]

(١) وهذا هو أيضاً رأي الدكتور زهير نواب (جيولوجي، رئيس هيئة المساحة الجيولوجية السابق)، أطلس طريق الهجرة النبوية، هامش ص ٩٥

(٢) ج١ ص٣٧٦ ط١، مؤسسة نادر-بيروت

(٣) صحيح مسلم، ج٤ ص٢٣٠٩، دار إحياء التراث العربي-بيروت

(٤) فتح الباري لابن حجر، باب هجرة النبي ﷺ

بتأمل تلك النصوص، وتطبيقها على الأرض، يمكن أن نحدد المكان الذي أدرك فيه سراقة بن مالك ﷺ الركب النبوي بشيء من الاطمئنان، أنه في أسفل وادي دوران، قرب مصبه في البحر[1]

معارضة الجادة العظمى (طريق القوافل)

استأنف الركب المسير، بعد أن رجع عنهم سراقة، فأجاز بهم الدليل من مكانهم ذلك حتى عارض بهم الجادة العظمى (طريق الأنبياء-طريق القوافل)، فتنكبه، كما فعل عندما عارض الطريق الساحلي أسفل من عسفان.

واستعمال ابن إسحاق لمفردة (استجاز، وأجاز) في وصف المسار بعد قديد، دقيق في الدلالة على ذلك، لأن أجاز بفلان الموضعَ، يعني «قاده حتى قطعه وتعداه وخلفه وراءه»[2].

ريع كوثر

(١) في موقع محطة قطار الحرمين في مدينة الملك عبد الله الاقتصادية، أو في مكان قريب منه جداً.

(٢) المعجم الوسيط، باب الجيم.

طريق الجبال

طريق القوافل، أو الجادة العظمى بين قديد والخرار مروراً بالحجفة، يأخذ في سهل (خبت) مفتوح على كل الاتجاهات، فلا توجد عوائق طبيعية تحد من مدى الرؤية لمن يسلك هذا الطريق، وتبين ذلك في حصول حادثة سراقة في هذا السهل، عندما لمحهم شخص من مكان بعيد.

والركب النبوي لدواعي أمنية يتجنب سلوك مثل هذا الطريق، لذلك عندما تنكب طريق الجادة، بعد حادثة سراقة، أخذ في اتجاه الشمال الشرقي، جهة الجبال، مبتعداً عن الجادة العظمى بأقصى قدر ممكن، حتى لو كان ذلك على حساب الوقت والجهد، لأن العامل الأمني كان له الأولوية، وهذا التصرف من الدليل يفصح عن نيته في أنه سيأخذ بهم (طريق الجبال).

وطريق الجبال هذا أشار إليه الإدريسي[1] بقوله: «وطريق آخر من مكة إلى المدينة وهو طريق الجبال وفيه تحليق، وذلك أن يأخذ المار من مكة في طريق الساحل إلى بطن مر ثم إلى عسفان ثم إلى قديد إلى الخرار إلى ثنية المرأة إلى مدلجة مجاح إلى بطن..»[2].

نفهم من هذا النص أن طريق الجبال يأخذ من قديد إلى الخرار إلى ثنية المرة..إلخ، بدون المرور على الجحفة، أو السير على الطريق العامة. وقوله (وفيه تحليق)، إشارة إلى أن هذا الطريق يأخذ أعالي الأودية وسفوح الجبال.

(١) محمد الادريسي (٤٩٣ - ٥٦٠ هـ) (١١٠٠ - ١١٦٥ م) محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس ابن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن احمد الادريسي، الحسني، الطالبي (أبو عبد الله، الشريف) مؤرخ، جغرافي، نباتي، رحالة، اديب، شاعر ولد في سبتة، ونشأ وتعلم بقرطبة، ورحل رحلة طويلة انتهى بها إلى صقلية فنزل على صاحبها روجار الثاني.
من آثاره: نزهة المشتاق في اختراق الافاق وضعها لروجار الثاني المذكور، الجامع لصفات اشتات النبات، روض الانس ونزهة النفس ويعرف بالممالك والمسالك، وانس المهج وروض الفرج. (الأعلام للزركلي).

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الباب الخامس، ١/ ١٤٢، ط١، الناشر: عالم الكتب- بيروت

هذا الطريق (طريق الجبال) يتطابق مع رواية ابن إسحاق المعتمدة لطريق الهجـرة النبوية الميمونة ابتداءً من قديد إلى آخر الطريق. وبتنزيله على أرض الواقع، نرى الدليل قد استجاز بهم السهل المنبسط الذي تقطعه الجادة حتى هبط بطون أودية كُلَيّة[1]، وخرج منها إلى خبت واسع اسمه اليوم (نثلة كُلية)، يفصلـه عن الجـادة أراضي مرتفعة (صُمـود)[2] غربـاً، وشـرقاً جبال ذروة، وبهذا أصبحوا في مأمن من أن يلحظهم أحد من أهل الطريق العامة، واتجهوا شـمالاً، وجزعوا وادي قريبـاء، ووادي قِرْبى، ووادي دَفيـن، ووجهتهم ريع (كوثر)، ومنه إلى الخرار.

والوصول إلـى الخرار عن طريق ريع الكوثر يلبـي كل متطلبات الركب فهو بعيد عن الجادة وتستره الجبال ويتوفر على الماء والكلأ، وفوق ذلك هو أقرب بكثير للخرار من سـلوك الجادة، والتأمل في رواية ابن إسـحاق ترشدنا مباشرة إليه.

فإذا كان عبد الله بن أريقط خريتـاً حقـاً فلن يعدوه.!

صعـدوا ريـع كوثر ثـم هبطوا منـه؛ وريع (كوثـر)[3] ريعٌ سـهل الصعود

---

(١) بِضَمِّ الكاف وفتح اللام وتَشْـدِيْدِ الياء -قال الكندي (رسـالة عرام): وادٍ يأتيك من شـمنصير، بقُربَ الجحفة، وبكلية على ظهر الطريق ماء آبار يُقَالُ للآبار كلية، وبهن سـمي الوادي. **قلت:** لا يأتي وادي كلية من شـمنصير، بل من حرة ذرة، وشـمنصير بعيد جداً عن الجحفة. وهذا من أوهام عرام.

و أضـاف البـلادي» وادٍ من أودية الحجاز الغربية، و من أشـهرها،يأخذ من حرة ذرة، ثم ينحدر غرباً بين جبال ذروة شمالاً، و جبل فرسان جنوباً،فإذا أسهل من الجبال أطلق عليه اسم كلية، و صارسهلاً واسعاً تجري كلية في وسطه، و دوران في جنوبه، و دفين في شماله.(معجم معالم الحجاز)

(٢) صمـود، جمع صَمْد، قَـالَ الْأَصْمَعِي: الصَّمْدُ: الْمَكَان الْمُرْتَفـع الغليظ. تهذيب اللغة للأزهري، باب الصاد والدال مع اللام.

(٣) ريع الكوثر هذا يعتقد بعض أهل تلك الديار أن للنبي ﷺ مسـجداً فيه، لذلك قال الشـيخ عاتق في رسمه « ويقال ريع ومسجد كوثر» (معجم معالم الحجاز، ط١ ٧/ ٢٣٣)

والنزول، بين جبال ذروة، من الشـرق، وحرة الوبرية من الغرب، واديه ينتهي في وادي الخرار (وادي الخانق).

نقش في ربع كوثر

اللهم أغفر لعبد

الحميد ابن عطا

وادي وادي الخرار

وادي الخرار

22°43'35.0"N
39°15'23.0"E
وادي الخرار

هذا الوادي تكرر اسمه في أحداث السيرة النبوية، منها ما هو مذكور هنا، وما هو مذكور في سرية سعد بن أبي وقاص، وفي عمرة الحديبية، وغيرها. ويطلق هذا الاسم على عدة أودية متفرقة، ذكر بعضها السمهودي[1].

والخرار الوارد في طريق الهجرة، ذكرته كل مصادر السيرة النبوية والحديثية، وحددت موقعه معاجم الأمكنة.

جاء في معجم البكري: «الخرّار: بفتح أوّله، وتشديد ثانيه، بعده راء أخرى، على وزن فعّال:

(١) وفي شامي مثعر غدير يقال له الخرار، وسبق في ذكر بواط، والخرار فيما يلقى سيل إضم (وفاء الوفا، رسم: الخرار)

ماء لبني زهير وبنى بدر ابني ضمرة، قال الزّبير: هو وادي الحجاز، يصبّ على الجحفة، وإليه انتهى سعد بن أبي وقّاص بسريّة بعثه بها رسول الله ﷺ، وانصرف فلم يلق كيدا»[1].ولم تخرج بقية المصادر عما جاء في هذا التعريف.

وقد عرّف عاتق البلادي «الخرار» تعريفاً وافياً في معجمه فقال:» بالمعجمة وتشديد الراء المهملة وألف وراء أخرى: هذا الوادي من أودية الحجاز اندثر اسمه فلم يعد معروفاً، ولكن المعروف أن سيله يدفع على الجحفة، ويطلق اليوم عليه أسماء في كل جزع، فأعلاه يسمى الخانق حتى يصل إلى غدير خم، ثم يسمى الحَلْق، فإذا وصل إلى الجحفة سُمي وادي الجحفة، والأغلب وادي الغايضة، وكانت تعرف بالغيضة، على ما رواه البكري»[2]

هل مر الركب النبوي بالجحفة

لم تذكر مصادر السيرة النبوية، والحديثية، والتاريخية أن النبي ﷺ مر في هجرته الميمونة بالجحفة؛ أي المنزل الذي عليه الجادة العظمى، وهذا متوقع، فمروره-في رأيي- غير متصور، لأن معناه أنهم كانوا على الجادة-وهي في سهل مفتوح-من قديد إلى الجحفة، وهذا مخالف لما ورد في مصادر السيرة المعتمدة، ويتناقض كلياً مع ما رأينا من حرصهم على تجنب الطريق العامة.

لكن، جاء في تفسير الآية ٨٥ من سورة القصص، أنها نزلت في الجحفة، و هو قول مقاتل بن سليمان[3]، ومن جاء بعده من المفسرين: « قَوْلُهُ ﷻ ﴿إِنَّ

(١) معجم ما استعجم للبكري، رسم: الخرار

(٢) معجم معالم الحجاز، ج٣ص١٠٩ -دار مكة

(٣) مقاتل بن سليمان (٠٠٠ - ١٥٠ هـ) (٠٠٠ - ٧٦٧ م) مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء، الخراساني، المروزي (أبو الحسن) مفسر، متكلم، مشارك في القراءات واللغة.
أصله من بلخ، وانتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفي بالبصرة.

﴿ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ وذلك أن النبي ﷺ خَرَجَ مِنَ الْغَارِ لَيْلا، ثُمَّ هَاجَرَ مِنْ وَجْهِهِ ذَلِكَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَسَارَ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ مَخَافَةَ الطَّلَبِ فَلَمَّا أَمِنَ رَجَعَ إِلَى الطَّرِيقِ فَنَزَلَ بِالْجُحْفَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَعَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَى مَكَّةَ، فَاشْتَاقَ إِلَيْهَا، وَذَكَرَ مَوْلِدَهُ ومولد أبيه فأتاه جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - فَقَالَ: أَتَشْتَاقُ إِلَى بَلَدِكَ وَمَوْلِدِكَ؟

فَقَالَ النَّبِيّ نَعَمْ. فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ يَعْنِي إِلَى مَكَّةَ ظَاهِرًا عَلَيْهِمْ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ بِالْجُحْفَةِ لَيْسَتْ بِمَكِّيَّةٍ وَلا مَدَنِيَّةٍ»[1].

الخرار من الجحفة

قول المفسرين أن هذه الآية نزلت في الجحفة، لا يعني حصراً، أنها نزلت عند المنزل الذي على قارعة الطريق، الذي هو الميقات المعروف، لأن مسمى الجحفة يطلق على مساحة واسعة، منها وادي الخرار (وفيه غدير خم)، وتقدم معنا قريباً قولُ الزبير بن بكار أن الخرار يصب على الجحفة.

والحديث الصحيح جعل خم ومهيعة(الجحفة) مكاناً واحداً. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ، كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ، وَانْقُلْ عَنَّا وَبَاءَهَا إِلَى خُمٍّ وَمَهْيَعَةَ»[2].

بل، إن «قحدوات»، و هو موضع أبعد من الخرار بالنسبة للجحفة، يعتبر منها، جاء ذلك في رواية، أوردها كثير من أهل الحديث، و منهم ابن قانع

من آثاره: التفسير الكبير، الرد على القدرية، الوجوه والنظائر في القراءات، الاقسام واللغات، والآيات المتشابهات. (معجم المؤلفين-عمر بن رضا كحالة)

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ط١-دار إحياء التراث

(٢) مسند الإمام أحمد، ج٤٣ص١٥٤ ط١-مؤسسة الرسالة.

في(معجم الصحابة)، قال:«حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عِمْرَانَ الْهَمَذَانِيُّ، نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبَّادٍ، نا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَسَارٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرْجِ، نا إِيَاسُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ مَرُّوا بِإِبِلٍ لَنَا بِالْجُحْفَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِمَنْ هَذِهِ الْإِبِلُ؟» قِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: «سَلِمَتْ إِنْ شَاءَ اللهُ فَقَالَ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ مَسْعُودٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَعِدْتَ إِنْ شَاءَ اللهُ»[1].

وسيمر معنا، بعد قليل، أن هذا المكان من الجحفة يدعى (قحدوات)، في ألفاظ أخرى لهذه الرواية.

لذلك، فالأقرب أن تكون الآية نزلت في الخرار، وهو من الجحفة، والمفسرون ليسوا أهل اخصاص بالمواضع، فالجحفة ليست آمنة، وهي أهم المنازل على الجادة، ولو كان الطريق إليها ومنها آمناً لما احتاج ركب الهجرة إلى أن يستمر في طريق وعر جداً، وقليل المياه والزاد لقلة الطارق، بعكس الجادة العظمى ففيها يتوفر كل ذلك، ولكنها تفتقد شيئاً أهم وهو الأمن.

وصل الركب النبوي وادي الخرار، وقد جن عليهم الليل (ليلة الأربعاء)، فقد ساروا يومهم بطوله، بلا توقف، وكان يوماً عصيباً حقاً، تعرضوا فيه لحادثة -لولا حفظ الله لنبيه- لكانت كفيلة بإجهاض مشروع الهجرة برمته، وواجهوا صعوبة أخرى، فقد حفيت إحدى رواحلهم، وأثّر عليها طول المشي في أرض حجرية، خاصة أن الراحلتين اللتين ابتاعهما أبو بكر رضي الله عنه هما من إبل بني قُشير -من نجد- معتادة على الأرض الرملية، بعكس أرض الحجاز الصخرية.

(١) معجم الصحابة لابن قانع، ج٣ ص٤٩، ط١، مكتبة الغرباء-المدينة المنورة

خرج الركب من وادي الخرار، وساروا في أرض مرتفعة عن الوادي سهلة لينة تغطيها الأشجار والنباتات تسمى(قحدوات)، وهي أرض مناسبة لحط الرحال.

فبينما هم يتهيؤون للمبيت، لاحظوا إبلاً، وحركة في المكان، وعند استطلاع الأمر، تبين أن الإبل لأحد أفراد قبيلة أسلم[1] يدعى أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي، الذي كان رجلاً كريماً، وقد شاهد ما أصاب راحلتهم، فدعا غلامه (سعداً)[2]، وأمره أن يعطيهم جملًا قويًا، وأن يدلهم على الطريق، بعد أن يقوم بواجب الضيافة.

اليوم السابع (الأربعاء العاشر من ربيع الأول)

الطريق من وادي الخرار إلى وادي لقف

قال ابن إسحاق «.. فَسَلَكَ بِهِمَا الْخَرَّارَ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ الْمَرة، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا لِقْفا..».

المسافة بين الخرار ووادي لقف تبلغ حوالي (٤٨) كم، لم تذكر رواية ابن إسحاق سوى موضعاً واحداً فيها، ومع وجود عدة طرق موصلة بين الخرار ولقف، فلا بد من ترجيح واحدة من الطرق لتكون أنسبها لعبور الركب النبوي، لذلك يتعين علينا أن نلجأ إلى مصادر أخرى تعيننا على تحديد المسار بين هذين الموضعين بأقصى دقة ممكنة.

روايات ضبط المسار:

بالبحث في مصادر السيرة النبوية، والحديثية، وغيرها عن روايات تسد هذا الفراغ، نجد رواية أوردها الأزهري في (تهذيب اللغة)[3]،عن الصحابي

(١) أسلم قبيلة من خزاعة، تمتد ديارهم، بشكل متقطع، من شمال مكة إلى وادي الضبوعة، قرب المدينة.

(٢) في الرواية مسعود، والتصحيح من ابن سعد

(٣) هذه الرواية دقيقة جداً، وتضاهي رواية ابن إسحاق في ضبط المواضع، وتسلسلها الصحيح.

الجليل، أوس بن عبد الله بن حجُر الأسلمي[1] -رضي الله عنه-، ونفس الرواية عند الطبراني بإسناد مختلف[2]، تذكر هذه الرواية أربعة مواضع على المسار بين الخرار ولقف، لم يذكرها ابن إسحاق، مما يجعل الطريق الذي سلكه الركب النبوي أكثر وضوحاً، وأقل عرضة للاجتهادات الشخصية:

الرواية الأولى: للأزهري[3]، تقول:

«حدثنا المنذريّ، عن أبي بكر محمد ابن أحمد بن النَّضر قال: حدَّثني حسنُ بنُ عبد الله بن عِياضٍ الأسْلميّ قال: حدَّثني مالكُ بنُ إياس بن مالك بن أَوْس الأسْلميّ قال: حدَّثني أبي إياسُ بنُ مالك عن أبيه مالك بن أَوْس أنَّه حدَّثه أن رسول الله ﷺ وأبا بكر تَأَوَّبَا[4] أباه أَوْسَ بن عبد الله بقَحْدواتٍ دُوَيْن الجُحْفة من دون رابغ، وقد ظلعتْ برسول الله ناقتُه القَصْوى، فدعا أوسُ بنُ عبد الله بفَحْل إبله، فَحَمل عليه رسولَ الله ﷺ، وَرَدَفه، فَسَلَك بها «قَفَا قَحْدواتٍ»، ثم سَلك به في أحياء، ثم سَلَك به في ثَنِيَّة المُرَّة، ثمَّ أتى به من طَرَف صخرة «أَكْهَى» ثم أتى به من دُون «العَصَوَيْن» ثمَّ أتى من «كَشَد»، ثمَّ سَلَك به «مَدْلَجة تُعَهِّن»، وصلَّى بها، وبَنَى بها مَسْجداً، ثمّ أتى به من الغَثْيَانة،

(١) أوس بن عَبْد الله بن حجر الأسلمي
سكن البادية، مخرج حديثه عن ولده وذريته. وهو حديث حسن في هجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أَبِي بَكْر (الاستيعاب لابن عبد البر)

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١/ ٢٢٣، ط٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي

(٣) الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) (٨٩٥ - ٩٨٠ م) محمد بن احمد بن الازهر بن طلحة بن نوح بن الازهر بن نوح بن حاتم الازهري الهروي، الشافعي (أبو منصور) اديب، لغوي.
ولد في هراة بخراسان، وعني بالفقه اولا، ثم غلب عليه علم العربية، فرحل في طلبه وقصد القبائل وتوسع في اخبارهم، وتوفي في هراة في ربيع الآخر. من تصانيفه الكثيرة: تهذيب اللغة في أكثر من عشر مجلدات، التقريب في التفسير، الزاهر في غرائب الالفاظ، علل القراءات، وكتاب في اخبار يزيد بن معاوية (معجم المؤلفين-عمر بن رضا كحالة)

(٤) تَأَوَّبَهُم: جاءَهُم ليلًا

ثمّ أجاز به وادِي العَرْج، ثمّ سَلَك بـه « ثنيَّة رَكُوبه»، ثمّ علا « الخلائق»، ثم دخل به المدينة»[1].

شرح رواية الأزهري

اشتملت هذه الرواية على ثلاثة مواضع بين الخرار ولقف، وسنأتي على بقية المواضع المذكورة في الرواية، عند وصف أجزاء الطريق المتبقية:

قحدوات ويبدو الأبرق(ثنية المرة)

الموضع الأول (قحدوات): 48E 16 39 24N 46 22

جمع قحدا، وقحدا أو قحد قال البكري:»(قحد) بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده دال مهملة: طريق معروفة بين الجحفة والمدينة»[2].

قلت: لكن هذا كان في عصر البكري، أما اليوم فلا تعرف بهذا الاسم.

(١) تهذيب اللغة للأزهري، مادة أكهى

(٢) معجم ما استعجم، رسم: قحد

يقول الشيخ عاتق البلادي، رحمه الله «قحد: طريق كانت معروفة بين الجحفة والمدينة، قاله البكري. ولم أسمع به»[1].

لكننا الآن عرفنا مسار هذا الطريق المسمى (قحدا) بواسطة الزبير بن بكار:

فقد جاء في كتاب «جمهرة نسب قريش وأخبارها»، خبرٌ عن عودة الخليفة هشام بن عبد الملك من الحج. فعندما وصل الجحفة، أمر الناس أن يواصلوا السير إلى الأبواء، واختار مجموعة منتقاة لترافقه إلى الخرار.

يقول راوي الخبر» فانطلقنا حتى جئنا الخرار مع صلاة العصر، فتبحرها وسار فيها، ثم انصرفنا حتى جئنا المنخرق، فأخذنا من أعلافها، فقال لنا صاحبها: إن البعوض لا يترككم ههنا، فاهبطوا من هذه الثنية، ثم انزلوا الوادي يأتيكم ما أردتم من علف أو نزل، فانطلقنا نسير حتى هبطنا في رابغ، فنزلنا، فجاءنا ما أردنا من علف أو نزل، وأخذنا دليلاً من القرية يسلك بنا طريق قحدا، حتى تلقى الطريق بالأصافر»[2].

هذه الرواية جعلتنا نكتشف لماذا كان يطلق على هذا الطريق اسم (قحدا).

فالظاهر أن الاسم تعرض لتصحيف قديم، فتصحف من (فِخْذا) إلى قحدا، وفخذا جبال معروفة اليوم، تمتد من الشمال إلى الجنوب شرق رابغ على مرأى منها، يسير هذا الطريق من شرقيها قريباً منها، وينتهي بنهايتها عند الأصافر، والأصافر معروفة اليوم أيضاً.

ووصف قحدوات بأنها دوّين الجحفة من دون رابغ[3]، يعني بين

(١) عاتق البلادي، (معجم معالم الحجاز)

(٢) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ج٢ ص٩٤٢، إشراف حمد الجاسر

(٣) المقصود وادي رابغ، وليس الميناء البلدة، فلم تكن موجودة في ذلك الزمن.

الجحفة ووادي رابغ، هذا الوصف ينطبق على ثلاث روابي تعرف اليوم بالظهر، والنباة، والنبيّة، وهذه الروابي الثلاثة تشبه في مظهرها أسنمة الإبل، وهو المعنى اللغوي لكلمة قحدوات.

جاء في غريب الحديث لابن الأثير: «قحده (وجمعها قحدوات) في حديث أبي سفيان، [فقُمْت إلى بَكْرَة قَحْدَة أريد أن أُعَرْقِبها]، القَحْدة: العظيمة السَّنام، والقَحَدَةُ بِالتَّحْرِيكِ: أصْل السَّنام. يُقَالُ: بَكْرةٌ قَحِدة، بِكَسْرِ الْحَاءِ ثُمَّ تُسَكَّن تَخْفِيفًا، كَفَخِذٍ وفَخْذ»[1].

ماء أحياء

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير مادة: قحدة.

الموضع الثاني«أحياء»:

22°47'54.7"N
39°17'00.6"E
أحياء

موضع به ماء في وادي رابغ، أسفل ثنية المرة، مذكور في سرية سعد بن أبي وقاص[١].

أحياء، مكان في وادي رابغ لا يكاد يفارقه الماء، أسفل ثنية المرة (ثنية الأبرق)، قريب من قرية تسمى (الحكّاك)، قال عنها البلادي «الحكاك: فعّال من الحك؛ نخل للبلادية، شرق رابغ(البلدة)، على قرابة عشرين كيلاً، تسقيه عينان جاريتان، تسمى الأولى الطلمبة، والثانية الحومة، تنبعان من مر عُنيب[٢](وادي رابغ)[٣].

قلت: ولا يعرف ماء أحياء اليوم بهذا الاسم، لكن لا أستبعد أن تكون عين(الحومة) هي ماء أحياء لانطباق الوصف عليها.

تحديد الشيخ عاتق البلادي لماء أحياء

قال عنه «أحياء: جمع حي من أحياء العرب، أو حي ضد الميت:

قال ابن إسحاق: غزا عبيدة بن الحارث بن المطلب الأحياء، وهو ماء أسفل من ثنية المرة، (عن ياقوت)[٤].

قال المؤلف(البلادي): هذا الموضع يعرف اليوم باسم حياء بدون ألف. انظره[٥]».

ويُعَرِّف البلادي موقع(حياء)، فيقول « حياء: بالتحريك ممدود، وأوله مهملة: وادٍ للبلادية، يسيل من الشيباء، ومن حرة حياء، ثم يدفع في وادي مر (وادي رابغ) من الشمال، تحت مغينية، وفوق ضبيب، يجاور آخر يسمى: حيا أبيتر.»[٦]

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي، ياقوت (معجم البلدان).

(٢) اسمه مر عُنبُب. (الهجري).

(٣) معجم معالم الحجاز.

(٤) لم يذكر ابن إسحاق أحياء في سيرته.

(٥) معالم الحجاز ج١ ص٦٥ .

(٦) المرجع السابق ج٣ص٨٥

وفي وصفه (أعني البلادي) لطريق الهجرة النبوية، قال: «فلما تجاوز الجحفة، سار في وادي الخرار، فعدل يميناً شرقاً، فمر بغدير خم، ثم في وادي مرّ (وادي رابغ اليوم)، ثم قبَله مشرقاً، حتى وصل وادٍ يقال له حياء، وعنده بئار تعرف ببئار المُرّة، ثم عدل يساراً شمالاً، فصعد حرة الشيباء، ثم هبط على وادي الفرع فجزعه عند مصب لقف..»[1]

يبدو أن الشيخ عاتق البلادي رَحِمَهُ اللَّهُ لم يطلع على مصادر أخرى غير سيرة ابن إسحاق، وإلا كان غيّر رأيه في موقع (أحياء)، و(ثنية المَرَة)، فقد جعلهما في مكان بعيد جداً، على يمين الطريق بأزيد من (٢٠كم، في طريق وعر، مما يجعل الركب النبوي يضطر إلى أن يصعد حرة صعبة، في التفافة لا لزوم لها. ولعل مما ألجأه إلى ذلك، هو تشابه اسم ماء(أحياء) الوارد في كتب السيرة، مع اسم وادي (حياء) المعروف بهذا الاسم في الوقت الحاضر، ووجود بئار فيه باسم المرة (الوارد في السيرة ثنية وليس بئار)، لكنه رَحِمَهُ اللَّهُ لو كان حياً معنا اليوم، لعرف أنه أبعد النجعة، ولأمتعنا بوصفه الجميل لماء أحياء، وثنية المرة، التي سلكها الركب النبوي المبارك.

صخرة أكهى (المليساء)

(١) على طريق الهجرة، ص٢٥٩، ط٢-دار مكة للطباعة والنشر-مكة المكرمة

الموضع الثالث «أكهى» (23 04 17N . 39 18 08E)

23°04'17.0"N
39°18'08.0"E
صخرة أكهى

«يقال: حَجَرٌ أَكْهَى: لا صَدْعَ فيه، قال ابن هَرْمة:

كما أعْيتَ على الرّاقِين أَكْهَى ... تعيَّتْ لا مِياهَ ولا فِراعا

وفي معجم البلدان «أكهَى: جبل لمُزَينة يقال له صخرة أكهى».

وفي غريب الحديث للخطابي «قال واشتقاقه من قولهم حجر أكهى إذا كان أملس لا صدع فيه». يريد صخرة ملساء. والفرع: شقٌّ في الهضبة يكون فيه الكلأ.

هذه الصفات كلها تنطبق على صخرة شاهقة في السماء عند التقاء وادي الفرع مع وادي لقف يطلق عليها اليوم (المليساء).

وصَف البلادي (المليساء) بقوله:» بالتصغير: هضبة بيضاء، بطرف وادي النخل (وادي الفرع) من الشِمال، يجتمع تحتها من الغرب وادي لقف بوادي الفرع، تُرى من هرشى شمالاً شرقيًا، ذكرت في لقف»[1].

ريع الدمجا

(١) معالم الحجاز ج٨ ص٢٦٤ ط١

الموضع الرابع (الدمجاء)

رواية الأزهري أسقطت موضعاً رابعاً مهماً هو (الدمجاء)، لكننا وجدناه عند الطبراني والبغوي وغيره، و نصه» عن أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي قال: مر بي رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر يتحدثان بين الجحفة وهرشى وهما على جمل واحد وهما متوجهان إلى المدينة فحملهما على فحل إبله وبعث معهما غلاما له يقال له مسعود فقال له: اسلك بهما حيث تعلم من مخارم الطرق، ولا تفارقهما حتى يقضيا حاجتهما منك، ومن جملك، فسلك بهما ثنية الدمجا، ثم سلك بهما ثنية الكوذبة[1]، ثم أقبل بهما أحياء، ثم سلك بهما ثنية المرة، ثم أتى بهما من شعبة ذات كشط، ثم سلك بهما المدلجة، ثم سلك بهما الغيثامة، ثم سلك بهما ثنية المرة، ثم أدخلهما المدينة، وقد قضيا حاجتهما منه ومن جمله..». («أخرجه البغوي وابن السكن وابن منده، وأبو نعيم؛ قال ابن عبد البر: حديث حسن»)[2].

رغم ما في لفظ هذه الرواية من تقديم وتأخير في التسلسل الصحيح للمواضع، ومن تصحيف لها، إلا أنها زادت على رواية الأزهري المتقنة بذكر موضع مهم في توجيه المسار توجيهاً دقيقاً، وهو الذي يهمنا من هذه الرواية، وهو (الدمجا).

والدمجا مازالت معروفة، وهي تلعة تقابل ثنية المرة من الشمال العدل، ترى منها رأي العين، قال فيها الشيخ عاتق البلادي «... تلعة تسيل في النويبع من الشمال، في رأسها ريع يقال له: مقرح الدمجاء..»[3]

(١) هذا الاسم يذكرنا بثنية الكوثر، التي هبطوا منها على الخرار.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر، أوس بن عبد الله بن حجر

(٣) معجم معالم الحجاز ج٣ ص٢٣٢ ط١

سعد مولى الأسلميين

قبل الانتقال إلى وصف الطريق بين الخرار ولقف، يجدر بنا أن نقف وقفة تأمل وتمحيص في

في هذه الرواية اسمه مسعود بدون ذكر أبيه، لكن سترد معنا قصة مشابهة تماماً لهذه، بطلها مسعود بن هُنيدة.

والتفريق بين الشخصيتين، نجده عند ابن سعد، تقلاً عن الواقدي.

يقول ابن سعد في الطبقات: «قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي قَائِدٌ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْعَرْجِ وَأَنَا مَعَهُ دَلِيلٌ حَتَّى سَلَكْنَا فِي رَكُوبَةٍ فَسَلَكْتُ فِي الْجِبَالِ فَلَصِقْتُ بِهَا. وَمَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْخَذَوَاتِ وَهِيَ قَرِيبٌ مِنَ الْعَرْجِ فَأَرْسَلَ أَبُو تَمِيمٍ إِلَيْهِ بِزَادٍ وَدَلِيلِ غُلامِهِ مَسْعُودٍ»[1].

إذاً؛ هما شخصيتان، سعد مولى أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي، دليل الركب من قحدوات، ومسعود بن هنيدة مولى أبي تميم الأسلمي، الدليل من العرج إلى قباء.

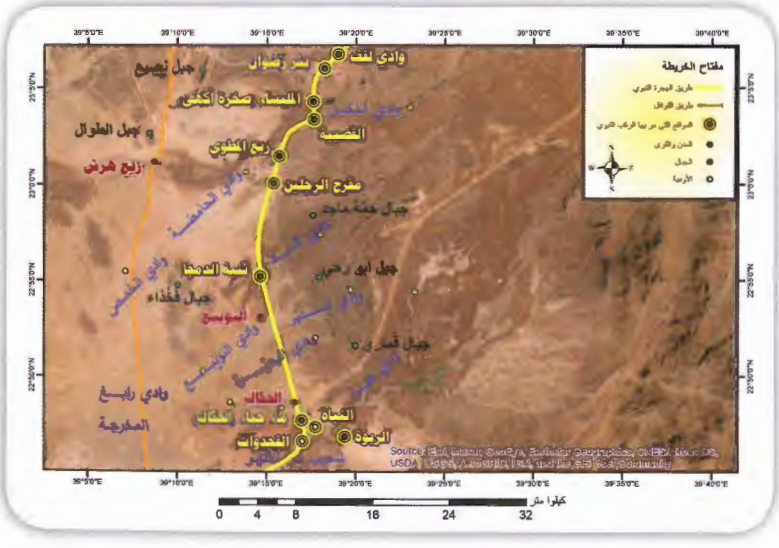

وصف الطريق من قحدوات إلى لقف

(١) الطبقات الكبرى، سعد مولى الأسلميين

وبعد أداء صلاة الصبح، استأنف الركب المسير، وقد زادوا واحداً فأصبح عددهم خمسة، فسار بهم الدليل الجديد قليلاً، ثم هبط بهم وادي رابغ، فمالوا إلى موضع ماء، يدعى «أحياء» أخذوا منه حاجتهم من الماء، ثم انطلقوا في طريق (فخذا)، فصعدوا في (ثنية المَرة).

ثنية المرة

ثنية المَرَة:

22°48'16.3"N
39°17'39.1"E
ثنية المرة

هذه الثنية، هي الثنية الوحيدة المذكورة في طريق الهجرة النبوية المباركة، المُجْمَعُ على أن الركب النبوي مر بها، وهذه خصوصية لها، فالمواضع الأخرى غير غار ثور، عبارة عن أودية، وأراضي مفتوحة، لا ندري أين مر الركب منها بالضبط، لكن الطريق في ثنية المرة ضيق جداً، الآن حوالي مترين، ويمكن أن يكون في السابق أقل من ذلك، بمعنى أن احتمالية أن تضع قدمك على موضع خف القصواء، احتمال وارد جداً، فالثنيّة، بفضل الله، ما زالت على حالها منذ ذلك العهد، وساعد على هذا بعدها عن الطرق

العامة، وتدعى اليوم (ثنية الأبرق)، لوجودها في جبل أبرق.[1]، يسمى (أبرق سعد)[2].

رغم أهمية هذه الثنية، لم نجد في المصادر من حددها تحديداً دقيقاً، حتى الشيخ عاتق البلادي، مر بقربها، ولم يشر إليها، لاعتقاده أنها في وادي حياء، وهو بعيد جداً عنها.

انكسار وادي مرّ

ما دمنا نسير في وادي رابغ، ووادي مرّ عُنْبَب، لعل من المناسب أن نذكر حدثاً طبيعياً أدى إلى تغيير في مجرى أسفل وادي مرّ.

وادي مرّ (مرّ عنبب)[3]، وادي فحل جلواح، ما زال معروفاً باسمه إلى اليوم، يأخذ مساقط مياهه من شفا حرة الحجاز (شرق الأكحل)، وترفده أودية كبار مثل وادي حجر، ووادي ندا، ووادي التماية، وغيرها كثير، ويسمى أسفله وادي رابغ.

حدده الهجري، ولم يكن دقيقاً في تحديده (على غير عادته) فقال: «مرّ بالحجاز موضعان: مرّ عُنْبَب: وهو مرّ الحريقة، وهو وادي الأبواء.

ومرّ الظهران: موطئ طريق الحاج»[4].

لكنه في مواضع أخرى من كتابه (التعليقات والنوادر)، ذكره في موضعه الصحيح، عندما تعرض لذكر مواضع بقربه، مثل (البريراء، شوكان، عمق مزينة).

---

(١) جبل أبرق إِذا كَانَ ذَا لونين سَواد وَبَيَاض أَو غير ذَلِك. (جمهرة اللغة، باب: برق).

(٢) أخبرني د. أحمد بن ناصر النعماني بأن هذا هو اسمه اليوم، ولعل الاسم له علاقة بسريّة سعد بن أبي وقاص إلى الخرار، فقد تراموا بالنبل مع قافلة قريش في هذا الموضع.

(٣) ذكره البلادي باسم مرّ عنيب، لكن الهجري ذكره باسم (مرّ عُنبب).

(٤) التعليقات والنوادر، ص١٥٨٨ ترتيب: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والنشر.

كان وادي مرّ هذا، حتى صدر القرن السادس الهجري تقريباً، يصب في وادي الخرار، ثم في الجحفة، وفي وقت غير معروف بالضبط، غيّر الوادي مجراه، عندما يصل قحدوات، فاتجه شمالاً غربياً، ثم غرباً، حتى مصبه المعروف اليوم في مدينة رابغ.

ويخبرنا عاتق البلادي عن هذا الحدث فيقول «كان وادي مرّ-ويميّز بمرّ عُنيب[1]-يجري غرباً، حتى إذا وصل إلى مكان يدعى النباة (إحدى القحدوات)، على ما يقرب من ٢٥ كيلاً شرق رابغ عرج يساراً جنوباً، في شكل زاوية شبه قائمة، وكان رأس هذه الزاوية ثنية هشة طينية الداخل تصل بين مرّ عنيب، ووادي رابغ، فجاء سيل جحاف فكسر هذه الثنية، فانخرم مرّ في وادي رابغ، ونتج عن ذلك انبعاث عينين جاريتين، تعرفان اليوم بالحكاك.»[2]

قلت: لعل هذا الحدث الدراماتيكي، هو الذي أدي إلى هجر الجحفة كمنزل من منازل الجادة العظمى، بعد أن أقحلت، وجفت مياهها، فتم التحول عنها إلى رابغ البلدة المعروفة اليوم، وعلى هذا يكون انكسار مرّ، حدث في القرن الخامس الهجري.

نعود إلى اقتفاء أثر الركب النبوي: بعد أن هبط من ثنية المرة، واتجه شمالاً، في طريق (فخذا)، فجزع وادي ريّن الشمالي (ريّن الحومة)، ثم جعل جذيب أشقر عن يمينه، عن قرب، وعن يساره، عن بعد، أبارق، وآكام، وجبال فخذا، تفصله عن الجادة العظمى.

واستمر الركب تحفه عناية الله، يسير في أرض سهلة واسعة تجري فيها أودية كبار، فجزع أولاً مسيل شعيب أم السلم، ثم وادي البحيرة، ووادي السدير، ووادي الساد، على التوالي، وشعاب أخرى صغيرة، جاعلاً بعض

(١) صحة الاسم (عُنُبَبْ) كما هو عند الهجري.
(٢) على طريق الهجرة، ط٢، ص٦٢

الجبيلات الصغيرة عن يمينه، مثل جذيب غراء، وجبيل الأصيقع، وجذائب أخرى صغيرة لها مسميات محلية.

في أثناء هذا الطريق وقبل أن يصل إلى الدمجاء تقابل الركب النبوي مع قافلة مكية قادمة من الشام فيها طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، يبدو أنهم قد سلكوا طريق(فخذا)، بدلاً من الجادة العظمى.

يقول ابن سعد «قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: أَخْبَرَنَا قَائِدٌ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدٍ[1] عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا ارْتَحَلَ رسول الله ﷺ من الْخَرَّارِ فِي هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَكَانَ الْغَدُ لَقِيَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ جَائِيًا مِنَ الشَّامِ فِي عِيرٍ. فَكَسَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ مِنْ ثِيَابِ الشَّامِ وَخَبَّرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدِ استبطؤوا رَسُولَ اللهِ. فَعَجَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّيْرَ..»[2].

قلت: هذه الرواية تؤكد أن سعد (مولى الأسلميين) غير مسعود بن هنيدة، دليل الركب من العرج، الذي سيأتي الحديث عنه في موضعه، إن شاء الله.

واصل الركب النبوي المبارك المسير، بعد هذا اللقاء العارض الجميل، حتى وصل ريع الدمجاء، بعد مسيرة حوالي (٢٤) كم، من قيامهم صباحاً من قحدوات، بين الخرار ورابغ، وكانوا يسيرون في أرض سهلة ماعدا في الجزء الأخير منها قبل الوصول إلى ثنية الدمجاء، فقد سلكوا في أرض حصوية بركانية، وعند هذه الثنية، يفترق الطريق إلى شعبتين؛ يسرى، وهي استمرار لطريق فخذا، وصولاً إلى الأصافر، ويُمنى، وهي طريق الركب إلى وادي لقف.

(١) يقصد سعد مولى الأسلميين، دليل الركب

(٢) الطبقات الكبرى، طلحة بن عبيد الله

مقرح الرجلين

23°02'11.6"N
39°15'54.9"E
جبل المطوي

النزول للاستراحة

نتوقع أن الركب النبوي حط رحاله أسفل ثنية الدمجاء، فالمكان مناسب للاستراحة، وقد قطعوا نصف مرحلة سهلة، وأمامهم نصف مرحلة أخرى صعبة نسبيًا، ينبغي الاستعداد لها.

منقى جبل المطوي

صعود حرة القصيبة

استأنف الركب النبوي السير عشية يوم الأربعاء، اليوم السابع، من خروجهم من غار ثور، فتركوا طريق فخذا يساراً، وأخذوا جهة الشَمال العدل، في أرض دمثة، تتخللها أودية صغيرة، ومتوسطة، بدءً من أبو سريحة، ثم وادي راين، وعلى يمينهم جبال صائف، ومن خلفها جبال المستظلة، وعلى يسارهم حرة حميضة، وجبال فخذا.

وادي حيا أبيتر وتشاهد صخرة أكهى

بعد مسيرة (٨،٥) كم من الدمجاء، جزعوا وادي (حيا أبيتر)، وهو وادي متوسط الفئة، ثم مروا عبر رحبة مشهورة اليوم، تسمى «مقرح الرِّجْلين» تفصل بين وادي حيا أبيتر، ووادي الحامضة؛ وهو وادي كبير له روافد متعددة. قطعوا هذين الواديين -قطع الحبل- واتجهوا شمالاً عدلاً، في شعب (أم سريحة)، ليهبطوا منه في شعب آخر يتقابل معه بالرأس (مثل التوأم السيامي!!) يسمى (أبو همّاج)، ومقابل هذا الشعب جبل متوسط الارتفاع

اسمه «المطوي» فيه مُنقىّ (محّالة)، يُصعد منها إلى حرة القُصيبة.

هنـا يبدأ أصعب جزء من هـذه المرحلة، مقارنة بما كانوا فيه من أراضي سهلة لينة، فعليهم أن يصعدوا في جبل المطوي عبر منقى قصير في سفح الجبل، فيصلون إلى ظهر حرة القصيبة، ثم السير في الحرة، على دروب(مدقات)[1]، لمسـافة قصيـرة، حوالـي (٣،٥كم)، ثم الهبـوط منهـا في وادي الفرع، قرب التقائـه مع وادي لقف، في طرف هضبة المليسـاء (صخـرة أكهى)، ثم حطوا رحالهـم عنـد مصب وادي لقـف في وادي الفرع، قرب ما يعـرف اليوم (ببئر رضوان[2]) بعد مسير يوم كامل، قطعوا فيه حوالي ٤٠ (٤٨كم)، من قيامهم من قحدوات[3].

(١) تم تسهيلها فيما بعد وأصبحت منقّى.

(٢) الْأَمِير رضوَان بن عبد الله الْفقارِيّ، أَمِير الْحَاج الْمصْرِيّ، كرجي الْأَصْل، كَانَ فِي ابْتِدَاء أمره من مماليـك ذِي الفقار أحد أُمَرَاء مصر الْمَشْـهُورين بالشـأن الْعَظِيم والدولة الباهرة، اشْـتَرَاهُ صَغِيرا واعتنى بتربيته. كَانَ وقوراً مهيباً وَله سُـكُون وديانة ورياسـة واشـتهر صيته وعظمت دائرته. وَله الْآثَار الْحَسَـنَة فِي طَرِيق الْحَاج الْمصْرِيّ والحرمين وَكَانَ حسـن السِّيرَة خُصُوصا فِي بر الْحجاز فَكَانَ معتنيا بأَهْله يُرْسـل صرهم من حِين وُصُوله إِلَى يَنْبع وإِلَى مَكَّة ويقسـمه عَلَيْهِم قبل وُصُول الْحَاج وكل من لَهُ حَاجَة مِنْهُم بِمصْر قَضَاهَا لَهُ بأيسـر حَال. وَمكث نيفا وَعشْـرين سنة أَمِيرا على الْحَاج. وَكَانَت وَفَاته فِي سنة سِتّ وَسِتِّينَ وَألف. (باختصار من خلاصة الأثر).

(٣) تعتـبر مرحلـة عادية، فهذه هي المسـافة مـن المدينة إلى السـيالة، التي هي المرحلـة الأولى من المدينة على طريق الأنبياء.

ماء القصيبة

اليوم الثامن (الخميس الحادي عشر من ربيع الأول)

طريق المدلجة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا مَدْلَجَةَ لِقْفٍ ثُمَّ اسْتَبْطَنَ بِهِمَا مَدْلَجَةَ مَحَاجَّ- وَيُقَالُ: مِجَاجٍ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ- ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا مَرْجِحَ مَحَاجَّ، ثُمَّ تَبَطَّنَ بِهِمَا مَرْجِحَ مِنْ ذِي الْغَضْوَيْنِ- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: الْعُضْوَيْنِ- ثُمَّ بَطْنَ ذِي كَشْرٍ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِمَا عَلَى الْجَدَاجِدِ، ثُمَّ عَلَى الْأَجْرَدِ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا ذَا سَلَمٍ، مِنْ بَطْنِ أَعْدَاءِ مَدْلِجَةِ تِعْهِنٍ..

قلت: هذا الجزء من الطريق يسمى طريق المدلجة، أو طريق المدالج، لأن عددها أكثر من واحدة.

جاء عن عائشة رضي الله عنها، في حديث طويل عن الهجرة «.. ثم أجاز على ثنية المرة ثم أخذ على طريق يقال لها المدلجة بين طريق عمق[1] وطريق الروحاء..»[2].

---

(١) طريق عمق هي طريق الفرع، وعمق ثنية بين وادي الفرع ووادي النقيع. (انظر كتاب أحماء المدينة للمؤلف).

(٢) تاريخ الطبري، ج١ ص٥٦٩ -دار الكتب العلمية-بيروت

وقالوا في اللغة: المدلجة: «وفي الصّحاح: والدّالِجُ: الذي يَأْخُذُ الدَّلْوَ ويَمْشِي بِها مِنَ رَأْسِ البِئرِ إلى الحَوْضِ لِيُفَرِّغَها فيه. وذلِك المَوْضِعُ مَدْلَجٌ ومَدْلَجَةٌ»[1].

يصور هذا المعنى اللغوي لمفردة «مدلجة»: كأن شِعب المدلجة، يجمع ماء المطر، ويصبه في واديه، كما يفعل الدالج بالدلو، ويمشي به إلى الحوض، وهذا ما يحصل فعلاً، فكل المدالج هذه صفتها.

وطريق المدالج، طريق مناسب، لمن أراد أن يتخفى، ويبعد عن الطرق العامة، فهو طريق وعر، تكثر فيه المضايق والثنايا، ولا يصلح للقوافل المحملة، أو المسافرين على شكل جماعات، وتفضيل الركب النبوي المبارك له على الجادة، دالٌّ على مزيد من الحذر، وأن الخطر مازال قائما.

ويتميز طريق المدالج بميزة فريدة، لم أجدها في كل الطرق الواقعة بين الحرمين، وهي أن كل مواضعه الواردة في السيرة ما زالت معروفة، اسماً ورسماً، يتداولها الناس إلى اليوم. وهذا- بحمد الله، أدى إلى تصحيح ما جاء في بعض الروايات من تصحيف لبعض المواضع.

عدد المدالج

يوجد ثلاث مدالج؛ الأولى: مدلجة لقف، والثانية: مدلجة مجاح، والثالثة: مدلجة تعهن.

(١) تاج العروس، فصل: الدال

مدلجة لقف

وادي لقف ومدلجته: المدلجة: 38.65E 19 39 39.09N 08 23

23°08'39.1"N
39°19'38.7"E
مدلجة لقف

وادي لقف، وادي ضيق،تكثر فيه الحصى والحجارة، يأخذه المسافر على طريق الفرع للقادم من المدينة، من بدايته إلى نهايته عندما يلتقي بوادي الفرع، عند بئر رضوان، أمام هضبة المليساء(أكهى).

وحدد البلادي وادي لقف بقوله « قُلْت: لِقْفٌ، وَادٍ مِنْ رَوَافِدِ وَادِي الْفَرْعِ يَصُبُّ فِيهِ مِنْ ضَفَّتِهِ الشَّمَالِيَّةِ عِنْدَ بِئْرِ رِضْوَانَ، قَبْلَ اجْتِمَاعِ الْفَرْعِ وَالْقَاحَةِ»(١).

أما المصادر فلم تحدده بدقة، بسبب تشويش قول عرام « لقف ماء آبار كثيرة عذب ليس عليها مزارع ولا نخل فيها، لغلظ موضعها وخشونته، وهو بأعلى قوران واد من ناحية السوارقية على فرسخ»(٢).

(١) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، رسم: لقف

(٢) معجم البلدان، ياقوت، رسم: لقف

ومدلجة لقف « تجيء لقفاً من الشمال، تظاهر مدلجة مجاح، وتقاسمها الماء»[1].

مجاح ومدلجته:

قال عنه ياقوت» مُجَاحٌ: موضع من نواحي مكة، قال كثيّر:

إذا أمسيتُ، بطن مجاح دوني ... وعمق دون عزّة فالنقيع[2]

فليس بلائمي أحد يصلي ... إذا أخذت مجاريها الدموع

وفي حديث الهجرة عن ابن إسحاق: إن دليلهما جاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة محاج كذا ضبطه بفتح الميم وحاء مهملة وآخره جيم، قال ابن هشام: ويقال مجاج، بجيمين، وكسر الميم، والصحيح عندنا فيه، غير ما روياه. جاء في شعر ذكره الزبير بن بكّار وهو مجاح، بفتح الميم ثم جيم وآخره حاء مهملة. والشعر هو قول محمد بن عروة بن الزبير:

لعن الله بطن لقف مسيلا ... ومجاحا، وما أحبّ مجاحا

لقيت ناقتي به وبلقف ... بلدا مجدبا وأرضا شحاحا

وأنا أحسب أن هذه هي رواية ابن إسحاق وإنما القلب على كاتب الأصل فأراد تقديم الجيم فقدّم الحاء، والله أعلم.

قلت: صدق ياقوت، رحمه الله، فهو كما قال. وحدده البلادي»..وادٍ يسيل في وادي الفرع من الشمال،بعد أبي ضباع، ذو روافد متعددة، ونواشغه العليا تتصل بسلسلة قدس، وهو قريب من لقف، له ذكر في حديث الهجرة النبوية»[3]

(١) معجم معالم الحجاز، البلادي

(٢) في المطبوع البقيع، والصحيح: النقيع

(٣) مرجع سابق

مدلجة مجاح

23°09'13.9"N
39°19'22.2"E
مدلجة مجاح

مدلجة مجاح:

تسيل في مجاح من الجنوب، تتقاسم الماء مع مدلجة لقف، هذه تسيل جنوباً، وتلك شمالاً.

مدلجة ثقيب: لم تذكرها المصادر، لكن الركب النبوي مر بها لأنها تسيل في الأجيرد.

23°24'14.0"N
39°18'26.0"E
مدلجة تعهن

وادي تعهن و مدلجته:

وادي تِعِهّـن: (23 25 13N . 39 18 02E) مـن كبـار روافد وادي القاحة، يأتيه من مطلع الشـمس، جنوب أم البرك (السقيا قديمـاً)، فيه آبار، وزراعة، وكانت فيه عين إلى عهد قريب، مساقيها موجودة إلى الآن.

حدده البلادي بقوله « تِعِهِّنُ بِكَسْـرِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقُ، وَعَيْنٍ مُهْمَلَةٍ وَتَشْـدِيدِ الْهَاءِ وَآخِرُهُ نُونٌ: جَاءَ فِي السِّـيرَةِ: ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا ذَا سَلَمٍ مِنْ بَطْنِ أَعْدَاءِ مُدْلِجَةَ «تِعْهِنَ» كَذَا جَاءَ فِي النَّصِّ بِتَخْفِيفِ الْهَاءِ.

قُلْت (القول للبلادي): تِعهِّنُ، مُخْتَلَفٌ فِي ضَبْطِ تَائِهِ، وَأَهْلُهُ الْيَوْمَ يُشَدِّدُونَ الْهَاءَ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ إلَّا بِتَحْرِيكِ الْعَيْنِ: وَادٍ مِنْ كِبَارِ رَوَافِدِ الْقَاحَةِ، يَأْتِيهَا مِنْ الشَّرْقِ مِنْ جِبَالِ قَدَسٍ فَيَدْفَعُ أَسْفَلَ مِنْ السُّقْيَا عَلَى مَرْأَى مِنْهَا، وَنَوَاشِغُهُ بَيْنَ وَادِي الْفَرْعِ وَالْقَاحَةِ»[1].

قلت: ومدلجة تعهن، تفيض في وادي تعهن من الجنوب، وتتقاسم الماء مع أعالي وادي الأجيرد جنوباً.

معالم أخرى ذكرت في طريق المدالج

مرجع مجاح[2]

(١) المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، رسم: تعهن

(٢) ويرى في الصورة الكابتن أحمد عبد الحافظ باصوطين، هو أول من مشى على درب الهجرة النبوية على قدميه من مكة إلى المدينة.

مرجح مجاح:

شعب ضيق جداً، وعر يصب في مجاح من الشمال (يأخذه الدرب القديم)[1]، يتقاسم الماء مع مرجح ذي العصوين، الذي يصب في شعب العصوين «يأخذه الدرب القديم».

23°11'02.0"N
39°18'24.0"E
مرجح مجاح

مرجح العصوين:

ويقول البلادي عن العصوين: « لَيْسَتْ الْغَضَوَيْنِ وَلَا الْعُضْوَيْنِ، إنَّمَا هُمَا الْعَصَوَانِ: بِإِهْمَالِ الْعَيْنِ وَالصَّادِ، مُثَنَّى عَصَا، يُقَالُ لَهُمَا: الْعَصَا الْيُمْنَى وَالْعَصَا الْيُسْرَى، وَيَجْمَعُونَهُمَا «الْعِصِيَّ»: تَلْعَتَانِ تَجْتَمِعَانِ ثُمَّ تَصُبَّانِ فِي وَادِي مَجَاحٍ أَحَدُ رَوَافِدِ وَادِي الْفُرُعِ»[2].

23°12'08.1"N
39°17'39.5"E
مرجع العصوين

ذو كِشْد:

ذو كشد: وفي السيرة «كشر» بالراء، وهو تصحيف. وتعرف اليوم «أم كشد»: تلعة تسيل في وادي ثقيب من الجنوب مقابلة الأجرد، يأخذها الطريق إلى القاحة[3].

23°13'36.1"N
39°17'20.6"E
ذو كشد

الجداجد (23 17 11N ، 39 15 46E)

تكلمت عنها المصادر كلاماً كثيراً، وكله في اشتقاق الاسم، ولكن لم يحددوها بدقة.

وهي شعبة تصل بين وادي ثقيب، ووادي الأجيرد، سماها البلادي

---

(١) عن البلادي، معجم معالم الحجاز.

(٢) مرجع سابق.

(٣) المعالم الأثيرة.

(مدلجة ثقيب)[1]، يدعوها ساكنوها اليوم(الرديدة)، وهي قرب موضع مشهور اليوم، اسمه (البستان).

الأجرد

ويسمى اليوم الأجيرد، وهو وادٍ يصب في وادي ثقيب من الشمال، تحت البستان، يتعلق أعلاه بالسفوح الغربية لجبال قدس، يأخذ أسفلَه الطريقُ المعبد اليوم بين المدينة، والأبواء.

ذو سلم

السلم: شجر معروف من الأشجار الشوكية، المنتشرة في الجزيرة العربية، وتسمى به المواضع التي يكثر فيها هذا النوع من الأشجار الصحراوية، لذلك، نجد هذا الاسم يتكرر في مواضع كثيرة متباعدة.

وذو سلم، الذي مر به الركب النبوي، شعب ضيق، يسمى اليوم (السَلَمة)[2]، وهو من شعاب وادي الأجيرد، يفيض في الجانب الأيمن منه. وفي رأس شعيب(السلمة) تلعة يهبط منها الطريق على أعلى مدلجة تعهن.

(١) معجم معالم الحجاز ج٨ص٦٥ ط١.

(٢) على عادتهم في حذف (ذو)، أو استبدالها ب(أبو)، أو(أبا).

وصف طريق المدالج

اليوم هو الخميس، الحادي عشر من ربيع الأول، وهو يومهم الثامن منذ خروجهم من غار ثور، وبعد أداء صلاة الصبح، ونتوقع أنهم قد استقوا من ماء القصيبة، وهو ماء جارٍ إلى يوم الناس هذا، إلا في أيام المحل الشديد.

استأنف الركب المبارك المسير، تكلؤه عناية الله وحفظه لنبيه، ﷺ.

فسار في وادي لقف قِبَلاً، حتى خرج من بين جبلين متضايقين، يسميان(العرقين)، فمال يساراً، فأخذ في مدلجة لقف صعداً، بين جبال متوسطة الارتفاع، وفي أرض حجرية، تُحفي أخفاف الإبل. وبعد مسيرة (٩،٥) كم، من قيامهم من لقف، وصلوا إلى أعلى مدلجة لقف، وبدؤوا الانحدار في مدلجة مجاح، وهي مشابهة لمدلجة لقف في طبيعة الأرض والطول، ثم هبطوا في وادي مجاح، فجزعوه، وأمامهم مباشرة (مرجح مجاح)، فصعدوه ببطء، ثم انحدروا منه في مرجح ذي العصوين، وبعد مسافة

قصيرة، أخذوا ذات اليسار ليصعدوا في شعب (أم كِشْد)، ثم ينحدروا منها في وادي ثقيب.

وكان الركب في كل هذه المدالج، والشعاب يسير في أرض خشنة، غير مريح السير فيها للإبل، أو للرجالة؛ فجزى الله نبينا بأفضل وأحسن ما جازى نبي عن أمته، فكم عانى في سبيل تبليغ هذا الدين الحنيف.

هنا يكون الركب النبوي قد قطع مسافة (٢٧) كم، منذ قيامهم صباحاً من وادي لقف، ونتوقع أن يكون هذا الموضع متعشى لهم، فهو مكان لين دمث، يعوضهم عما قاسوه منذ الصباح من خشونة الأرض، وصلابتها، فنزلوا للاستراحة برهة يسيرة، لقضاء حوائجهم، وصلاة الظهر، والعصر، وإراحة رواحلهم.

استأنف الركب المبارك المسير، عشياً، فأخذوا في الجداجد، و هي شعبة قصيرة، هبطوا منها في الأجرد، ثم قبلوه[1] لمسافة، (٣،٥) كم، فوصلوا إلى موضع يجتمع فيه الأجرد مع ذي سلم، و قد حانت صلاة المغرب، فصلوها في هذا الموضع، الذي سماه ابن سعد (بطن ريغ)[2]. ففي الطبقات الكبرى«..على الحدائد(الجداجد) ثم على الأَذَاخِرَ(الأجرد) ثُمَّ بَطْنَ رِيغٍ فَصَلَّى بِهِ الْمَغْرِبَ ثم ذا سلم»[3].

بعد أداء صلاة المغرب في أسفل وادي ذي سلم، سنّد الركب الميمون فيه، وسيكون سيرهم وئيداً، لأن الشِعب ضيق، وفي أجزاء منه وعورة، لكنها-بحمد الله، ليلة مقمرة، وهذا يسهل مهمة الدليل، فيقودهم إلى أماكن أقل وعورة.

(١) قبلوه يعني ساروا عكس سيل الوادي.

(٢) أرجح أن الاسم مصحف، مثل الأذاخر الوارد بعده، فهو مصحف عن الأجرد. فريغ اسم لا معنى له، ولم تذكر المعاجم موضعاً بهذا الاسم.

(٣) الطبقات الكبرى، ج١ ص١٨٠، المكتبة العلمية-بيروت.

استمر سيرهم في وادي ذي سلم، حتى أعلاه، وفي رأسه ريع هبطوا منه على مدلجة تعهن، واستغرق سيرهم في وادي ذي سلم، ثم هبوطهم منه حوالي خمس ساعات، تطلب قطع مسافة (١٤) كم، نظراً لوعورة الوادي، وصعوبة السير فيه.

وقرب منتصف الليل حط الركب الميمون رحاله في بطن أعلى مدلجة تعهن.

أعلى مدلجة تعهن

أعلى مدلجة تعهن

23°24'15.0"N
39°18'26.0"E
أعلى مدلجة تعهن

جاء في كتب السيرة «أعدا مدلجة تعهن»، فلعل «أعدا» تصحيف «أعلى»، وهي رواية الحاكم في المستدرك، قال: «ثُمَّ سَلَكَ ذِي سَلْمٍ مِنْ بَطْنِ أَعْلَى مُدْلِجَةَ..»[1]، طبعاً، المقصود مدلجة تعهن.

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الهجرة

وحسب الروايات التاريخية: إن النبي ﷺ صلّى في مدلجة تعهن، وبنى بها مسجداً. جاء ذلك في رواية ذكرها ابن حجر في (الإصابة)، في ترجمته لمالك بن أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي، ما نصه «وفي أخبار المدينة للزبير بن بكار، عَن محمد بن الحسن بن زبالة، عَن صخر بن مالك بن إياس بن كعب بن مالك بن أوس الأسلمي، عَن أبيه، عَن جَدِّه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صلى بمدلجة تعهن وبنى بها مسجدا»[1].

بناء المساجد النبوية على الطريق

هذا أول مسجد نبوي أكدته المصادر في طريق هجرته ﷺ من خروجه من غار ثور، وبتتبع بناء المصليات النبوية على الطرق التي سلكها النبي ﷺ نلحظ أنها دائما في أماكن نزوله للمبيت، أو التعريس، ومنها هذا المسجد، ولعل ذلك دالٌ على أنه ﷺ صلّى في موضع محدد عدة صلوات، فاتُخِذ مسجداً. والله أعلم

اليوم التاسع (الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول)

الطريق من مدلجة تعهن إلى العرج

قال ابن إسحاق «.. مَدْلِجَةِ تِعْهِنِ، ثُمَّ عَلَى الْعَبَابِيدِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: الْعَبَابِيبُ، وَيُقَالُ: الْعِثْيَانَةَ. يُرِيدُ: الْعَبَابِيبَ-.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا الْفَاجَّةَ، وَيُقَالُ: الْقَاحَّةُ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: ثُمَّ هَبَطَ بِهِمَا الْعَرْجَ..».

قلت: ذكر ابن إسحاق في هذا الجزء من الطريق، ثلاثة مواضع، اثنان منها مازالا معروفين (الغثريانة، الفاجة)، والثالث(العرج)، تم التعرف عليه بوصفه.

(١) الإصابة، ج٥ ص٥٢٥، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت

الغثريانة

العثيانة، الواردة في النص، صحتها (الغثريانة)، ومازالت معروفة، وهي شعبة تأتي من مرتفعات شمال وادي تعهن[1]، فتسيل في اتجاه الجنوب الغربي، حتى تفيض في وادي تعهن، قبل التقائه بوادي القاحة، أسفل أم البرك(السقيا).

وقد شرح ابن هشام المراد بالعبابيد، أو العبابيب، وأن المراد بها الغثريانة.

الفاجّة

وادي الفاجّة، أحد روافد وادي القاحة الكبار، يأتيه من الشرق؛ من جبل قدس الأسود[2]، فيلقاه شمال موضع يسمى(الخدّ).

وقد حصل الخلط بين وادي الفاجّة، ووادي القاحة، لتقارب الاسمين، لكن الذي سلكه الركب النبوي الشريف في هجرته الميمونة هو الفاجّة، لأن الركب كان متيامناً عن الجادة، والجادة في القاحة، بمعنى أنه وضع القاحة على يساره، وأخذ ذات اليمين فجزع وادي الفاجّة قبل مفيضه في القاحة.

(١) اسمها في الخرائط جبل (حمة أم ضويهر)

(٢) يعرف اليوم ب(أُدقس).

بئر الحلوة في العرج

23°46'48.0"N
39°10'54.0"E
العرج

العرج

العرج: موضع يتكرر كثيراً في السيرة النبوية، والأحاديث الشريفة، أحد منازل الجادة العظمى (طريق الأنبياء) المهمة، لكنه لا يعرف اليوم بهذا الاسم. وتم التعرف عليه بتتبع وصف الطريق، بين الرويثة، وبئر الطلوب.

يقول البكري: « العرج: بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده جيم: قرية جامعة، على طريق مكّة من المدينة، بينها وبين الرّويثة أربعة عشر ميلا، وبين الرّويثة والمدينة أحد وعشرون فرسخا. ووادي العرج يدعى المنبجس، فيه عين عن يسار الطريق في شعب بين جبلين..»[1].

قلت: وقوله: قرية جامعة، ليس دقيقًا، فالعرج -بالمشاهدة- وادٍ، طوله حوالي ٦ كم، يمكن أن يُختار أي جزء منه ليكون منزلاً للمسافر، وبعد البحث الميداني، والتجول في الوادي، وسؤال قاطنيه، لم نعثر على موقع

(١) معجم ما استعجم، رسم: العرج.

محدد، فيه آثار استيطان.

أما ياقوت وآخـرون، فقد خلطوا بين العرج هذا، وبين عرج آخر نواحي الطائف، مازال معروفـاً، لذلك سنضرب صفحـاً عن تعريفهم للعرج.

وقد أفاض البلادي في الكلام عن العرج، نسـتجزئ منه ما يتعلق بالعرج الواقع على الجادة، الذي سماه (عرج الأثاية).

يقـول البلادي « أما عرج الأثاية فيعرف اليـوم بوادي «النظيم»، وهو وادٍ قاحل لا زرع فيه، يأخذه طريق الحاج القديم، بين الأثاية واليدعة، وهو يكوّن رأس وادي غيقة، حيث يسمى النظيم، فإذا اجتمع به الأثاية على الجادة سُمي (ملف غيقة).»[1] انتهى.

هـذه المواضع الثلاثة (الغثريانـة، والفاجّة، والعرج)، هـي التي أوردتها المصادر للطريق بين مدلجة تعهن والعرج.

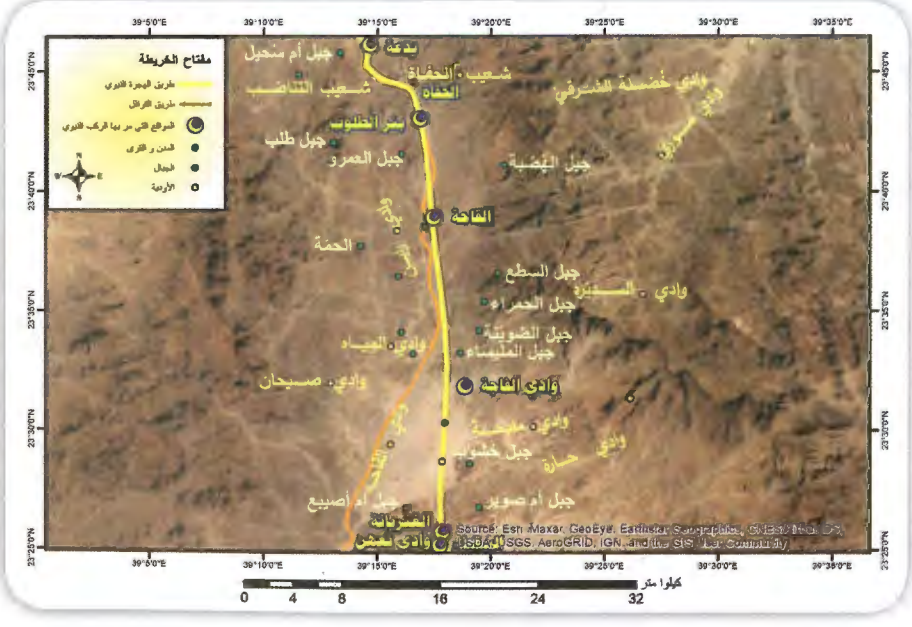

وصف الطريق بين مدلجة تعهن و العرج

(١) معجم معالم الحجاز، ج٦ ص٦١ ط١ .

تنتهي المدالج بمدلجة تعهن، لكن الطريق يستمر مُشمِلاً، ويعتبر امتداداً لطريق المدالج، ويباري الجادة العظمى، من شرقيها، حتى التقائه معها في بئر الطلوب(الحفاة).

وسنتخذ المعالم الثلاثة التي جاء ذكرها في المصادر مناراً، نهتدي بها للسير على أثر الركب المبارك.

تحرك الركب الميمون صباح يوم الجمعة، الثاني عشر من ربيع الأول- وهو يومهم التاسع من خروجهم من الغار- من بطن أعلى مدلجة تعهن، فحدّروها، وهي مثل بقية المدالج، ضيقة، وحجرية، وقصيرة، وبعد مسافة (٤،٥) كم، هبطوا وادي تعهن، ثم جزعوه، ليدخلوا في شعيب قصير[1] بين جبال متطامنة أفضي بهم إلى وادي الغثريانة.

وقفة تأمل

عندما هبط الركب النبوي من مدلجة تعهن، كان بينه وبين الجادة العظمى قرابة (٦) كم، من السير المريح في وادي تعهن. لماذا لم يميلوا إليها، فهي أكثر سهولة، ويتوفر فيها الماء والطعام والكلأ، بل أصروا على مجانبتها. في هذا دليل واضح على أنهم لا يأمنون السير على الجادة، مهما كانت الظروف مواتية، إلا إذا كان لا مندوحة لهم عنها.

نعود إلى الطريق النبوي: قطع الركب النبوي وادي الغثريانة، وخرجوا منه، بعد مسافة قصيرة، إلى رحبة(مقرح) ليّنة بين الغثريانة ووادي الريان، وما أن قطعوا هذا الأخير، حتى بدت أمامهم أرض واسعة بيضاء (عبلاء)، يندر وجود مثلها في الحجاز، تسمى(الخدّ)، يحدها من الغرب وادي القاحة، ومن الشمال وادي الفاجّة، والذي سيكون الوصول إليه هدف الركب النبوي.

سار الركب النبوي الميمون في عبلا الخد، بعد أن قطعوا وادي مليحة،

(١) يسمى محلياً: الصفيراء

جاعلين جبل خشوب[1] عن يمينهم، عن قرب. وبعد السير قرابة (٩) كم، في (الخد) وصلوا إلى وادي الفاجّة، وكانوا قد قطعوا نحو (١٦) كم من قيامهم من مدلجة تعهن، ونتوقع أنهم نزلوا للاستراحة، قبل قطعهم لوادي الفاجّة، استعداداً لاجتياز الجزء الثاني من المرحلة، التي تتميز بشيء من الوعورة، بخلاف الجزء الأول منها، ذي الأرض السهلة اللينة المعشبة.

وبعد استراحة قصيرة، استأنف الركب المسير، وهنا نرى مرة أخرى، أن الركب يتجنب السير على الجادة العظمى، وهي قريبة من هنا، على ميسرته، لكنه يتجاهلها، ويأخذ في اتجاه الشمال العدل، فيتخلل الجبيلات، والظراب، والشعاب والريعان، الواقعة على الجانب الأيسر لوادي القاحة، ويستمر هذا شأنه، حتى يرد بئر الطلوب (الحفاة)، وهي على الجادة العظمى، لكن لا محيد له عنها.

23°43'52.0"N
39°16'44.0"E
الحفاه

السير على الجادة العظمى

اتجه الركب النبوي من بئر الطلوب صوب العرج، على الجادة، وهي المرة الأولى، والوحيدة التي لاءمها فيها، ولمسافة (١٦) كم فقط، وهي المسافة بين بئر الطلوب، وصدر وادي العرج (النظيم).

بعد مسير حوالي (٥) كم، من بئر الطلوب، دخل الطريق في مضيق[2] ضيق جداً، لا يسع سوى قطار واحد[3]، ثم خرجوا منه إلى أرض متسعة في وادي (يدعة)، فحطوا رحالهم، وباتوا فيه، بعد أن قطعوا حوالي (٤٨) كم، من قيامهم من مدلجة تعهن، في مرحلة سهلة في نصفها الأول، متوسطة الصعوبة في نصفها الثاني.

(١) لعله هو الذي وصفه ياقوت بأنه جبل في ديار مزينة. (معجم البلدان، رسم: خشوب)

(٢) يسمى اليوم: الرصفة، لوجود رصف كان في المضيق

(٣) يعني: سير الجمال واحد خلف الآخر، لضيق الطريق

مسجد يدعا

23°46'08.7"N
39°14'36.1"E
مسجد يدعة

مسجد في يدعة :

يعتقد الشيخ عاتق البلادي رَحِمَهُ اللَّهُ أن في يدعة المسجد الذي ذكره البخاري في صحيحه «..أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كان يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة، فيصلي الظهر في ذلك المكان، و هذا المكان ينطبق تماماً على هذا الوصف..»[1]

اليوم العاشر (السبت الثالث عشر من ربيع الأول)

استأنف الركب النبوي الميمون، تكلؤه عناية الله وحفظه، المسيرَ صبح السبت، وهو يومهم العاشر من خروجهم من الغار، فحدّروا وادي يدعة، ثم بعد مسافة قصيرة، عرجوا يساراً فقبلوا بعض الشعاب الصغيرة، وبعد مسير حوالي (٧) كم، من قيامهم من وادي يدعة، هبطوا رأس وادي العرج (النظيم)[2].

(١) على طريق الهجرة، ط١، ص٢٣٦

(٢) قيل لكُثيّر: لم سميت بذلك؟ قال: لأنها يعرج بها عن الطريق. أقول: هذا صحيح ومشاهد، فالطريق يستمر شمالاً غربياً، والعرج، يعرج به إلى الغرب!

الطريق من العرج إلى ريم

قال ابن إسحاق «..ثُمَّ هَبَطَ بِهِمَا الْعَرْجَ، وَقَدْ أَبْطَأَ عَلَيْهِمَا بَعْضُ ظَهْرِهِمْ، فَحَمَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ، يُقَالُ لَهُ: أَوْسُ بْنُ حُجْرٍ، عَلَى جَمَلٍ لَهُ- يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الرِّدَاءِ- إِلَى مَسْعُودُ بْنُ هُنَيْدَةَ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا دَلِيلُهُمَا مِنْ الْعَرَجِ، فَسَلَكَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ الْعَائِرِ، عَنْ يَمِينِ رَكُوبَةٍ- وَيُقَالُ. ثَنِيَّةُ الْغَائِرِ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ- حَتَّى هَبَطَ بِهِمَا بَطْنَ رِئْمٍ..».

ذكر ابن إسحاق هنا ثلاثة مواضع: ثنية الغائر، ركوبة، رئم.

وفي هذا الجزء من الطريق حصلت أحداث تحتاج منا إلى عدة وقفات:

الوقفة الأولى: زودتنا مصادر أخرى بعدة إضافات تفصيلية، زيادة على ما جاء في نص ابن إسحاق السابق.

المصدر الأول: الطبقات الكبرى لابن سعد:

١-قال في وصف طريق الهجرة: «.. ثُمَّ هَبَطَ الْعَرْجَ ثُمَّ سَلَكَ فِي (الْخَذَوَاتِ ثُمَّ فِي الْغَائِرِ عَنْ يَمِينِ رَكُوبَةَ»[1].

الخذوات

(١) الأصل: الجدوات، والتصحيح من ترجمة مسعود بن هنيدة، وسعد مولى الأسلميين.

فِي هذا النص أضاف الخذوات، كموضع سلكه الركب بعد العرج وقبل ركوبة.

٢- وفي ترجمة، مسعود بن هنيدة، قال: « أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَفْلَحُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ سُفْيَانَ الأَسْلَمِيِّ عَنْ مَسْعُودِ بْنِ هُنَيْدَةَ قَالَ: وَحَدَّثَنِي هَاشِمُ بْنُ عَاصِمٍ الأَسْلَمِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ مَسْعُودِ بْنِ هُنَيْدَةَ قال: إني بالخذوات نِصْفَ النَّهَارِ إِذَا أَنَا بِأَبِي بَكْرٍ يَقُودُ بِآخَرَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ. وَكَانَ ذَا خِلَّةٍ بِأَبِي تَمِيمٍ. فَقَالَ لِيَ: اذْهَبْ إِلَى أَبِي تَمِيمٍ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ وَقُلْ لَهُ يَبْعَثُ إِلَيَّ بِبَعِيرٍ وَزَادٍ وَدَلِيلٍ. فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ مَوْلايَ فَأَعْلَمْتُهُ رِسَالَةَ أَبِي بَكْرٍ فَأَعْطَانِي جَمَلَ ظَعِينَةٍ لأَهْلِهِ يُقَالُ لَهُ الذَّيَّالُ وَوَطْبًا مِنْ لَبَنٍ وصاعا من تمر. وأرسلني دَلِيلا وَقَالَ لِي: دُلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْكَ. فَسِرْتُ بِهِمْ حَتَّى سَلَكَتْ رَكُوبَةً، فَلَمَّا عَلَوْنَاهَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ...».

في هذا النص تفصيلات مهمة، فيها سند الرواية (وسنرى أهمية هذا السند بعد قليل)، والوقت الذي قابل فيه الركبُ مسعود بن هنيدة، وحالة ظهرهم[1]، وكُنية مولى مسعود بن هنيدة (أبو تميم)، وأنه سلك بهم ركوبة، حتى علوها.

المصدر الثاني: غريب الحديث للخطّابي

«وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ فِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ: أَنَّ مَسْعُودَ بْنَ هُنَيْدَةَ مَوْلَى أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ قَالَ: رَأَيْتُهُ قَدْ طَلَعَ فِي طَرِيقٍ مُعْوِرَةٍ حَزْنَةٍ وَأَنَّ رَاحِلَتَهُ قَدْ أذمت به وأزحفت فَقَالَ: أَيْنَ أَهلَكَ يَا مَسْعُودُ فَقُلْت: بِهَذِهِ الأَظْرُبِ السَّوَاقِطِ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمان قوله في طَرِيقٍ مُعْوِرَةٍ أي ذات عَوْرة يُخَاف فيها الضَّلالُ والانْقِطاعُ»[2].

(١) يعني رواحلهم

(٢) غريب الحديث للخطابي، ج٢ص٣٩، دار الفكر-دمشق

هـذا المصـدر يصف لنـا تضاريس الموضع الـذي قابل فيه مسـعود بن هنيـدة الركـب، وأن أهله قريب من هذا المـكان (بِهَذِهِ الأَظْرُبِ السَّـوَاقِطِ)، والظراب: صِغار الجِبال المُنْخَفِضة اللَّاطئَة بِالْأَرْضِ[1].

بالجمـع بين ما جـاء في هذين المصدرين، وبعد التأمل، ومشـاهدة تلك المواقع، والتجول في أرجائها، يمكننا، بشيء من الثقة، القول:

الخـذوات: هـي تلك الأجبل، والشـعاب، والأظرب، التـي تفصل بين وادي العـرج، وأسـفل وادي يدعة، قرب مصبه في وادي الجي. وفي وسـطها (اليوم) الطريق المعبدة الرابط بين الشفيّة، ورأس وادي النظيم (العرج).

المصدر الثالث: التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري

جـاء في التعليقـات والنـوادر للهجـري: « وسـألته - يعنـي أبا الحسـن الخلصي - عن الحلوة بئر مزينة، لبني صخر من مزينة، فقال: هي (بالصرف) تدفع في غيقة، وليسـت بالجي، وللنبي ﷺ بالحلوة مسجد، ومسجد بالبِضَة، وهي تلعة بيضاء أسفل من ركوبة بميل ونصف، والبضة بالجي ما بين ركوبة إلى الرويثة.»[2].

قلـت: حـدث في هذه الروايـة تصحيف واضح، وهي كلمـة (بالصرف) وصوابها بالعرج، والعرج المسـمى اليوم النظيم، وادٍ يدفع في غيقة، وموضع مسـجد، وبئر الحلوة، مـازالا معروفين إلى اليـوم، ويقعان في رأس وادي العرج؛ المـكان الذي وصله الركب النبوي، المحفـوظ بحفـظ الله وعنايته، ونرجح أنهم اسـتقوا من بئر الحلوة، وأخذوا منه كفايتهم من الماء.

23°46'47.8"N
39°10'55.2"E
بئر الحلوة

احداثيات بئر الحلوة:

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر

(٢) مصدر سابق، ص١٣٩٦

الوقفة الثانية

أبو تميم، أوس بن حجر الأسلمي _ أبو تميم، فروة الأسلمي

هاتان شخصيتان مهمتان في أحداث الهجرة النبوية الميمونة، صحابيان، خلط الرواة في اسميهما، وكنيتيهما، بسبب تقارب ذلك بينهما، وتشابه المهمات التي قاما بها في مساعدة الركب النبوي، أثناء الطريق.

وعندما تتشابه المهمات، والأسماء، وتتقارب الأوقات، تحصل مثل هذه الأوهام، وقد حدث مثل هذا في أحداث سريتي بئر معونة، والرجيع، نظراً لأنهما وقعتا في وقت واحد، ومهمة دعوية واحدة، وتشابه في اسم موقع السريتين، فخلط الرواة في أحداث السريتين، وموقعيهما.

لذلك ينبغي أن نقف هنا وقفة قصيرة لتوضيح هذا الاشكال.

أولاً: أبو تميم أوس بن عبد الله بن حَجَر الأسلمي

قال في الإصابة « أوس بْن عَبْد اللهِ بْن حجر الأسلمي. وقيل: أوس بْن حجر الأسلمي، وقيل: أَبُو أوس تميم بْن حجر الأسلمي، قيل: كنيته أَبُو تميم، وقال بعضهم: أوس بْن حجر.

بفتحتين - كاسم الشاعر التميمي الجاهلي.

قال أَبُو عمر: أسلم بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة، (وكان يسكن العرج)[1].

روى إياس بْن مالك بْن أوس بْن عَبْد اللهِ، عَنْ أبيه مالك، عَنْ أبيه أبي تميم أوس بْن عَبْد اللهِ قال:

«مر بي رَسُول اللهِ ﷺ ومعه أَبُو بكر رضي الله عنه بقحداوات بين الجحفة وهرشى، وهما عَلَى جمل واحد، متوجهان إِلَى المدينة، فحملهما عَلَى فحل إبله..الحديث»[2]

(١) الأقرب للصحة أنه كان يسكن قحدوات، وربما ينتجع العرج

(٢) الإصابة، ج١ ص١٧٣، دار الفكر-بيروت

هذا أبو تميم أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي، ومولاه (سعد مولى الأسلميين)، ولقاء الركب به تم في قحدوات، وهي بعيدة عن العرج، لكن ربما كان ينتجعه، فكلها بلاد أسلم.

ثانيًا: أبو تميم فروة الأسلمي

جاء في السنن الصغرى للنسائي «أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَفْلَحُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا بُرَيْدَةُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ فَرْوَةَ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ غُلَامٍ لِجَدِّهِ يُقَالُ لَهُ مَسْعُودٌ فَقَالَ « مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ: يَا مَسْعُودُ، ائْتِ أَبَا تَمِيمٍ - يَعْنِي مَوْلَاهُ - فَقُلْ لَهُ: يَحْمِلْنَا عَلَى بَعِيرٍ وَيَبْعَثْ إِلَيْنَا بِزَادٍ وَدَلِيلٍ يَدُلُّنَا، فَجِئْتُ إِلَى مَوْلَايَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَبَعَثَ مَعِي بِبَعِيرٍ وَوَطْبٍ مِنْ لَبَنٍ، فَجَعَلْتُ آخُذُ بِهِمْ فِي إِخْفَاءِ الطَّرِيقِ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ يَمِينِهِ وَقَدْ عَرَفْتُ الْإِسْلَامَ وَأَنَا مَعَهُمَا، فَجِئْتُ فَقُمْتُ خَلْفَهُمَا، فَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ فَقُمْنَا خَلْفَه»[1].

هذا الحديث رواه ابن سعد، كما مر معنا، لكن هنا زيادات مهمة، وهي:

١-أن جد بريدة بن سفيان، اسمه(فروة).

٢-أن مسعود بن هنيدة غلام لفروة.

٣-أن فروة كنيته (أبو تميم) .

قال في أسد الغابة « فروة الأسلمي: فروة قيل: هُوَ اسم أَبِي تميم الأسلمي، قيل: هُوَ جد بريدة بْن سُفْيَان بْن فروة، وكان غلامه مَسْعُود هُوَ الَّذِي بعثه مَعَ رَسُول الله ﷺ ذُكر فِي مَسْعُود. أَخْرَجَهُ أَبُو مُوسَى[2]»[3].

---

(١) السنن الصغرى للنسائي ج٢ ص٨٤، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية-حلب

(٢) أبو موسى المديني (٥٠١) هـ - ٥٨١ هـ): محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني الشافعي، صاحب التصانيف الإمام العلامة الحافظ الكبير الثقة، شيخ المحدثين (له ترجمة مطولة في سير أعلام النبلاء للذهبي).

(٣) أسد الغابة، ج٤ ص٣٣٩، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت

أظن الآن اتضحت الصورة:

-حديث إياس، عَنْ أبيه مالك، عَنْ جده أبي تميم أوس بْن عَبْد اللهِ بن حَجَر الأسلمي، اللقاء في قحدوات، قرب الخرّار، غلامه (سعد مولى الأسلميين).

-حديث بُرَيْدَة بن سُفْيَان بْنِ أبي تميم فَرْوَةَ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ غُلَامِ جَدِّهِ مَسْعُودِ بِنْ هُنَيْدَة، اللقاء في الخذوات عند العرج.

ثنية الغائر

ثنية الغائر

الوقفة الثالثة

يكاد يجمع من أرّخ لطريق هجرته ﷺ أن الركب بعد العرج سلك في ثنية الغائر، لكن هناك رواية تقول إنه سلك في ركوبة، فأي القولين أحق أن يتبع؟

سنحاول أولاً الجمع بين القولين، لنرى هل ذلك ممكن، أم لا؟ فنقول:

١ - ابن إسحاق ومن تبعه، قال: الغائر على يمين ركوبة، ففرق بينهما؛ فهناك الغائر، وهناك ركوبة.

٢ - في مسند أحمد: «وَسَعْدٌ[١] الَّذِي دَلَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى طَرِيقِ رَكُوبِهِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَخْبِرْنِي مَا حَدَّثَكَ أَبُوكَ؟ قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُمْ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَتْ لِأَبِي بَكْرٍ عِنْدَنَا بِنْتٌ مُسْتَرْضَعَةٌ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرَادَ الِاخْتِصَارَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: هَذَا الْغَائِرُ مِنْ رَكُوبَةٍ، وَبِهِ لِصَّانِ مِنْ أَسْلَمَ يُقَالُ لَهُمَا الْمُهَانَانِ، فَإِنْ شِئْتَ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُذْ بِنَا عَلَيْهِمَا»[٢].

هذه الرواية جعلت الغائر جزءً من ركوبة، أو هو ركوبة، كأنهما بمعنى واحد.

٣-ابن سعد، في الطبقات، قال في خبر الهجرة: «.. سَلَكَ فِي الْخَذَوَاتِ ثُمَّ فِي الْغَايرِ عَنْ يَمِينِ رَكُوبَةَ..»، وفي ترجمته لمسعود بن هنيدة، التي مرت معنا، جاء فيها « حَتَّى سَلَكَتْ رَكُوبَةً، فَلَمَّا عَلَوْنَاهَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ...».

يفهم من هتين الروايتين عند ابن سعد أنهما بمعنى واحد، سواء قلت الغائر أو ركوبة.

٤ - جاء عند ابن شبة في تاريخه» فَأَمَّا ذُو الْبِجَادَيْنِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا أَقْبَلَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَسَلَكَ ثَنِيَّةَ الْغَايرِ وَعُرِّيَتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ وَغَلُظَتْ، فَأَبْصَرَهُ ذُو الْبِجَادَيْنِ فَقَالَ لِأَبِيهِ: دَعْنِي أَدُلُّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَبَى، وَنَزَعَ ثِيَابَهُ فَتَرَكَهُ عُرْيَانًا، فَاتَّخَذَ عَبْدُ اللهِ بِجَادًا مِنْ شَعَرٍ فَطَرَحَهُ عَلَى عَوْرَتِهِ، ثُمَّ عَدَا نَحْوَهُمْ فَأَخَذَ بِزِمَامِ رَاحِلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنْشَأَ يَرْجُزُ وَيَقُولُ:

تَعَرَّضِي مَدَارِجًا وَسُومِي
تَعَرُّضَ الْجَوْزَاءِ لِلنُّجُومِ

(١) تقدم معنا أن من دل الركب النبوي على ركوبة هو مسعود بن هنيدة، مولى أبي تميم فروة الأسلمي.

(٢) ج٢٧ص٢٣٩، ط١، مؤسسة الرسالة

هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فَاسْتَقِيمِي»[1].

رواية ابن شبة أتت بثنية الغائر مفردة، ولم تذكر شيئاً عن ركوبة.

٥- قال الحازمي في (الأماكن) « القُدسان: قُدس الأبيض، وقُدس الأسود، وهما عند ورقان، أما الأبيضُ فيقطع بينه وبين ورقان عقبةٌ يُقَالُ لها ركوبة، وهو جبل شامخ، ينقاد إلى المُتعشى، بين العرج والسُقيا..»[2].

العقبة التي هذه صفتها هي الغائر المعروف اليوم.

٦- في التعليقات والنوادر للهجري« قال عبد الله (بن) ذو البجادين المزني، وساق بالنبي، ﷺ، سانداً في الغائر، من الركوبة، من الأبيض، جبل العرج، في مهاجره:

تَعَرّضَي مَدارجًا وسُومي

تَعَرُّضَ الجوزاءِ للنُجومِ

هذا أبو القاسم فاسْتَقيمي».

الهجري هنا أتى بزيادة مهمة، وهي، أن الغائر من الركوبة، والركوبة من الأبيض (قدس الأبيض، المسمى اليوم الأحمر).

هذا يعني أن الركوبة(ركوبة) جزء من جبل قدس الأبيض، أي أن ركوبة جبل، والغائر جزء منها، وهذا يتفق مع روايتي مسند أحمد، وابن سعد.

وفي موضع آخر، يصف الهجري وادي الجي، بأنه بين ركوبة والرويثة. والجي أعلاه وادي الحلقة، ورأسه مهبط ثنية الغائر، في طرف جبل ركوبة، تفصل بينه، وبين جبل ورقان، وهذا يتفق مع وصف الحازمي لركوبة.

٧- قال الهجري أيضاً « وسألت الخلصي عن الرس، منازل بني القاسم بن

(١) تاريخ ابن شبة، ج١ ص١٢٣ ط١،

(٢) وهذا كلام عرام بن الأصبغ، رسالته، نوادر المخطوطات (٢/ ٤٠٢).

إبراهيم الحسنيين، فقال: هو دابر ثنية ركوبة من الأبيض، جبل العرج، به بئار ومزارع، وسيله في العقيق»[1].

هذه الرواية، هي التي تصف بالضبط ثنية ركوبة المعروفة اليوم، ويلاحظ أن الهجري، والخلصي (ويبدو أنه من أهل الثنية)، لم يذكرا أنها هي التي سلكها النبي ﷺ في هجرته، بل أكد الهجري أنها الغائر.

٨- اسم ركوبة لهذه الثنية أشهر من اسم الغائر عند العرب قبل الإسلام، وقد ضُرب المثل في صعوبتها، أخذا من قول الشاعر الجاهلي، بشر بن أبي خازم الأسدي[2]:

هي الهمّ لو أن النّوى أصقبت بها
ولكنّ كرّا في ركوبة أعسر

قالوا في تفسيره: ركوبة ثنية شاقة شديدة المرتقى[3]، وقال الأصمعي: ركوبة عقبة يضرب بها المثل فيقال:

طلب هذه المرأة كالكرّ في ركوبة، والكر: الرجوع كما يكرّ الشيء عن الشيء.

وقال الأصمعي في موضع آخر: «ركوبة عقبة عند العرج سلكها رسول الله ﷺ، وكان دليله إليها عبد الله ذو البجادين»[4].

(١) ص ١٤٧٦، بترتيب حمد الجاسر

(٢) بن أَبي خازِم (٠٠٠ - نحو ٢٢ ق هـ = ٠٠٠ - نحو ٥٩٨ م) بشر بن (أبي خازم) عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل: شاعر جاهلي فحل. من الشجعان. من أهل نجد، من بني أسد ابن خزيمة. له قصائد في الفخر والحماسة جيدة. توفي قتيلا في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية: رماه فتى من بني وائلة بسهم أصاب ثندؤته.
له (ديوان شعر - ط)

(٣) هذه صفة عقبة الغائر، فهي بعيدة الغور صعبة المسلك، عالية المرتقى

(٤) معجم البلدان، رسم: ركوبة

يتضح من هذا النص أن ركوبة المقصود بها ثنية الغائر، وهي الثنية التي كان دليله فيها عبد الله ذو البجادين، كما أثبتته النصوص السابقة.

قلت: ومن صفات ثنية الغائر إلى قدوم عهد السيارات، أنه كان من نظام القوافل أن على رئيس القافلة الهابطة في الثنية أن يمسك في يده علماً يشير به إلى القافلة الأخرى أسفل الثنية، بأن تنتظر فلا تصعد حتى يهبط إليهم، لئلاّ يتقابلا في الثنية، لأن الرجوع في الثنية خطر جسيم على كلتا القافلتين[1].

الغائر هي ركوبة

بتأمل النصوص السابقة، وكلها من مصادر أصلية، وتحليلها، نستخلص النتائج التالية:

- ركوبة جبل يعتبر جزءاً من الأبيض (قدس الأبيض، ويسمى اليوم الأحمر)، تفصل بينه وبين ورقان عقبة، سماها ابن إسحاق ثنية الغائر، وسماها عرام والحازمي، وغيرهما عقبة ركوبة، وكلا الاسمين يطلقان عليها قبل الإسلام وبعده.
- ثنية(عقبة) الغائر أو ثنية(عقبة) ركوبة، هما اسمان لمسمى واحد، فالغائر اسم للثنية أو العقبة، وركوبة اسم لجبلها، فمن قال إنه ﷺ سلك في ثنية الغائر فهذا هو اسمها إلى اليوم، ومن قال سلك في ثنية ركوبة فقد نسب ثنية الغائر إلى جبلها، وهذا سائغ، والمعنى واحد.
- قول الدليل مسعود بن هنيدة للركب النبوي: «هذا الغائر من ركوبة»، وصف حقيقي لثنية الغائر، فهي عقبة بعيدة الغور في طرف جبل ركوبة الأيمن، تفلق بينه وبين جبل ورقان.

(١) (رحلة إلى درب الغائر) للأستاذ/ صالح المطيري، بحث منشور في صحيفة الجزيرة في ١٥ رجب عام ١٤٢٨، ومقابلات شفهية للمؤلف مع جمعٌ من أهل الثنية. وللإطلاع على المزيد من صفات هذه الثنية في العصور الأخيرة لقوافل الجِمال، ينظر (مرآة الحرمين) ٢/ ١٤٢، للواء إبراهيم رفعت باشا.

-العقبة التي تقطع بين جبل ركوبة (جبل ركوبة جزء من الأبيض)، وورقان، تسمى اليوم الغائر، وهي التي سلكها الركب النبوي.

-الثنية المسماة ركوبة اليوم، نُقبت في منتصف جبل ركوبة، ولا تفلق بين الأبيض وورقان كما هي صفة ثنية ركوبة (الغائر) في المصادر، ولم تكن هي التي سلكها النبيّ ﷺ، وليست هي المقصودة بالعقبة، التي يضرب بها المثل في الصعوبة.

رأيٌ في ثنية ركوبة المعروفة اليوم

ثنية الغائر، استمرت مطروقة، حتى قدوم السيارات، وانتهاء عصر التنقل على الدواب. ويخبرنا الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في كتابه (طريق الهجرة النبوية)[1] عن حادثة حصلت له في نزوله من ثنية الغائر، في طريقه إلى الحج، في أواخر أيام السفر على الإبل، أدت إلى سقوطه عن الجمل، وشج رأسه، وكاد يهلك.

كما أنه كان هناك تقليداً اجتماعياً عند أهل مكة يسمى الزيارة الرجبية (زيارة المدينة في شهر رجب)، يقوم بها مجموعة مختارة من أهل مكة يطلق عليهم (الركب المكي)، يسافرون على الدواب من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة سالكين ثنية الغائر، في تقليد سنوي لإحياء درب الهجرة. وقد استمر هذا التقليد حتى منتصف الثمانينيات الهجرية تقريباً[2].

أما، ثنية ركوبة المعروفة اليوم، فقد سُميت ثنية ركوبة، لأنها نُقبت في جبل ركوبة، وأرى أنها لم تكن موجودة في زمن الهجرة النبوية، وأنها استحدثت في النصف الثاني من القرن الهجري الأول، بعد أن اتخذ بعض سراة أهل المدينة ضياعاً، وبَوادٍ في هذا الجزء من أودية قدس وجعلوه متبدّى ومتنزهاً لهم، فكان لا بد من فتح طريق يوصل مباشرة إلى ضياعهم، عندما يكونون قادمين

(١) طريق الهجرة النبوية، ص ٨٦، ط ١، مطابع الروضة - جدة

(٢) لمعرفة المزيد عن هذا التقليد الاجتماعي، ينظر كتاب (الركب المكي) للواء الركن الدكتور/ أنور بن ماجد عشقي.

من الغور سواءً من مكة المكرمة، أو غيرها من نواحي تهامة، فلعل هذا سبب في فتح هذه الثنية في جبل ركوبة، وفتح طريق شعب فَيْد، وثنية العقنقل، لأنه أقصر طريق موصل إلى ضياعهم المتناثرة في أودية جبل ركوبة، ومشروان؛ مثل الرس، وحفر، والخاطر، وغيرها، لكن يلاحظ أن هذا الطريق ليس للقوافل، أو الجمال المحملة، بل للرجالة، وخفاف المطايا.. والله أعلم.

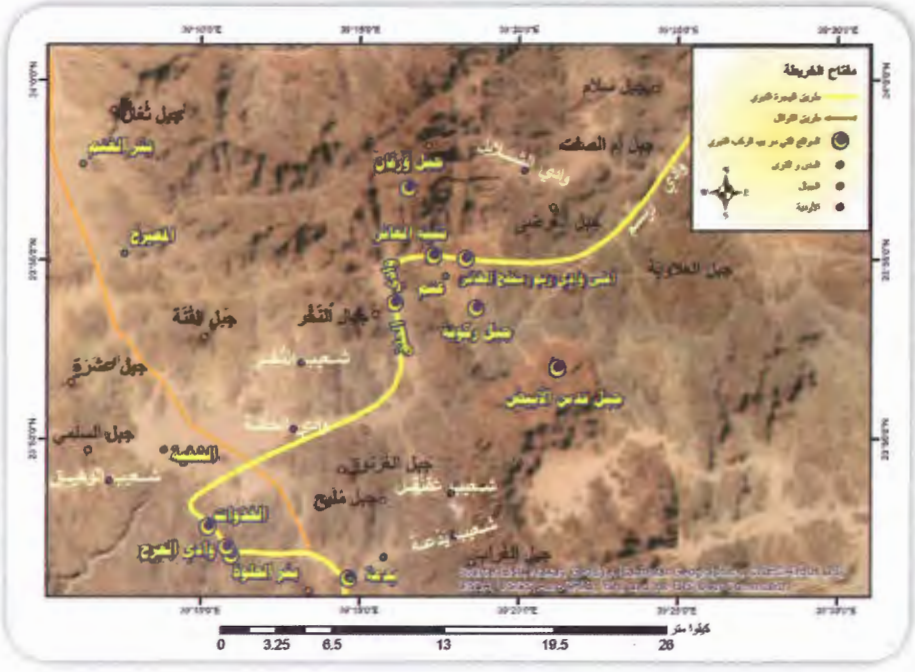

وصف الطريق من العرج إلى الغائر

هبط الركب النبوي المبارك وادي العرج، ونرجح أنهم استقوا من بئر الحلوة، وأخذوا منه كفايتهم من الماء، ثم خرجوا من الوادي، لأنهم لا يريدون السير مع الجادة، ما أمكنهم ذلك، فجعلوا وادي العرج عن يسارهم، واتجهوا إلى أرض تسمى (الخذوات)، فدخلوا بين شعاب، وجبيلات، وظراب، ومسالك وعرة، حزْنة، ومُضِلّة، فتأثر من ذلك بعض ظهرهم.

وبينما هم في هذا الوضع، لاح لهم شخص تبيّنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فإذا هو مسعود بن هنيدة، مولى أبي تميم فروة الأسلمي، وجرى بينهم اللقاء الذي مرّ معنا، وتوجه الجميع شرقًا، ليأخذوا طريق الغائر من ركوبة.

من يسير من وادي العرج في اتجاه ثنية الغائر يُسنِّد في وادي الجيّ، ويستمر به الطريق في الوادي إلى الثنية.

ووادي الجي يتراوح عرضه بين: ٥٠٠-١٠٠٠ مترا، وتكتنفه من جانبيه جبال ليست عالية، وأرضه معشبة ومشجرة، ويهيمن على النظر للمتجه شرقًا مشهد مهيب؛ قدس الأبيض إلى اليمين، وورقان إلى اليسار، بلونيهما الأحمر الجميل، وبينهما جبل ركوبة، (كأحد أبنائهما الصغار)!

آثار مسجد البِضَة

سنّد الركب الميمون في وادي الجي، وبعد حوالي (١١) كم نزلوا للاستراحة، أسفل تلعة بيضاء، اسمها (البِضَة)، وهذا هو اسمها إلى اليوم، وتقول الروايات التاريخية أن بها مسجدا له ﷺ.[1]، ونتوقع أنها صلاة العصر.

23°50'58.7"N
39°16'22.3"E
مسجد البضة

استأنف الركب المسير، وكلما صعّدوا في الوادي ازداد وعورة، حتى أن الأدلاء كانوا في حيرة، وهنا برز أحد فتيان مزينة، واسمه عبد نهم، قبل أن يسميه النبي ﷺ عبد الله، فأبدى استعداده بأريحية للمساعدة، فرافق الركب صعوداً في ثنية الغائر، آخذاً بزمام ناقة النبي ﷺ، وهم يترنم بشعر من نوع الحِداء، حتى علَوا الثنية، وحانت الصلاة (نتوقع أنها صلاة العشاء)، فحطوا رحالهم قرب رأس الثنية، في موضع مستوٍ، كان إلى عهد قريب منزل للمسافرين على هذا الدرب، يسمى «سطحة الغائر». أدّى الركب الكريم صلاتهم، وناموا، تكلؤهم عين الله التي لا تنام.

23°55'05.5"N
39°18'06.3"E
سطحة الغائر

سطحة الغائر ويظهر جبل ورقان الشامخ

(١) تقدم ذكر ذلك آنفاً، عند الكلام على العرج

اليوم الحادي عشر (الأحد الرابع عشر من ربيع الأول)

الطريق من الغائر إلى قباء

قال ابن إسحاق «..ثَنِيَّةُ الْغَائِرِ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ- حَتَّى هَبَطَ بِهِمَا بَطْنَ رِئْمٍ، ثُمَّ قَدِمَ بِهِمَا قُبَاءً، عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، حِينَ اشْتَدَّ الضَّحَاءُ، وَكَادَتْ الشَّمْسُ تَعْتَدِلُ».

هـذا الجزء من الطريـق، طوله حوالي (٧٧) كم، في هـذه الرواية موضع واحـد فيه، هو (بطن رئم)، وبالبحث في مصادر أخرى، تم العثور على أربعة مواضع في الطبقات الكبرى لابن سعد، هي: **العقيق، الجثجاثة، طريق الظبي، حرة العصبة**. وموضع خامس عند ابن عساكر هو **قرين صريحة (الضرطة)**.

يقول ابن سعد، بعد أن ذكر المواضع التي رواها ابن إسحاق «... ثم هبط بطـن العقيق حتى انتهى إلى الجثجاثة، فقال: مـن يدلنا على الطريق إلى بني عمرو بن عوفٍ فلا يقرب المدينة؟ فسلك على طريق الظبي حتى خرج على العصبة..»[1]

بالإضافة إلى موضع آخر تقدم معنا في رواية الأزهري، وهو: **الخلائق**.

ونورد هنا تعريفاً مختصراً بهذه المواضع، حتى يكون السـير على خطى الركب النبوي الميمون، على هدى:

بطن رئم

في معجم البلدان: رئم: بكسر أوله وهمزة ثانيه وسكونه واحد الآرام وقيل باليـاء غير مهموزة وهي الظباءُ الخالصة البيـاض، وهو واد لمزينة قـرب المدينة يصب فيه وَرِقانُ له ذكر في المغازي وفي أشعارهم.. قال كثير:

24°01'28.4"N
39°29'03.9"E
بطن رئم

(١) الطبقات الكبرى، ذكر خروج النبي ﷺ وأبي بكر إلى المدينة للهجرة

عـرفـتُ الـــدار قـد أقْـــوَت بـرِئـمِ
إلـــى لأي فـمـدفـع ذي يـــدُوم

وقيل بطن ريم على ثلاثين ميلاً من المدينة وفي رواية كيسان على أربعة برد من المدينة وهو عن مالك بن أنس وفي مصنف عبد الرَزاق ثلاثة برد».

قلت: وادي رئم، ويقال ريم (بتسهيل الهمزة)، وادٍ، مازال معروفاً، من أكبر روافد العقيق، بل هو أكبرها، يأخذ مياه وجه ورقان الشرقي، ومياه أودية الجبال المتصلة بقدس الأبيض من الشَمال، فيصبها في العقيق، عند التقائه به بين السناف (نعف مياسر قديماً)، وجبل المسمى، في موضع يسمى اليوم(الخنقة)، ولوادي ريم روافد كثيرة جداً، لعل أشهرها: الدوداء، ويدوم، وقسبان، وقسيبين، وحظه، والشلائل، والعاند، وغيرها.

الجثجاثة

قال الزبير بن بكار «الجثجاثة: بادية من بوادي المدينة، أقصاها على سبعة عشر ميلاً، وأدناها ستة عشر ميلاً بالميل الصغير، بها منازل لآل حمزة وعباد وثابت، بني عبد الله بن الزبير، كان اتخذها عبد الله بن الزبير.»[1]

وذكر الهجري في التعليقات والنوادر- ونقل عنه السمهودي وغيره- أن الجثجاثة صدقة عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير وبها قصور ومتبدّى وإليها يفضي وادي العقيق بعد أن يمر بالخليقة (أبيار الماشي)[2].

والجثجاثة تسمى اليوم السيح، وهي بين أبيار الماشي وحمراء الأسد.[3]

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها. ج١، إشراف حمد الجاسر.

(٢) التعليقات والنوادر، ص ١٤٤١.

(٣) انظر عنها وعن العقيق ودوافعه، كتاب (أودية حمى المدينة)، أو كتاب (أحماء المدينة)، للمؤلف.

الخلائق (أبيار الماشي)

24°11'41.0"N
39°32'46.0"E
الخلائق

الخلائق 46E 32 39 41N 11 24

أبيار الماشي هو الاسم المتداول الآن لما كان يسمى خلائقَ ابنِ أبي أحمد، وابن أبي أحمد هو: عبد الله بن أبي أحمد بن جحش ولد في زمن النبي ﷺ وجيء به إليه فسماه عبد الله، وولاّه معاوية بن أبي سفيان على العقيق.(١)

والخلائق في اللغة: هي الآبار الحديثة الحفر.(٢)

العقيق

وادي العقيق، الوادي المبارك، أشهر من أن يعرّف، يأتي المدينة من جنوبها، فيمر بالخلائق، ثم بالجثجاثة، ثم بحمراء الأسد، ثم بميقات ذي الحليفة، ثم يلب الحرة الغربية (حرة الوبرة) من غربيها، بينها وبين الجماوات، ثم العرصة، وفيها بئر عثمان رضي الله عنه، ثم الجرف، وبعده مجمع الأسيال، حيث

(١) وفاء الوفاء ص ١٠٦٦ تحقيق محي الدين.

(٢) لسان العرب، مادة خلق.

ينضم إليـه وادي قناة، مع الأودية الأخرى، فيتكـون وادي إضم(الحَمض)، الذي يأخذ تلك المياه ويلقيها في البحر جنوب الوجه.

طريق الظبي

طريق الظبي

طريق الظبي مازال معروفًا عند البادية باسمه ورسمه، وهو طريق يأخذ في الحرة الجنوبيـة للمدينة المنورة إلى قباء، مازالت بعض آثاره بادية للعيان ويسمى عند أهل المدينة المنورة (طريق الجِصَّة)، وقد أشار إليه الأستاذ عبد القـدوس الأنصاري رحمـه الله بقوله «أدركنا كبار النـاس في المدينة المنورة يسـمون طريق الهجرة هذا باسـم (طريـق الجصة). وهذا اسـم متواتر بينهم متعارف بين عامتهم وخاصتهم حتى عهد قريب..» [1]

(١) طريـق الهجـرة النبوية، عبد القـدوس الأنصـاري، ص١٠١، مطبوعات النـادي الأدبي بالمدينة المنورة.

حرة العُصْبة

حدد موقعها السمهودي، فقال « منزل بني جحجبي، غربي مسجد قباء»[١].

ما بقي من قرين صريحة

24°25'13.9"N
39°35'45.1"E
قرين صريحة

قُرين ضرطة[٢]

ذكر ابن عساكر في ترجمة الصحابيّ الجليل فضالة بن عبيد بن نافذ الجحجبيّ الأوسيّ[٣] أنه قال:« لما كان اليوم

(١) وفاء الوفا، رسم: العصبة، وللمعلومات عنها أكثر، ينظر كتاب «أودية حمى المدينة للمؤلف».

(٢) يعرف أيضاً باسم قرين صريحة، ولعل هذا لتجنب ذكر الاسم الأول لقبحه، وهو جبيل صغير مازال موجوداً يصب عليه وادي رانوناء، وعنده السدود، (موجودة بقاياها اليوم). قال ابن شبة: ووادي رانوناء «ويقال رانون، يأتي سيله من مقمن جبل في يماني عير ومن حرس شرقي الحرة ثم يصب على قرين صريحة، أي المعروف بقرين الضرطة ثم على سدِّ عبد الله بن عمرو بن عثمان». (خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ٢/ ٥٢٠).

(٣) فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ نَافِذِ بْنِ قَيْسِ بْنِ صُهَيْبَة بْنِ الْأَصْرَمِ بْنِ جَحْجَبَا بْنِ كُلْفَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بن مالك بن الأوس. مِنَ الْأَنْصَارِ، شَهِدَ أُحُدًا وَالْخَنْدَقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَنَزَلَ دِمَشْقَ، وَبَنَى بِهَا دَارًا، وَكَانَ قَاضِيًا بِهَا فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَمَاتَ بِدِمَشْقَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَلَهُ عَقِبٌ (الطبقات الكبرى)

الذي قدم فيه رسـول الله ﷺ قباء لقيناه بقرين ضرطة، ونحن غلمان نحتطب فأرسلَنا إلى أهلنا وقال: قولوا قد جاء صاحبكم الذي تنتظرون، قال: فخرجنا إلى أهلنا فأخبرناهم وأقبل القوم»[1]

ولعل هذه الرواية تفسر وتوضح ما جاء في مسند أحمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «إِنِّي لَأَسْـعَى فِي الْغِلْمَانِ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ، فَأَسْـعَى فَلَا أَرَى شَـيْئًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ، فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، قَالَ: حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَصَاحِبُهُ أَبُـو بَكْرٍ، فَكَمَنَا فِي بَعْضِ حِـرَارِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ بَعَثَا رَجُلًا مِنْ أَهْـلِ الْبَادِيَةِ لِيُؤْذِنَ بِهِمَا الْأَنْصَـارَ، فَاسْـتَقْبَلَهُمَا زُهَـاءَ خَمْسِ مِائَةٍ مِنَ الْأَنْصَـارِ، حَتَّى انْتَهَـوْا إِلَيْهِمَا، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: انْطَلِقَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ».[2]

قباء

بالضم والقصر وقد تمد، وهي في الأصل اسم بئر هناك عرفت القرية بها، قـال ابن زبالة: كان بقباء شـخص من يهود له أطـم بها يقال له عاصم، كان في دار ثوبة بن حسين بن السائب ابن أبي لبابة، وفيه البئر التي يقال لها قباء[3].

(١) تاريخ دمشق، ٤٨/ ٢٩٨، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) مسند أحمد، ٢١/ ٤٠، ط الرسالة .

(٣) وفاء الوفا، رسم: قباء(باختصار).

وصف الطريق من الغائر إلى الجثجاثة : هذه المرحلة من الطريق، ربما تكون أسهل المراحل، فالسير في معظمها مع واديي ريم، والعقيق، وهما يجريان في مجرى شبه مستقيم، ولا توجد عوائق طبيعية، تبطئ السير فيهما، إضافة إلى أن الركب النبوي الآن خارج نفوذ قريش، وفي مأمن من عيونها، والرحلة في نهايتها، وهناك من ينتظرهم على أحر من الجمر، شوقًا لرؤيتهم، ومحبةً لصحبتهم، وعزيمةً على نصرتهم.

قام الركب الميمون صبح الأحد رابع عشر ربيع الأول، وهو يومهم الحادي عشر، من خروجهم من الغار، فحدّروا وادي ريم، وبعد مسيرة حوالي (٢٥) كم، نزلوا للاستراحة في موضع متسع من وادي ريم، تلتقي معه فيه بعض روافده، وأهمها وادي الدوداء، ويوصف هذا الموضع بأنه بطن وادي ريم، وفيه أدرك الركبَ النبوي أبو معبد الخزاعي (زوج أم معبد)، حسب ما نقل السمهودي، قال: «وقال الشرقي: بلغني أن أبا معبد أدركهما ببطن ريم، فبايع رسول الله ﷺ وانصرف»[1].

24°01'28.4"N
39°29'03.9"E
بطن رئم

بعد استراحة قصيرة، استأنف الركب النبوي المبارك مسيره في وادي ريم، وبعد حوالي (٥ , ١٢) كم، وعند مفيض واديي يدوم، ووادي الحنو في ريم، صفقوا ذات الشمال، وسنّدوا في تلعة الصهو[2]، وهي بين جبل المسمّى عن أيمانهم، وجبل الرنْفية عن شمائلهم، ومنها هبطوا إلى بعض روافد العقيق، مثل أودية: ثغرة، والريامية، وضبع، وملح، وغيرها، حتى علَوْ الخلائق (أبيار الماشي)، ومنها واصلوا المسير إلى الجثجاثة، وهناك عرّسوا في موضع مرتفع، حتى الصباح، بعد مرحلة طويلة، حوالي (٥٢) كم، من قيامهم من رأس ثنية الغائر.

---

(١) وفاء الوفا، ج١ ص١٨٩، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت .

(٢) تسمى تاريخيًا الصهوة، والصحيح الصهو، كما هو اسمها اليوم.

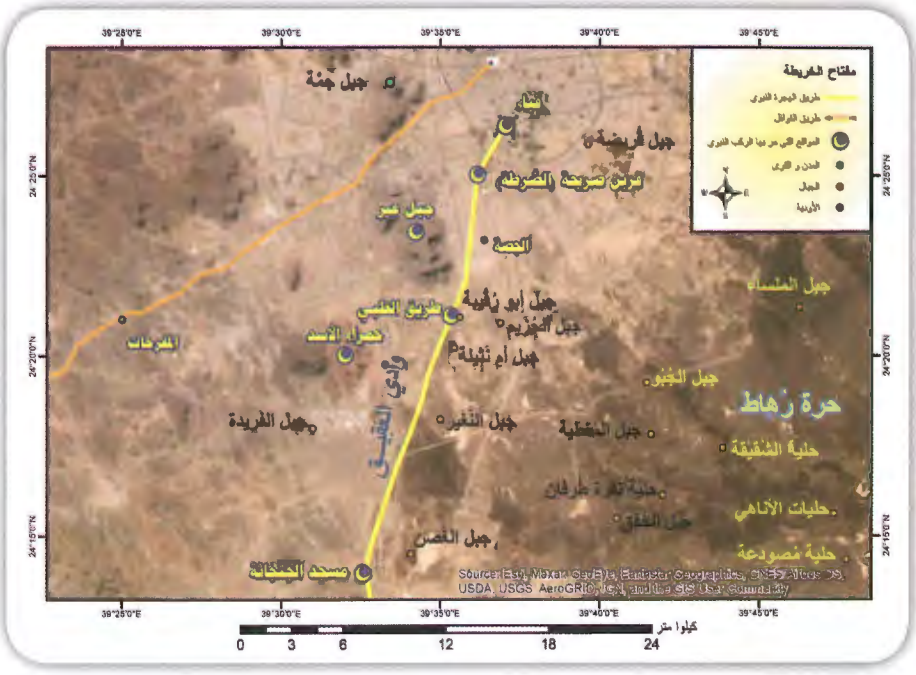

طريق الظبي

اليوم الثاني عشر (الاثنين الخامس عشر من ربيع الأول)

أدى النبي ﷺ، وصحبه الميامين صلاة الصبح، وبقوا في مصلاهم.

وحسب رواية ابن سعد، فقد حُدد مكان مصلاه ﷺ، وجُعل مسجداً.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في الطبقات:« قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي قَائِدٌ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْعَرْجِ وَأَنَا مَعَهُ دَلِيلٌ حَتَّى سَلَكْنَا فِي رَكُوبَةٍ فَسَلَكْتُ فِي الْجِبَالِ فَلَصِقْتُ بِهَا. وَمَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْخَذَوَاتِ وَهِيَ قَرِيبٌ مِنَ الْعَرْجِ فَأَرْسَلَ أَبُو تَمِيمٍ إِلَيْهِ بِزَادٍ وَدَلِيلٍ غُلَامِهِ مَسْعُودٍ.

فَخَرَجْنَا جَمِيعًا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْجُحْفَةِ. وَهِيَ عَلَى بَرِيدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ. فَصَلَّى بِهَا رسول الله ﷺ وَمَسْجِدُهُ الْيَوْمَ بِهَا. وَتَغَدَّيْنَا بِهَا بَقِيَّةً مِنْ سُفْرَتِنَا وَكُنَّا ذَبَحْنَا بِالأَمْسِ شَاةً فَجَعَلْنَاهَا إِرَةً فقال النبي ﷺ: مَنْ يَدُلُّنَا عَلَى طَرِيقِ

بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ؟ قَالَ فَأَنَا نَزَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ. وَأَسْلَمَ سَعْدٌ مَوْلَى الأَسْلَمِيِّينَ وَصَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ». (١)

مسجد الجثجاثة

مسجد الجثجاثة :

24°13'52.8"N
39°32'31.7"E
مسجد الجثجاثة

المسجد المذكور في هذه الرواية قال عنه السمهودي « ومسجد للرسول ﷺ، في طرف الجثجاثة، بينها بين بئر شداد، بطرف وادي العقيق، مما يلي النقيع في تلعة هناك»(٢).

قلت: وقد عثرتُ في تلعة بطرف الجثجاثة الجنوبي (وهو معنى قوله مما يلي النقيع، لأن النقيع ناحية الجنوب)- على رضم من الحجارة المرصوصة على شكل مصلىّ، مركوز في قبلته حجر يشير إلى اتجاه القبلة، وأرجح أنه هو مسجد الجثجاثة المذكور، ضمن المصليات

(١) الطبقات الكبرى، ترجمة: سعد مولى الأسلميين .

(٢) وفاء الوفا، ج٣، ص ٢٥٢، تحقيق السامرائي.

النبويـة، وخاصـة أن بقربه بئراً أثرية تسـمى اليوم (بئر طرفـان) لعلها هي بئر شداد المذكورة، في المصادر.

وبعـد الإشـراق، والتجهـز للرحيـل، وتنـاول الغـداء (الغـداء: أكل الصبـوح)[1]، توجه الركب النبوي، تحفه عناية الله، وتوفيقه، سـالكين طريق الظبيّ، إلى قباء، منازل بني عمرو بن عوف، من الأوس، منهين أبرك وأسـعد رحلة في التاريخ، بعد أحد عشر يومـاً من خروجهم من الغار.

وأرى أن رغبـة النبي ﷺ في دخـول المدينة من جنوبها (منازل الأوس)، تحتاج من الباحثين إلى دراسة معمقة، ليس هنا مجال بسطها.

سـلك الركب النبوي طريق الظبي، وهو طريق على الحرة (كما قدمنا)، يتجه بشـكل مسـتقيم تقريبـاً إلى قباء، جاعلاً جبل عير على يساره، ثم يعتلي ظهـر حرة العصبة، وهنا شـاهدهم رجل من اليهود علـى أُطم له، لأمر ينظر فيه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين[2]، يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا بني قيلة! هذا جدكم[3] الذي تنتظرون.

فهـب الأنصـار، هبة رجـل واحد (وعددهم خمسـمئة رجـلا)[4] فتلقوا رسـول الله ﷺ، بظهر الحـرة، ورافقوه حتى نهايتها، «فعـدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شـهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممّن لم ير رسـول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى أصابت الشـمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك»[5].

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: صبح.

(٢) أي عليهم الثياب البيض التي كساهم إياها طلحة، أوالزبير.

(٣) أي حظكم.

(٤) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان، ١/ ١٣٩.

(٥) صحيح البخاري، باب هجرة النبيّ ﷺ.

الضياء يعُمُّ المدينة

عندما صعد رسول الله ﷺ الثنية التي تطلعه على قباء، وأشرقت طلعته البهية على مستقبليه، انتشر في أفق المدينة ضياء حسيّ ومعنويّ.

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ كُلُّ شَيْءٍ»(١)

بئر عذق

بئر عذق

تذكر بعض المصادر أن النبيّ ﷺ وأبا بكر وبقية الركب المبارك مالوا إلى حديقة أسفل حرة العصبة، قبل قباء بقليل، فيها بئر تسمى اليوم (بئر عذق).

قال رزين العبدري(٢): «نزل في ظل نخلة، ثم انتقل منها إلى دار كلثوم،

(١) مسند أحمد، المصدر السابق، ٢١/ ٣٥

(٢) رزين السرقسطي (٠٠٠ - ٥٣٥ هـ) (٠٠٠ - ١١٤٠ م) رزين بن معاوية بن عمار العبدري، =

أخي بني عمرو بن عوف»[1].

ويبدو أن بئر هذه الحديقة كانت في زمن الهجرة تسمى (غرس)، حسبما نُقل عن يحي بن الحسن العقيقي في (أخبار المدينة)، أنه ﷺ أناخ إلى عذق عند بئر (غرس).

وقد علق السمهودي على هذا الخبر بقوله: « ولم أر هذا الخبر في النسخة التي رواها ولد ابن يحيى عن جده، وقوله «عند بئر غرس» الظاهر أنه تصحيف، ولعله «بئر عذق» لبعد بئر غرس من منزله ﷺ بقباء، بخلاف بئر عذق»[2].

طريق النبيّ ﷺ من قباء إلى المدينة

كما اعتمدنا رواية ابن إسحاق في توثيق طريق الهجرة من مكة إلى قباء، فقد وجدناها أيضاً من أوثقها في وصف طريقه ﷺ من قُباء إلى وسط المدينة (المسجد النبوي)، مع إشكال واحد سنبينه لاحقاً، مع أن الروايات الأخرى التي تحدثت عن هذا الجانب جاءت متقاربة ـ ولا تعارض بينها في المجمل.

قال ابن إسحاق:« فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُباءٍ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، وَأَسَّسَ مَسْجِدَهُ.

ثُمَّ أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يُزْعِمُونَ أَنَّهُ مَكَثَ فِيهِمْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فالله أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ. فَأَدْرَكَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، فَصَلَّاهَا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي، وَادِي رَانُونَاءَ، فَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا بِالْمَدِينَةِ.

=الاندلسي، السرقسطي (أبو الحسن) محدث، مؤرخ. جاور بمكة، وسمع بها، وحدث وتوفي بها في المحرم وقد شاخ.

من تصانيفه: التجريد في الجمع بين الصحاح الستة، وكتاب في أخبار مكة. (معجم المؤلفين – رضا كحالة)

(١) وفاء الوفا، مصدر سابق، ١/ ١٩١.

(٢) وفاء الوفا، المصدر السابق، ١/ ١٩١.

(اعْتِرَاضُ الْقَبَائِلِ لَهُ ﷺ تَبْغِي نُزُولَهُ عِنْدَهَا):

فَأَتَاهُ عِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَالِمِ ابْنِ عَوْفٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ. أَقِمْ عِنْدَنَا فِي الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالْمَنَعَةِ، قَالَ: خَلُّوا سَبِيلَهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، لِنَاقَتِهِ: فَخَلُّوا سَبِيلَهَا، فَانْطَلَقَتْ حَتَّى إِذَا وَازَنَتْ دَارَ بَنِي بَيَّاضَةَ، تَلَقَّاهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ، وَفَرْوَةُ بْنُ عَمْرٍو، فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي بَيَّاضَةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: هَلُمَّ إِلَيْنَا، إِلَى الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالْمَنَعَةِ، قَالَ: خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، فَخَلَّوْا سَبِيلَهَا. فَانْطَلَقَتْ، حَتَّى إِذَا مَرَّتْ بِدَارِ بَنِي سَاعِدَةَ، اعْتَرَضَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو، فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلُمَّ إِلَيْنَا إِلَى الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالْمَنَعَةِ، قَالَ: خَلُّوا سَبِيلَهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، فَخَلَّوْا سَبِيلَهَا، فَانْطَلَقَتْ، حَتَّى إِذَا وَازَنَتْ دَارَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، اعْتَرَضَهُ سَعْدُ ابْنِ الرَّبِيعِ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ ابْنِ الْخَزْرَجِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلُمَّ إِلَيْنَا إِلَى الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالْمَنَعَةِ قَالَ:

خَلُّوا سَبِيلَهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، فَخَلَّوْا سَبِيلَهَا. فَانْطَلَقَتْ، حَتَّى إِذَا مَرَّتْ بِدَارِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، وَهُمْ أَخْوَالُهُ دِنْيَا- أُمُّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، سَلْمَى بِنْتُ عَمْرٍو، إِحْدَى نِسَائِهِمْ- اعْتَرَضَهُ سَلِيطُ بْنُ قَيْسٍ، وَأَبُو سَلِيطٍ، أُسَيْرَةُ بْنُ أَبِي خَارِجَةَ، فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلُمَّ إِلَى أَخْوَالِكَ، إِلَى الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالْمَنَعَةِ، قَالَ: خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، فَخَلَّوْا سَبِيلَهَا، فَانْطَلَقَتْ.

(مَبْرَكُ نَاقَتِهِ ﷺ بِدَارِ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ):

حَتَّى إِذَا أَتَتْ دَارَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، بَرَكَتْ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ ﷺ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مِرْبَدٌ [١] لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وَهُمَا فِي حِجْرِ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ، سَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ابْنَيْ عَمْرٍو. فَلَمَّا بَرَكَتْ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهَا لَمْ يَنْزِلْ، وَثَبَتَ فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَرَسُولُ

اللهِ ﷺ وَاضِعٌ لَهَا زِمَامَهَا لَا يَثْنِيهَا بِهِ، ثُمَّ الْتَفَتَتْ إِلَى خَلْفِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَى مَبْرَكِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَبَرَكَتْ فِيهِ، ثُمَّ تَحَلْحَلَتْ وَزَمَّتْ وَوَضَعَتْ جِرَانَهَا، فَنَزَلَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ ابْنُ زَيْدٍ رَحْلَهُ، فَوَضَعَهُ فِي بَيْتِهِ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَأَلَ عَنْ الْمِرْبَدِ لِمَنْ هُوَ؟ فَقَالَ لَهُ مَعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ابْنَيْ عَمْرٍو، وَهُمَا يَتِيمَانِ لِي، وَسَأُرْضِيهِمَا مِنْهُ، فَاتَّخِذْهُ مَسْجِدًا»[١].

ونقل السمهودي عن يحي[٢] (العقيقي)، إضافة منزلين لقبيلتين، هما: بنو الحبلى[٣]، وبنو مازن[٤]، ولم تخرج بقية الروايات عما جاء في هاتين الروايتين.

أماكن منازل القبائل الواردة في الروايات

مسجد الجمعة

(١) السيرة النبوية لابن هشام.

(٢) يحيى العقيقي (٢١٤ - ٢٧٧ هـ) (٨٢٩ - ٨٩٠ م) يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله ابن الحسين الاصغر العبيدلي، العقيقي (أبو الحسين) مؤرخ، نسابة.
ولد بالمدينة، وتوفي بمكة.
من آثاره: اخبار المدينة، وانساب آل ابي طالب.

(٣) وفاء الوفا، ١/ ١٩٩.

(٤) المرجع السابق، ١/ ٢٠٢.

مسجد الجمعة في بني سالم

مسجد الجمعة من أشهر المعالم في المدينة اليوم، ويقع في منازل بني سالم، ومنزلهم عرّفها السمهودي فقال: «ونزل سالم وغنم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر الدار التي يقال لها «دار بني سالم» على طرف الحرة الغربية غربي الوادي الذي به مسجد الجمعة ببطن رانونا، وابتنوا آطاما: منها «المزدلف» أطم عتبان بن مالك»[1].

منازل بني بياضة

بنو بياضة بطن من بني جشم من الخزرج، دارهم كانت في شامي دار بني سالم بن عوف وقبلي دار بني مازن، ممتدة في الحرة الغربية.[2].

قلت: منازل بني بياضة: هي اليوم تشمل حي البحر، والدويمة، وتمتد غرباً في الحرة.

منازل بني الحارث بن الخزرج

لهم أربع منازل، فصلها السمهودي، نقلاً عن ابن زبالة، بقوله:

المنزل الأول: « قال ابن زبالة: ونزل بنو الحارث بن الخزرج الأكبر بن حارثة وهم بلحارث، دارهم المعروفة بهم بالعوالي: أي: شرقي وادي بطحان وتربة صعيب، يعرف اليوم، بالحارث بإسقاط، بني[3]

قلت: منزلهم هذا معروف اليوم، في محلة قربان، عند المدشونية، وتربة صعيب (تربة الشفاء)، وهي معروفة أيضاً، في بداية شارع قربان النازل (طريق الأمير عبد المحسن).

المنزل الثاني: «.. وخرج جشم وزيد ابنا الحارث بن الخزرج وهما

(١) وفاء الوفا، ج١ ص١٥٨، دار الكتب العلمية-بيروت .
(٢) المرجع السابق، ١/ ١٥٨.
(٣) المرجع السابق،١/ ١٥٧.

التوأمان فسكنا السنح، وابتنوا أطما يقال له «السّنح» وبه سميت الناحية»

قلت: هو قريب من المنزل الأول، في ناحيته الشمالية.

المنـزل الثالث: «وخرجت بنو خـدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج حتى سكنوا الدار التي يقال لها «جرار سعد» مما يلي سوق المدينة»[1].

قلت: وهذا المنزل هو المراد في وصف طريق الهجرة النبوي من قباء إلى المنزل النبوي، وموقعه اليوم جنوب مجمع الداودية تقريباً.

المنـزل الرابع : «وخرجت بنو الأبجر وهـو خدرة بن عوف بن الحارث بـن الخزرج وهم بنو خدرة أخوة بني خدارة فسـكنوا دارهـم المعروفة ببني خـدرة، وابتنوا أطما يقال له «الأجرد» وهـو الأطم الذي يقال لبئره البصة[2]، كان لمالك بن سنان جد أبي سعيد الخدري»[3]

منازل بني الحبلى

قال السـمهودي: «ونزل بنو الحبلى -بلفظ المرأة الحبلى- واسمه مالك بن سـالم بـن غنم بن عـوف بن عمـرو بن عوف بـن الخزرج الأكـبر، الدار المعروفـة بهم بين قباء وبين دار ابني الحارث بن الخزرج التي شـرقي وادي بطحان وصعيب، كذا قاله المطري، (وأظن مستنده ما تقدم في منازل الأوس مـن قول ابن زبالة: ونـزل بنو عطية بن زيد بن قيس بصفنـة فوق بني الحبلى إلى آخره)،

وقـال ابـن حزم: كانـت دار بنـي الحبلى بيـن دار بني النجـار وبين بني ساعدة.

---

(١) المرجع السابق، ١/ ١٥٨..

(٢) بئر البصة، مكانه اليوم: وقف البوصة، والنشـير (مبنى الجزيرة)، جنوب شـرقي المسجد النبوي الشريف.

(٣) المرجع السابق.

قلت (القول للسمهودي): وسيأتي في خروجه صلّى الله عليه وسلّم من قباء إلى المدينة ما يؤيده، وكذلك مروره ﷺ بعبد الله بن أبي في ذهابه لعيادة سعد بن عبادة. وما ذكره من أن الحبلى اسمه مالك بن سالم ذكره ابن زبالة، وقال ابن هشام: الحبلى سالم بن غنم بن عوف، وإنما سمي الحبلى لعظم بطنه، انتهى.

وذكر ابن حزم نحوه، والظاهر أن الحبلى كان يطلق على سالم والد مالك المذكور، ثم اشتهر به ابنه هذا من بني بنيه، وحينئذ فيحمل ما تقدم عن ابن زبالة في نزول بني عطية بن زيد بصفنة فوق بني الحبلى، على أن المراد دار سالم بن غنم في دار بني سالم؛ لكونه ذكر في آطام بني الحبلى هؤلاء ما يوافق كلام ابن حزم في نزولهم قرب دار بني ساعدة، فقال: وابتنوا آطاما منها «مزاحم» بين ظهراني بيوت بني الحبلى، وهو لعبد الله بن أبي بن سلول. ومنها أطم كان بين مال عمارة بن نعيم البياضي وبين مال ابن زمانة. ومنها أطم كان في جوف بيوتهم»[1] انتهى.

قلت: يفهم مما تقدم، أن منازل بني الحبلى قرب بني ساعدة، بينها وبين بني عدي بن النجار غرب المسجد النبوي. واستدل السمهودي بدليلين قويين، هما:

الدليل الأول: قول ابن حزم: كانت دار بني الحبلى بين دار بني النجار وبين بني ساعدة، وجاء في كلام ابن زبالة ما يؤيده.

الدليل الثاني: مروره ﷺ بعبد الله بن أبي في ذهابه لعيادة سعد بن عبادة:

فقد أورد البخاري في الصحيح بسنده «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ، عَلَى إِكَافٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ

(١) المرجع السابق، ١/ ١٥٩.

يُسْلِمَ عَبْدُ اللهِ، وَفِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ، وَفِي المَجْلِسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، قَالَ: لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَقَفَ، وَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ، إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَاليَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى سَكَتُوا، فَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ: «أَيْ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟» - يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ - قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ، فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ مَا أَعْطَاكَ، وَلَقَدِ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ البَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ، فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ»[1]

قلت: في هذا الحديث دليل على أن منازل بني الحبلى تقع بين بني النجار (منزل النبيّ ﷺ) وبني ساعدة (قوم سعد بن عبادة) وهؤلاء قرب ثنية الوداع الشمالية، وهذا مؤيد لقول ابن حزم الوارد في الدليل الأول.

لذلك اعتبر السمهودي، أن تحديد المطري لمنازل بني الحبلى غير دقيق، مرده، ظنُ المطري أن المقصود بالحبلى، الذين دارهم قرب قباء، بنو مالك (يعني بني الحبلى)، بينما المعنيون بالحبلى في قول ابن زبالة، هم بنو عمومتهم، بنو سالم.

نستنتج مما سبق، أن دار بني الحبلى تقع غرب، وشمال غرب المسجد النبوي الشريف، متداخلة مع أحد منازل بني الحارث بن الخزرج، وبني

(١) الجامع الصحيح، ح: ٥٦٦٣، باب عيادة المريض راكبًا وماشيًا.

ساعدة، ويمكن تنزيلها على مكان يقع جنوب ما كان يعرف بشارع السحيمي، قريب من سقيفة بني ساعدة، مع امتداد إلى ناحية الغرب، قرب جبل سليع.

ولعل اسم سوق (مزاحم)[1]، منسوب إلى أطم عبد الله بن أبي بن سلول لقربه منه.

منازل بني ساعدة

ولبني ساعدة خمس منازل، كلها في شمال، وشمال غرب المدينة، فصّلها السمهودي نقلاً عن ابن زبالة، فقال:

المنزل الأول: « فنزل بنو عمرو، وبنو ثعلبة ابنا الخزرج بن ساعدة دار بني ساعدة، التي بين السوق- أي سوق المدينة- وبين بني ضمرة؛ فهي في شرقي سوق المدينة (المناخة اليوم) مما يلي الشام. وقال المطري: قرية بني ساعدة عند بئر بضاعة، والبئر وسط بيوتهم. قال ابن زبالة: فابتنوا أطما يقال له «معرض» في الدار المواجهة مسجد بني ساعدة، وهو آخر أطم بني بالمدينة، وقدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يبنونه، فاستأذنوه في إتمامه، فأذن لهم فيه.

وأطما في دار أبي دجانة الصغرى التي عند بضاعة.

المنزل الثاني: «ونزلت بنو قشبة- واسم قشبة عامر بن الخزرج بن ساعدة- قريباً من بني حُديلة، وابتنوا أطما عند خوخة عمرو بن أمية الضّمري.

قلت (القول للسمهودي): فمنزلهم في شرقي بني ضمرة، والمنزل المذكور قبْلُ. والله أعلم».[2]

المنزل الثالث:«ونزلت بنو أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن

(١) انظر الفصل الأول(الأسواق).

(٢) وفاء الوفا، ١/ ١٦٥.

ساعدة- وهم رهط سعد بن عبادة الدارَ التي يقال لها جرار سعد وهي جرار كان يسقي الناس فيها الماء بعد موت أمه.

قال ابن زبالة: عرض سوق المدينة ما بين المصلى إلى جرار سعد بن عبادة، مما يلي السوق من جهة الشام، ويكون المصلى حده القبلي، وهذا هو الأرجح؛ لأن الجهة التي بالمشرق مما تقدم إنما هي من منازل بني زريق. والله أعلم.

قال ابن زبالة: فابتنوا أطما يقال له واسط، وقد تقدم أن بني خدارة نزلوا بجرار سعد أيضا، فكأنها كانت منزلها، وبنو خدارة من بني الحارث بن الخزرج كما تقدم، فدارهم المرادة في حديث عيادة سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، لا دار بني الحارث المعروفة بهم[1]، لبعدها جدا عن منازل بني ساعدة، وليسوا قوم سعد إلا من حيث إن الكل من الخزرج».

قلت: هذا المنزل، والمنزل الذي بعده، مر به النبيّ ﷺ في طريقه إلى منزله النبوي (المسجد النبوي).

المنزل الرابع: «ونزلت بنو وقش وبنو عنان ابنا ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، الدارَ التي يقال لها «بنو ساعدة» ويقال لها أيضا «بنو طريف» وهي بين الحماضة وجرار سعد.

المنزل الخامس: ولبني ساعدة منزل خامس في الشوط شامي مسجد الراية»[2]. والله أعلم.

منازل بني عدي بن النجار

«ونزل بنو عدي بن النجار دارهم المعروفة بهم غربي المسجد النبوي، على ما قاله المطري»[3].

---

(١) يقصد المنزل الأول لبني الحارث بن الخزرج قرب صعيب، والسنح .

(٢) وفاء الوفا، الفصل الخامس في منازل قبائل الأنصار.

(٣) وفاء الوفا، ١/ ١٦٨.

قال المطري ومن تبعه من بعده: إن دار النابغة المتقدمة في بني عدي كانت غربي مسجد الرسول، وهي دار بني عدي بن النجار».

وقال السمهودي: «ودار النابغة: هي المرادة بما رواه ابن شبة عن أبي زيد النجاري قال: قبر عبد الله بن عبد المطلب يعني والد رسول الله ﷺ في- دار النابغة»[1]

قلت: قبر والد النبي ﷺ مكانه معروف إلى عهد قريب، غرب المسجد النبوي[2]، وموضعه اليوم في ساحة المسجد النبوي الغربية.

منازل بني مازن

«ونزل بنو مازن بن النجار دارهم المعروفة بهم قبليّ بئر البُصّة، وتسمى الناحية اليوم أبو مازن، غيّرها أهلُ المدينة.

قال المطري: وابتنوا بها أطمين أحدهما يقال له «واسط» قلت: والذي يؤخذ من كلام ابن شبة الآتي في منازل القبائل أن منازل بني مازن كانت في قبلة المدينة شرقي منازل بني زريق قريبة منها»[3]. والله أعلم.

قلت: هذا المنزل يقع اليوم عند جسر الصافية، والجزء الغربي من حي العزيّات، قبلة المسجد النبوي.

منازل بني مالك بن النجار

«ونزل بنو مالك بن النجار دارهم المعروفة بهم، فابتنى بنو غنم بن مالك أطما يقال له «فويرع» وفي موضعه دار حسن بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(١) وفاء الوفا، ٣/ ٦٥ .

(٢) كانت في زقاق الطوال، في زقاق ينفذ من الحماطة (الحماضة)، إلى المسجد النبوي.

(٣) وفاء الوفا، الفصل الخامس في منازل قبائل الأنصار.

قلت (القول للسمهودي): وهي الدار المقابلة لدار جعفر الصادق التي في قبلة المدرسة الشهابية»[1].

وفي منازل بني مالك نزل الرسول ﷺ، وابتنى مسجده النبوي الشريف.

دراسة المسار النبوي من قباء إلى المسجد النبوي الشريف

بدراسة النصوص السابقة، التي أجمعت على وصف المسار الذي سلكته القصواء (ناقة رسول الله ﷺ)، من قباء إلى منزله في موضع المسجد النبوي الشريف، وبتطبيقها على الأرض؛ نجد أنه مسار غير معتاد، فهذا المسار ليس من بين الطرق المسلوكة بين قباء، وباطن المدينة (المسجد النبوي)، وفيه ذهاب وعودة، التفافات، لكن لا يسعنا سوى التسليم به، واعتباره (مساراً إلهامياً) للقصواء، لأن النبي ﷺ أرخى لها زمامها، وقال لمستقبليه (دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، فَإِنَّمَا أَنْزِلُ حَيْثُ أَنْزَلَنِي اللهُ)[2]، فاتخذت هذا المسار لحكمة إلهية، لعل من بينها، شمول مرور النبي ﷺ بأكبر قدر ممكن من قبائل الأنصار من الأوس والخزرج، إرضاءً لهم، وتطييباً لخواطرهم، وإشعارهم أن مكان نزوله تدبير إلهي، وليس لتفضيله بعضهم على بعض.

لذلك، أرى أنه ليس أمامنا سوى قبول رأي السيد السمهودي، ورأي الأستاذ عبد القدوس الأنصاري[3] -رحمهما الله- اللذين اتفقا على أنه ﷺ دخل وسط المدينة من شمالها، حتى وصل إلى منزله، بعد أن مرّ، أو وازى منازل الأنصار، الواقعة بين قباء (في أقصى الجنوب)، وثنية الوداع الشامية (في أقصى الشمال).

وفي هذا الصدد، يقول السيد السمهودي؛ وهو يناقش متى وأين قيل نشيد (طلع البدر علينا): «قال الحافظ ابن حجر في حديث الهجرة: أخرج أبو سعد

(١) وفاء الوفا، الفصل الخامس في منازل قبائل الأنصار.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير، مصدر سابق، ٢/ ٢٧٣ .

(٣) طريق الهجرة النبوية، ط١، عام ١٣٩٨-١٩٧٨.

في شرف المصطفى وروينا في فوائد الخلعي بسند معضل عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما دخل النبي ﷺ المدينة جعل الولائد يقلن:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

قال (القول للحافظ ابن حجر): ولعل ذلك كان في قدومه من غزوة تبوك. ذلك لأن ثنية الوداع ليست من جهة طريق مكة. على أني أقول (القول للسمهودي): إن ذلك لا يمنع من كونه (يقصد النشيد) في الهجرة عند القدوم من قباء؛ لأنه ﷺ ركب ناقته، وأرخى لها زمامها، وقال: دعوها فإنها مأمورة، ومر بدور الأنصار كما سبق، حتى مر ببني ساعدة، ودارهم في شاميّ المدينة قرب ثنية الوداع، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية حتى أتى منزله بها»[1].

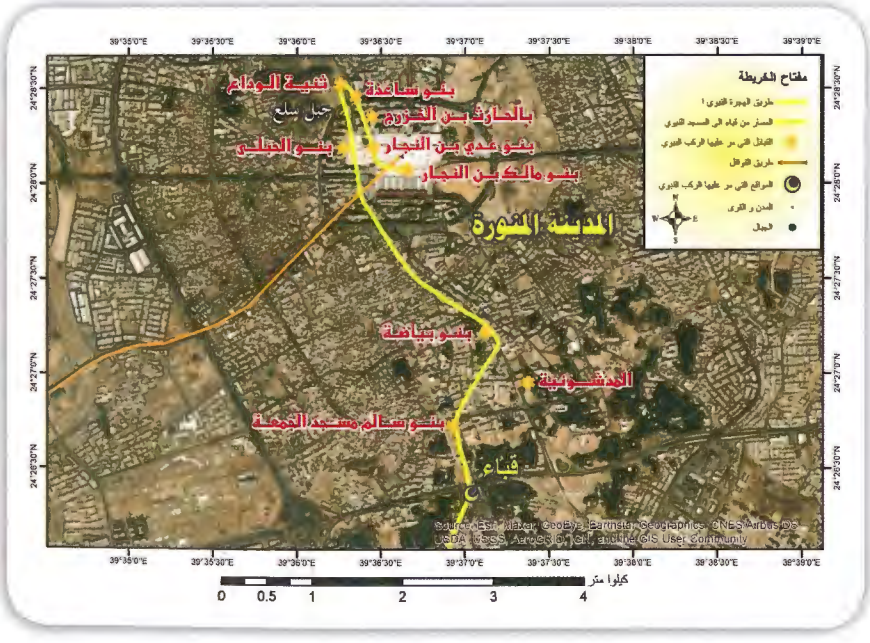

(١) وفاء الوفا، ٤/ ٤٥.

وصف طريق الهجرة من قباء إلى المنزل النبوي (المسجد النبوي)

لما كان يوم الجمعة وارتفع النهار، دعا رسول الله ﷺ براحلته، واحتشد المسلمون، ولبسوا السلاح، وركب رسول الله ﷺ ناقته القصواء، والناس حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه: منهم الماشي والراكب، وبدأ الحشد الميمون التحرك من مسجد قباء في الاتجاه شمالاً، منحدراً في وادي رانوناء، وتأتيه الوفود، والحشود من شتى قبائل الأنصار تسلم عليه، وتدعوه إلى منازلهم، ليكون مرشداً، وداعياً، ومعلماً، وهو ﷺ يتبسم في وجوههم، ويلاطفهم، ويعتذر لهم، بأن الأمر لله، وقد ألهم ناقته المنزلَ الذي اختاره الله له.

بعد مغادرته ﷺ بني عمرو بن عوف، أهل قباء، فأول قبيلة استقبلته كانت بني سالم من الخزرج، في بطن وادي رانوناء، وحانت صلاة الجمعة، فصلاها بينهم، في الوادي، وبُنيَ في موضع صلاته مسجد، مازال يحمل اسم مسجد الجمعة.

بعد الصلاة، أخذ النبي ﷺ ذات اليمين، ليلِبَّ حرة بني بياضة من ناحيتها الشرقية، جاعلاً وادي بطحان عن يمينه و حرة بني بياضة عن يساره، و اعتدل به الطريق شمالاً غربياً، في مسار مقارب جداً لشارع قربان الطالع[1] اليوم، وأقرب قبيلة لمساره هم بنو بياضة، على يساره، حتى تجاوز ملتقى رانوناء ببطحان، ومرّ بالطرف الغربي لمنزل بني مازن، ثم مضى في طريقه في خط شبه مستقيم، فأخذ في فضاء واسع[2]، هذا الفضاء، يشمل أرض المصلى(مسجد الغمامة)، والمناخة، حتى وصل إلى منازل بني الحبلى، فمر بهم، واستمر شمالاً، حتى كادت ناقته ﷺ تصل إلى ثنية الوداع، فاستدارت جنوباً ، مائلة قليلاً إلى الشرق، فمرت بمنزل بني ساعدة (رهط سعد بن عبادة)، ثم وازنت بني الحارث بن الخزرج(المنزل الثالث)، و بعدهم مرت ببني عدي بن

(١) شارع قربان النازل هو مسار وادي بطحان.

(٢) وفاء الوفا، ١/ ١٩٩.

النجار غربي المسجد النبوي، ثم مالت شرقًا، حتى إذا أتت منازل بني مالك بن النجار، بركت على باب مسجده ﷺ، ثم وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، حتى أتت إلى زقاق الحبشي ببئر جمل فبركت والنبي ﷺ عليها مرخ لها زمامها ثم قامت عودها على بدئها تزيد في المشي حتى بركت على باب المسجد وضربت بجرانها[1] وعدلت ثفناتها[2]، وجاء أبو أيوب والقوم يكلمونه في النزول عليهم، فأخذ رحله فأدخله، فنظر رسول الله ﷺ إلى رحله وقد حُطّ فقال: «المرء مع رحله»[3]، فأرسلها مثلًا، ﷺ.

ومضات من استقبال أهل المدينة للنبيّ ﷺ قادمًا من قباء

فرح أهل المدينة بمقدمه ﷺ إليهم فرحا شديدا؛ ففي البخاري من حديث البراء: «جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ، فَرَحَهُمْ بِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الوَلاَئِدَ وَالصِّبْيَانَ، يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ جَاءَ»[4].

وفي الصحيح: «خَرَجَ النَّاسُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِي الطَّرِيقِ وَعَلَى الْبُيُوتِ وَالْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ يَقُولُونَ: جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، جَاءَ مُحَمَّدٌ، اللهُ أَكْبَرُ، جَاءَ مُحَمَّدٌ، جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ»[5]

وفي سنن أبي داود، عن أنس بن مالك، قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدومه فرحا بذلك لعبوا بحرابهم»[6].

---

(١) الْجِبرانُ: مُقَدَّمُ العُنُق مِنْ مَذْبَح الْبَعِيرِ إِلَى مَنْحَرِه، فَإِذا بَرَكَ الْبَعِيرِ ومَدَّ عُنُقَهُ عَلَى الأَرْض، قيل: أَلْقَى جِرانه بِالْأَرْضِ، (تهذيب اللغة للأزهري).

(٢) ثفنات الْبَعِير: مَا أَصَاب الْأَرْض من أَعْضَائِهِ الركبتان والسعدانة وأصول الفخذين.

(٣) وفاء الوفا، الفصل الحادي عشر في قدومه ﷺ.

(٤) الجامع الصحيح، مصدر سابق، ٦/ ١٦٨.

(٥) السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني، ط١، الناشر: مكتبة العبيكان.

(٦) سنن أبي داود، باب النهي عن الغناء، ٤/ ٢٨١. تحقيق الألباني: صحيح الإسناد.

وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر، والحاكم، وابن أبي الدنيا، وغيرهم، قالوا: « لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ اسْتَقْبَلَهُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَقُلْنَ:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ... حَبَّذَا مُحَمَّدًا مِنْ جَارِ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكُمْ»[1]

ونقل السمهودي عن رَزين: وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير[2] يقلن:

طلع البدر علينا ... من ثنّات الوداع

وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

وفي رواية:

أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

والغلمان والولائد يقولون: جاء رسول الله ﷺ فرحا به.

بيان ما شاع.. عن نشيد «طلع البدر علينا» عند قدوم النبيّ ﷺ في الهجرة من ثنية الوداع

في يوم الاثنين الخامس عشر من ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة النبوية، الموافق للسابع وعشرين من سبتمبر (أيلول) عام ٦٢٢ للميلاد، أشرق في هذا الجزء من العالم نور أراد الله للبشرية أن تقتبس منه قبسا يهدي به من يشاء من عباده.

ففي ذلك اليوم وصل النبيّ المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى قباء، وبنى أول مسجد أسس على التقوى. ومن قباء انتقل إلى موقع مسجده ﷺ، منهياً أعظم وأبرك رحلة قام بها أشرف الخلق، من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

(١) الإشراف في منازل الأشراف، ابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، ط١، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض.

(٢) الأجاجير: أسطح البيوت.

وقد روت لنا كتب السير والتاريخ مدى فرح الأنصار بمقدمه ﷺ.

ومن عبارات الترحيب به ﷺ ذلك النشيد المشهور الذي شاع وذاع بين الناس، خاصتهم وعامتهم (من بحر مجزوء الرمل):

طلع البدر علينا ... من ثنّات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

ورغم شهرة هذا النشيد إلّا أنه لم يُنقل إلينا اسم قائله، ومتى قيل بالضبط. فالرواية التي نقلت لنا هذا النشيد هي رواية في سندها مقال عند أهل الحديث (حديث معضل)، أما الرواة المذكورون في السند فكلهم ثقات.

فقد روى البيهقي في (دلائل النبوة)، قال: «أخبرنا أبو عمرو الأديب، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، سمعت أبا خليفة يقول: سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، جعل النساء والصبيان يقلن:

طلع البدر علينا ... من ثنّات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

ثم قال البيهقي «وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة، لا أنه لما قدم المدينة من ثنيات الوداع عند مقدمه من تبوك، والله أعلم»[1] انتهى.

وابن عائشة الذي ينتهي عنده سند هذه الرواية، هو:

«ابن عائِشَة (٠٠٠ - ٢٢٨ هـ = ٠٠٠ - ٨٤٢ م) عبيد الله بن محمد بن حفص ابن معمر التيمي، أبو عبد الرحمن، المعروف بابن عائشة: عالم بالحديث والسير، أديب، من أهل البصرة، زار بغداد، وحدّث بها سنة ٢١٩ هـ. وكان كريما متْلافا، أنفق على إخوانه ثروة كبيرة، وافتقر.

(١) دلائل النبوة للبيهقي، مصدر سابق، ٥/ ٢٦٦.

وعـرف بابن عائشـة لأنه من ولد عائشـة بنت طلحة بن عبيـد الله التيمي. ويقال له «العيشي»[1].

وله ترجمة مطولة في تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، وهو أحد شـيوخ الإمام أحمد بن حنبل، ومن الأئمة الثقات، قال عنه ابن أبي حاتم، في الجرح، والتعديل:

« عبيـد الله بـن محمد بن حفص القرشـي التيمي المعروف بابن عائشـة أبو عبد الرحمن البصري روى عن حماد بن سـلمة ومهدي بن ميمون وعبد الواحد بن زياد سمعت أبي يقول ذلك.

قال أبو محمد: روى عن أبي هلال الراسـبي وأبي عوانة، وروى عنه أبي وأبو زرعة.

نـا عبد الرحمن نا محمد بن حمويه بن الحسـن قال سـمعت أبا طالب، قال: قال: أحمد بن حنبل: عبيد الله العيشي صدوق في الحديث.

نا عبد الرحمن قال سـئل أبي عن عبيد الله ابن عائشـة فقال: صدوق ثقة روى عنه أحمد بن حنبل وكان عنده عن حماد بن سلمة، تسعة آلاف حديث، كان عنده رقائق، وفصاحة، وحسن خلق، وشجاعة»[2].

ورغم أن ابن عائشة رَحِمَهُ اللَّهُ لم يوصل الحديث إلى صحابي معاصر لحادثة الهجرة، إلا أنه عالم ثقة، وشـيخ لكثير من أئمـة الحديث، ولا يروي إلا عن الثقات. وعادة المحدثين أن يتسـاهلوا في ذكر الإسـناد، عندما يكون الأمر لا يتعلق بالحلال والحرام.

(١) الإعلام للزركلي.

(٢) الجرح، والتعديل، ج٥، ص٣٣٥، ط١، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

قول العلماء في الأحاديث المرسلة

وموضوعنا هذا ينطبق عليه قول البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل حديث أرسله واحد من التابعين أو الأتباع، فرواه عن النبي ﷺ ولم يذكر من حمله عنه، فهو على ضربين:

أحدهما: أن يكون الذي أرسله من كبار التابعين الذين إذا ذكروا من سمعوا منه ذكروا قوماً عدولاً يوثق بخبرهم، فهذا إذا أرسل حديثاً نظر في مرسله فإذا انضم إليه ما يؤكده من مرسل غيره، أو قول واحد من الصحابة أو إليه ذهب عوام أهل العلم، فإنا نقبل مرسله في الأحكام.

والآخر: أن يكون الذي أرسله من متأخري التابعين الذين يعرفون بالأخذ عن كل واحد، وظهر لأهل العلم بالحديث ضعف مخارج ما أرسلوه، فهذا النوع من المراسيل لا يقبل في الأحكام، ويقبل فيما لا يتعلق به حكم من الدعوات وفضائل الأعمال والمغازي، وما أشبهها»[1]

فهذا النشيد ثابت تاريخياً، ودليل ثبوته، أن الأمة تلقته بالقبول، فقد ذكره كثير من الأئمة والمؤرخين ولم ينكروه، وإنما ناقشوا مكان «ثنيات الوداع»، ومن هؤلاء نذكر: ابن القيم، وابن حبان، وابن عبد البر، والقاضي عياض، وابن كثير، وابن الجوزي، والطبري والقسطلاّني، والسمهودي، والفيروزأبادي، والصالحي الشامي، وخلق كثير، وهذا يكفي لثبوته تاريخيا؛ وهو-على كل حال- رواية تاريخية وليست حديثاً منسوبا للنبي ﷺ، ولا يترتب عليه حكم شرعي.

وأرى - والله أعلم- أن هذا النشيد قد قيل بمناسبة دخوله ﷺ المدينة قادماً من قباء، ولا يلزم أن يكون قد قيل يوم قدومه، وإنما أنشده أحد فتيان أو إحدى ولائد الأنصار(وهذا البحر من أوزان الشعر، لا ينشده، في العادة،

(١) دلائل النبوة للبيهقي، ١/ ٤٠، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

إلا الفتيان، أو الولائد، أو النساء)، ثم شاع وذاع في مجتمع المدينة، وساعد على ذلك، عذوبة ألفاظه، وسهولتها، وصدق عاطفتها، وصلاحيتها لإعادة إنشادها في مناسبات مماثلة، وقد حصل هذا في غزوة بدر[1]، وتبوك[2]، عندما عاد النبي ﷺ من تلك الغزوتين مظفراً، واستقبله الفتيان والولائد بهذا النشيد عند ثنية الوداع الشامية المعروفة الآن.

أما الأبيات الملحقة بها، فليست منها، وإنما نسجت على منوالها ثم أضيفت إليها، ومنها هذا البيت:

جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

ثنية الوداع قديماً[3]

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي، ج١ ص١١٧، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت.

(٢) مختصر زاد المعاد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ج١، ص١٧٧، ط٢، دار الريان للتراث-القاهرة.

(٣) مصدر الصورة كتاب (آثار المدينة المنورة) للأستاذ عبدالقدوس الأنصاري، ط ٣، عام ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

تحقيق مكان ثنية الوداع الواردة في النشيد:

24°28'33.9"N
39°36'17.3"E
ثنية الوداع

تكلم كثير من العلماء والمؤرخين وأصحاب السير القدماء والمحدثين عن «ثنية الوداع»، وكان من أسباب توهين رواية نشيد « طلع البدر علينا» من أنه قيل بمناسبة قدومه ﷺ مهاجراً، أن النبي ﷺ قدم المدينة من جنوبها، وثنية الوداع المعروفة في شمالها.

لذلك نجد ابن قيم الجوزية يرجح أن النشيد قيل عند مقدمه من غزوة تبوك، ومرجعه في ذلك أن ثنية الوداع شمال المدينة، لا يطؤها من هو قادم من جنوبها. يقول رحمه الله في (زاد المعاد)، وهو يتكلم عن غزوة تبوك: «فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ خَرَجَ النَّاسُ لِتَلَقِّيهِ، وَخَرَجَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ وَالْوَلَائِدُ يَقُلْنَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِ

وَبَعْضُ الرُّوَاةِ يَهِمُ فِي هَذَا وَيَقُولُ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ مَقْدِمِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ مَكَّةَ، وَهُوَ وَهْمٌ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ لَا يَرَاهَا الْقَادِمُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا يَمُرُّ بِهَا إِلَّا إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى الشَّامِ»[1]

ونترك الإجابة على هذا الاستشكال لعالم المدينة ومؤرخها السيد علي السمهودي، يقول رحمه الله: «قال الحافظ ابن حجر في حديث الهجرة: أخرج أبو سعد في شرف المصطفى وروينا في فوائد الخلعي بسند معضل عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما دخل النبي ﷺ المدينة جعل الولائد يقلن:

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ٣/ ٤٨٢، ط٢٧، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

طلع البدر علينا من ثنّات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

قال (القول للحافظ ابن حجر): ولعل ذلك كان في قدومه من غزوة تبوك. ذلك لأن ثنية الوداع ليست من جهة طريق مكة. على أني أقول (القول للسمهودي): إن ذلك لا يمنع من كونه (يقصد النشيد) في الهجرة عند القدوم من قباء؛ لأنه ﷺ ركب ناقته، وأرخى لها زمامها، وقال: دعوها فإنها مأمورة، ومر بدور الأنصار كما سبق، حتى مر ببني ساعدة، ودارهم في شاميّ المدينة قرب ثنية الوداع، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية حتى أتى منزله بها»[1].

وبهذا الإيضاح من هذا العالم الجهبذ يزول هذا الإشكال بحمد الله.

دروس وعبر من الهجرة النبوية الميمونة

الفوائد والدروس والعبر المستخلصة من هذا الحدث العظيم لا حصر لها، ويكفينا منها، أنه لولا الهجرة لما كان الإسلام الذي نراه، ويدلنا على ذلك قول النبيّ ﷺ يوم بدر، وهو يناجي ربه: «**اللَّهمّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ الْيَوْمَ لَا تُعْبَدْ**»[2]، وهذه العصابة هي التي هاجر إليها النبيّ ﷺ.

ونورد هنا بعضاً من تلك الدروس والعبر، وهي غيض من فيض:

١- من الدروس المهمة، أن على صاحب الدعوة إلى الإصلاح عدم الاستسلام للأمر الواقع، فإذا سُدت أمامه الطريق في محيطه الاجتماعي، فعليه أن يبحث ويجتهد في إيجاد محيط ووسط آخر يتقبل ما جاء به من الخير مهما كانت التضحيات، وليس هناك تضحية أشد إيلاماً من أن يترك المرء وطنه وأهله وأرضه التي ألفها وعرفها، إلى أرض مجهولة له

(١) وفاء الوفا، ٤/ ٤٥.
(٢) السيرة النبوية لابن أسحاق.

وأناس لم يخبرهم، ولم يعش بينهم، ولكن قوة الإيمان تذلل كل صعيب.

٢- تجلت سُنَّة التدافع في الهجرة النبوية المباركة. قال الله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

فهذه الهجرة المباركة إلى المدينة أنشأت هذا التدافع بين الخير والشر، وبفضل الله تعالى انتصر الخير.

٣- أن السُّنَن الإلهية تسري على الرسل والأنبياء كما هي على بقية البشر، فالرسول ﷺ ركب ناقته من مكة إلى المدينة، مثل بقية المسافرين، وتعرض لكل تلك المصاعب، وكان الله جل وعلا قادراً على أن يُركبه البراق، ويصل المدينة في لحظة، ولحكمة إلهية لم يحصل ذلك. ولعل هذا من أهم الدروس المستخلصة من الهجرة النبوية المباركة.

٤- جريان السنن الكونية على الأنبياء والرسل لا ينافي وقوع المعجزات الربانية على أيديهم، وقد رأينا ذلك في نسج العنكبوت على فم الغار، ودرّ اللبن من شاة أم معبد العجفاء، وحفظ الركب النبوي من سراقة عندما ساخت يدا فرسه في الأرض حينما نوى بهم السوء.

٥- اتخاذ الأسباب لا ينافي التوكل. فالنبيّ ﷺ إمام المتوكلين، ولكن ذلك لم يمنعه من اتخاذ كل الأسباب والاحتياطات لإنجاح مشروع الهجرة والوصول إلى المدينة بسلام.

٦- التخطيط الدقيق شرط أساسي في إنجاح أي مشروع.

فقد تم التخطيط لمشروع الهجرة قبل أربعة أشهر، حينما ابتاع أبو بكر الصديق ناقتين من أجود السلالات، وأعلفها أجود أنواع العلف، وتأمين الدليل، ورسم الطريق، وتم كل ذلك في سرّية تامة.

(١) الآية ٢٥١، سورة البقرة.

٧- تقسيم المهام.

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَكُونُ فِي قُرَيْشٍ نَهَارَهُ مَعَهُمْ، يَسْمَعُ مَا يَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَمَا يَقُولُونَ فِي شَأْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ يَأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَى فَيُخْبِرُهُمَا الْخَبَرَ.

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، يَرْعَى فِي رَعْيَانِ أَهْلِ مَكَّةَ، فَإِذَا أَمْسَى أَرَاحَ عَلَيْهِمَا غَنَمَ أَبِي بَكْرٍ، فَاحْتَلَبَا وَذَبَحَا، فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ غَدَا مِنْ عِنْدِهِمَا إِلَى مَكَّةَ، اتَّبَعَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ أَثَرَهُ بِالْغَنَمِ حَتَّى يُعَفِّيَ عَلَيْهِ.

وكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ (مسؤولة التموين) تَأْتِيهِمَا مِنْ الطَّعَامِ إِذَا أَمْسَتْ بِمَا يُصْلِحُهُمَا.

وعند خروجهما من الغار، وابتداء الرحلة، أَتَتْهُمَا بِسُفْرَتِهِمَا، وَنَسِيَتْ أَنْ تَجْعَلَ لَهَا عِصَامًا فَلَمَّا ارْتَحَلَا ذَهَبَتْ لِتُعَلِّقَ السُّفْرَةَ، فَإِذَا لَيْسَ لَهَا عِصَامٌ، فَتَحِلُّ نِطَاقَهَا فَتَجْعَلُهُ عِصَامًا، ثُمَّ عَلَّقَتْهَا بِهِ، فسُمّيت ذات النطاقين.

٨- يجب أداء الأمانة إلى أصحابها، مهما كانت المشاغل، ومهما كان موقف أصحابها العدائي من المسلمين أفراداً أو جماعات. يتجلى ذلك في أمر النبيّ ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بأن يبقى في مكة حتى يسلم الأمانات إلى أهلها، إنفاذا للأمر الإلهي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾.

٩- جواز الاستعانة بأهل التخصص المؤتمنين بغض النظر عن الدين الذي يؤمنون به، وهذا من سعة أفق الإسلام، وبُعْده عن التحجر، وتغليب المصلحة العامة للمسلمين على الأمور الشخصية التي لا ينعكس ضررها على العموم.

١٠- للمرأة دور عظيم في النظام الإسلامي، تجلى ذلك في المهام التي قامت بها أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وأختها أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنهما، التي كانت شاهدة عيان، وتابعت قصة الهجرة بكل تفاصيلها وحفظتها، وبلغتها لنا، فلولاها لغاب عنا كثير مما نعرف اليوم عن هذه الحادثة العظيمة.

الخاتمة

عشنا مع الصفحات السابقة أياماً مباركة عددها أحد عشر يوماً، أو اثنتا عشرة ليلة، هي عدد الأيام والليالي، التي قطع فيها الركب النبوي نحو خمسمئة كيلومتراً، من غار ثور حتى نزل قباء.

وقد جعل الله في هذه الأيام من البركات ما نتفيأ نحن المسلمين ظلالها مدة ٥١١٣٥١ يوماً، هي عدد الأيام منذ أن أسس النبيّ ﷺ أول مسجد أسس على التقوى، حتى اليوم الخامس عشر من ربيع الأول من عامنا هذا، عام ١٤٤٣ للهجرة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبارك أيضاً في هذه المسافة المقطوعة من مكة إلى المدينة لتتضاعف إلى ٤٠٠٠٠ كيلومتراً، هي محيط الكرة الأرضية، حيث لا يوجد اليوم دولة لا تُرفع فيها كلمة الحق «**أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله**»، مصداقاً لقوله جل وعلا ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، وقوله ﷺ «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**»[1].

نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من المقتدين بسُنَّة نبينا ﷺ السائرين على هديه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) مسند أحمد، مصدر سابق، ٢٨/ ١٥٥

المصادر والمراجع

١. القرءان الكريم.
٢. آثار المدينة المنورة، عبد القدوس الأنصاري .
٣. أحماء المدينة المنورة للمؤلف.
٤. أحمد عبد الوهاب، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام .
٥. أخبار المدينة، محمد بن الحسن ابن زبالة .
٦. أخبار مكة للأزرقي.
٧. أسد الغابة لابن الأثير.
٨. اسماء البلدان والامكنة والجبال والمياه، نصر الأسكندري.
٩. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر.
١٠. الاستيعاب لابن عبد البر .
١١. الإشراف في منازل الأشراف، ابن أبي الدنيا.
١٢. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر.
١٣. الأعلام للزركلي.
١٤. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.
١٥. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لمغلطاي.
١٦. الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة، الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الوهاب أبو سليمان .
١٧. الأمكنة والجبال والمياه للزمخشري.
١٨. البداية والنهاية لابن كثير.

١٩. التاريخ الشامل للمدينة المنورة، د. عبد الباسط بدر.
٢٠. التعليقات والنوادر للهجري.
٢١. التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية، اللواء محمد مختار باشا.
٢٢. الثقات لابن حبان.
٢٣. الجرح، والتعديل، لابن أبي حاتم.
٢٤. الدرة الثمينة، ابن النجار.
٢٥. الرسل والرسالات، عمر الأشقر.
٢٦. الركب المكي، للدكتور اللواء / أنور ماجد عشقي.
٢٧. السنن الصغرى للنسائي.
٢٨. السنن الكبرى للبيهقي.
٢٩. السيرة الحلبية، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي.
٣٠. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني.
٣١. السيرة النبوية لابن إسحاق، بتهذيب ابن هشام.
٣٢. السيرة النبوية لابن كثير.
٣٣. السيرة النبوية لابن كثير.
٣٤. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان.
٣٥. الصحاح في اللغة للفارابي.
٣٦. الطبقات الكبرى لابن سعد.
٣٧. الطرق البرية الموصلة إلى المدينة المنورة، أ.د. محمد بن عبد الرحمن الثنيان.

٣٨. العهد القديم.
٣٩. الكامل في التاريخ لابن الأثير.
٤٠. المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد شراب.
٤١. المستدرك على الصحيحين للحاكم.
٤٢. المصنف لعبد الرزاق الصنعاني.
٤٣. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد شراب.
٤٤. المعجم الكبير للطبراني.
٤٥. المعجم الوسيط.
٤٦. المغازي النبوية للزهري.
٤٧. المغازي للواقدي.
٤٨. المغانم المطابة للفيروزآبادي.
٤٩. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.
٥٠. الموطأ للإمام مالك.
٥١. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير.
٥٢. إمتاع الأسماع للمقريزي.
٥٣. أنساب الأشراف للبلاذري.
٥٤. أودية حمى المدينة للمؤلف.
٥٥. أودية مكة المكرمة للبلادي.
٥٦. برنامج جوجل إيرث.
٥٧. بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى، لابن فهد المكي .
٥٨. تاج العروس للزبيدي.

٥٩. تاريخ الطبري .
٦٠. تاريخ العرب القديم، توفيق برو.
٦١. تاريخ العرب القديم، د. محمد بيومي مهران .
٦٢. تأريخ المستبصر، لابن المجاور.
٦٣. تاريخ دمشق لابن عساكر.
٦٤. تفسير ابن كثير.
٦٥. تفسير مقاتل بن سليمان.
٦٦. تهذيب اللغة للأزهري .
٦٧. تيماء ملتقى الحضارات، عبد الرحمن الأنصاري
٦٨. جمهرة نسب قريش وأخبارها، للزبير بن بكار.
٦٩. خلاصة الأثر لمحمد أمين بن فضل الله .
٧٠. خلاصة الوفاء للسمهودي.
٧١. دراسات في تاريخ العرب القديم.
٧٢. دلائل النبوة للبيهقي.
٧٣. رحلة إلى درب الغائر) للأستاذ/ صالح المطيري).
٧٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية.
٧٥. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي الشامي.
٧٦. سنن ابن ماجة .
٧٧. سنن أبي داود.
٧٨. سنن الترمذي.
٧٩. سير أعلام النبلاء للذهبي.

٨٠. صحيح البخاري.
٨٠. صحيح مسلم.
٨٢. طريق الهجرة النبوية، لعبد القدوس الأنصاري.
٨٣. على طريق الهجرة للبلادي.
٨٤. عمدة الأخبار للعباسي.
٨٥. غريب الحديث للخطابي.
٨٦. فتح الباري لابن حجر.
٨٧. كتاب العين للفراهيدي.
٨٨. لسان العرب لابن منظور.
٨٩. مختصر زاد المعاد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.
٩٠. مرآة الحرمين، اللواء إبراهيم رفعت باشا.
٩١. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي.
٩٢. مسند أحمد، ط الرسالة .
٩٣. مسند الشافعي.
٩٤. مصنف ابن أبي شيبة.
٩٥. معالم مكة التاريخية والأثرية- البلادي.
٩٦. معجم البلدان لياقوت الحموي.
٩٧. معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع .
٩٨. معجم المؤلفين - رضا كحالة.
٩٩. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية- البلادي.

١٠٠. معجم ما استعجم للبكري.
١٠١. معجم معالم الحجاز للبلادي.
١٠٢. معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلادي.
١٠٣. معرفة الصحابة، الحافظ أبو نعيم الأصبهاني .
١٠٤. مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، أحمد الشريف.
١٠٥. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للإدريسي .
١٠٦. نظم القعيان في أعيان الأعيان للسيوطي.
١٠٧. نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، الحكيم الترمذي.
١٠٨. نوادر المخطوطات، «رسالة عرام».
١٠٩. وفاء الوفا للسمهودي.
١١٠. وفيات الأعيان).
١١١. يثرب قبل الإسلام، محمد السيد الوكيل .

فهرس الأعلام

أبرهة	٣٧	ابن عائذ	١٢٣
أبشالوم	٣٣	ابن عائشة	٢٠٧
ابن أبي الدنيا	٢٠٦	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٨
ابن أبي حاتم	٢٠٨	ابن عبد البر	١٤٠
ابن إسحاق	٦٣، ٨٢	ابن عساكر	١٨١
ابن الأثير	٥٥	ابن قانع	١٣٠
ابن الجعد	١٢٣	ابن كثير	١٧
ابن الجوزي	٢٠٩	ابن ماجه	٤٦
ابن السكن	١٤٠	ابن منده	١٤٠
ابن القيم	٢٠٩	ابن هشام	٩
ابن المجاور	٩٨	أبو البختري ابن هشامٍ	٣٧
ابن النجار	٢٤	أبو الحسن الخلصي	١٦٩
ابن حبان	٢٠٩	أبو أيوب خالد ابن زيدٍ	٥٦
ابن حبيب	١٠٤، ١٠٥	أبو بكر الصديق رضي الله عنه	٦٧
ابن حجر	١٢١	أبو تميم فروة الأسلمي	١٧١
ابن حزم	١٩٦	أبو جهل بن هشامٍ	١٢١
ابن زمانة	١٩٧	أبو حميد الساعدي	٥٠
ابن سعد	٧٣	أبو داود	٥٠
ابن شبة	٤٧	أبو دجانة	١٩٩

أبو ذر الغفاري ﷺ ٢١
أبو رافع سلام بن أبي الحقيق النضري ٤٢
أبو زيد النجاري ٢٠١
أبو سعد ٢٠٢
أبو سعيد الخدري ١٩٦
أبو عامر الفاسق ٦١
أبو عبيدة معمر بن المثنى ٢٤
أبو معبد ١١٤
أبو موسى ١٧١
أبو نعيم ١٤٠
أبو هريرة ﷺ ٢٩
أبوسفيان بن حرب ٤٦
أحمد إبراهيم الشريف ٣١
أحمد بن حنبل ٢٠٨
الأحوص الشاعر ١١٨
أحيحة بن الجلاح الأوسي ٤٢
الإدريسي ١٢٥
الأزرقي ٧٨
الأزهري ١٣٣
أسعد بن زرارة ٦٢
أسماء بنت أبي بكر ٧٥
اصطفان البيزنطي ٢٦
الأصمعي ٨٨
أم المؤمنين السيدة عائشة ٧٦
أم المؤمنين صفية ١٠٥
أم معبد ١٨٦
أمية بن خلفٍ ١٠٥
أنس بن مالك ١٨٦
أوس بن حجرٍ ١٧٠
أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي ١٣٣
ايليوس غالوس ٢٠
البخاري ٥٠
البراء بن عازب ٢٨
البراء بن معرور الخزرجي ٥٨
بريدة بن الحصيب ١٠٢
بشر بن أبي خازم الأسدي ١٧٥
بطليموس ٢٦
البغوي ١٤٠
البكري ١٦٢
البلاذري ١٢١
بياضة بن عمرو ٥٨
البيهقي ٧٥

الترمذي ٧٩
تيتوس ٣٥
ثوبة بن حسين بن السائب ابن أبي لبابة ١٨٦
جابر بن عبد الله الأنصاري ٥٠
جابر بن عبد الله بن رئاب ٦٢
جداليا ٣٥
جعفر الصادق ٢٠٢
جفنة بن عمرو بن عامر ٣٧
جمال الدين المطري ٢٤
الحازمي ١٧٤
حاطب بن قيس ٥٣
الحاكم ٧٢
حسان بن ثابت ٤٤
حسن بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب ٢٠١
حسن ظاظا ٢٦
الحصين ابن الأسلت ٥٤
حضير الكتائب ٦٠
خالد بن الوليد ١٠٨
الخطيب البغدادي ٢٠٨
الخلعي ٢١١
الذهبي ٩٩
ذو البجادين ١٧٤
رافع بن مالك بن العجلان ٦٢
رزين ١٩١
رضوَان بن عبد الله الْفقارِيّ ١٤٨
الزبير بن العوام ١٤٥
الزبير بن بكار ٥٢
الزمخشري ١١٧
زياد بن عبيد الله ٥٠
زيد بن أسلم ٣٢
سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني ١١٦، ١٢١
سعد بن أبي وقاص ١٢٨
سعد بن عبادة ١٩٧
سعد بن معاذ الأشهلي ٥٨
سعد غلام أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي ١٤١
سلام بن مشكم ٤٦
سلمان الفارسي ١٨
سلمة بن هشام ١٠٨
سلمى بنت بن عمرو النجارية ٤٥
سمه علي ينوف ٣٧
السمهودي ٢٤

سمير ٥٣
السيدة خديجة رضي الله عنها ٧٧
شرحبيل بن أبي كرب أسعد الحميري ٣٧
الشرقي ١٨٢
الشريف علي بن وهاس ١١٧
الشيخ أبو حامد ٤٩
صاحب الأغاني ٣٨
الصالحي الشامي ٢٠٩
صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي ١١٠
الطبراني ١٤٠
الطبري ٢٠٩
طلحة بن عبيد الله ١٤٥
عاتق بن غيث البلادي ١١
عامر بن فهيرة ٧٤
عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ١٨٢
العباس بن عبادة ٤٨
العباسي ٤٩
عبد الرحمن بن عوف ١١٧
عبد القدوس الأنصاري ٢٥، ١٧٧
عبد الله بن أبي ٥٩
عبد الله بن أبي أحمد بن جحش ١٨٣
عبد الله بن أرقط ٨١، ٩١
عبد الله بن رواحة ٥٦
عبد الله بن سلام ٣٢
عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ٩
عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول الله ﷺ ٢٠١
عبد الله بن عدي بن حمراء ٨٧
عبد الله بن عمر ١٦٦
عبد الوهاب أبو سليمان ٧٧
عبد نهم - عبدالله ١٨٠
عبيدة بن الحارث بن المطلب ١٣٧
عبيل ٢٨
عتبان بن مالك ١٩٥
عثمان بن عفان ١١٧
عرام ١٥١
عزة ٢٧
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٦٣
عمارة بن نعيم البياضي ١٩٧
عمرو بن الجموح الحرامي ٥٨
عمرو بن النعمان البياضي الخزرجي ٥٨

عمرو بن امرئ القيس ٥٦
عمرو بن أمية الضمري ١٩٩
عمرو بن عامر ٣٧
عياش بن أبي ربيعة ١٠٨
فضالة بن عبيد بن نافذ الجحجبي الأوسي ١٨٥
الفيروزآبادي ٥٢
القاضي عياض ٢٠٩
القسطلاّني ٢٠٩
قورش الثاني ٢٣
القيصر أغسطس ٢٠
كثير ٨٥
كعب الأحبار ٢٧
كعب بن أسد القرظي ٥٨
كعب بن العجلان ١١٦
كعب بن عمرو المازني ٥٣
كلثوم بن الهدم ١٩١
الليث ٨٥
مالك بن العجلان السالمي الخزرجي ٥١
مالك بن أنس ١٨٢
مالك بن سنان ١٩٦
محمد بن الحسن بن زبالة ٥٠
محمد بن الكلبي ٢٧
محمد بن شهاب الزهري ٧٦، ٨٧
محمد بن عباد ١١٨
محمد بن عروة بن الزبير ١٥٢
مسعود بن هنيدة ١٦٨
مسلم ٢١
مصعب بن عمير ٦٢
معاوية بن أبي سفيان ١٨٣
مقاتل بن سليمان ١٢٩
المقريزي ١٠٩
المنذر بن حرام النجاري ٥٦
موسى بن عقبة ٧٤
نابغة بني ذبيان ٤٤
نابونيد ٢٢
نبوخذ نصر ٣٤
نصر الفزاري الإسكندري ١٠٤
نمرود بن كنعان بن حام ٢٨
النووي ٤٩
هاشم جد النبي ﷺ ٤٥
الهجري ١٠٦
هدريان ٣٥

هشام بن عبد الملك	١٣٥
هشام بن محمد بن الكلبي	٢٧
هيرودوس	٣٥
الواقدي	٩٩
الوليد بن المغيرة	٥٨
الوليد بن عبد الملك	١١٩
وهب بن منبه	٢٧
ياقوت	٨٥
يحيى بن الحسن العقيقي	١٩٢
يؤاب	٣٣

فهرس الأماكن

حرف الألف

أور ٢٢، أوروك ٢٢، أكاد ٢٢، عين الأزرق ٢٤، وادي إضم (الحمض) ١٨٤، الأبواء ١٣٥، ١٤٦، ١٥٦، جبل أحد ٣٣، الأردن ٣٤، أورشليم ٣٤، ٣٥، أرض ابن أبي قليع ٥٠، وادي أم الجود ٨٧، استارة ١١٦، أم البرك (السقيا قديماً) ١٥٣، ١٦١، ١٧٤، وادي إبراهيم ٧٩، ٨١، ٨٤، ٩١، ٩٣، وادي أم حبلين ٩٧، روضة أم الهشيم ٩١، أذاخِر ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١٥٨، غدير الأشطاط ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، الأصافر ١٣٥، ١٤٥، ماء أحياء (حياء) ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، أبو سريحة ١٤٧، جبيل الأصيقع ١٤٥، جبل الأخل ١١١، أمج ١٠٨، ١١١، ١١٢، جبل أبرق ١٤٣، شعب (أم سريحة) ١٤٧، شعب (أبو همّاج) ١٤٧، الأكحل ١٤٣، صخرة « أكْهى (المليساء) ١٣٨، ١٣٩، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، أبي ضباع ١٥٢، الأجْرِد ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٩٦، وادي الأجير د ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، الأثاية ١٦٣.

حرف الباء

بابل ٢٢، ٢٣، ٢٨، ٣٥، بارسيبا ٢٢، البركة ٢٤، ٢٦، البرني ٢٥، البحرين ٣٢، ٤٢، ٤٥، وادي بطحان ٤٤، ٤٦، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٤، حي البحر ١٩٥، بركة السوق ٥٠، بئر بضاعة ١٩٩، بئر البصة ١٩٦، ٢٠١، البريراء ١٤٣، بطحاء قريش ٩١، البزواء (الخبت) ٨٥، بدر ٨٥، ٩٩، وادي بحار ٩٧، وادي البحيرة ١٤٤، البستان ١٥٦، البِضة ١٦٩، ١٧٩، ١٨٠.

حرف التاء

تيماء ٢٢، ٢٣، تعز ٢٧، تدمر ٢٧، تبوك ٢٧، ٢٠٣، ٢١٢، تهامة ٧٦، ٨٤، ٨٥،

٨٦، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ١٢٣، ١٧٨، مدْلِجة تِعْهِنِ ١٣٣، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، وادي تِعِهّن ١٥٣، ١٥٤، ١٦١، ١٦٤.

حرف الثاء

غار ثوْرٍ ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ١٠٩، ١٤٢، ١٥٧، ١٦٠، ٢١٥، جبل ثور ٧٣، ٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٩٠، جبال الثعلبية ٩٤، وادي ثول ١١١، مدلجة ثقيب ١٥٣، وادي ثقيب ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، وادي ثغرة ١٨٧.

حرف الجيم

جدّة ٨٦، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٩، الجزيرة العربية ١٩، ٢٠، ٣١، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ١٥٦، الجرف ٢٦، ١٨٣، الجحفة ٢٨، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٤، ١٧٠، الجوف ٣٤، الجماوات ١٨٣، الجوانية ٥٢، جرار سعد ١٩٦، ٢٠٠ جذيب أشقر ١٤٤، جذيب غراء ١٤٥، الْجداجِد (الرديدة) ١٤٩، ١٥٥، ١٥٨، الجثجاثة ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، مسجد الجمعة ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٤، الجار ٨٥، وادي الجي ١٦٩، ١٧٩، ١٨٠.

حرف الحاء

حرة بني سليم ١٩، حرّان ٢٢، ٢٤، ٢٦، الحويط ٢٣، الحناكية ٢٤، الحلْق ١٢٩، الحجاز ١٩، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٨٥، ٨٨، ١٢٩، ١٣١، ١٤٣، ١٦٤، الحجر ٣٥، حباشة ٤٥، حرة بني بياضة ٤٩، ٢٠٤، الحماضة ٥٠، ٢٠٠، حسيكة ٤٩، ٥٢، الحميمة ١١٧، الحزورة ٧٩، طريق الحرمين ٩٨، وادي حياء ١٤٣، حرة حميضة ١٤٧، حرة حياء ١٣٧، وادي الحامضة ١٤٧، الحكّاك ١٣٧، ١٤٤، عين الحومة ١٣٧، وادي حجر ١٤٣، وادي حيا أبيتر ١٣٧، ١٤٧، وادي الحنو ١٨٧، حظه ١٨٢، حمراء الأسد ١٨٢، ١٨٣، الحرة الجنوبية ١٨٤، بئر الحلوة ١٦٢، ١٦٩، وادي الحلقة ١٧٤، حفر ١٧٨.

حرف الخاء

خذارق(خثارق) ٨٧، ٨٨، خيبر ٢٣، ٣٣، ٥٨، ٨٨، ٨٩، ، الخانق ١٢٧، ١٢٩، ، غدير خم ١٢٩، ١٣٠، جبل خثارق ٨٩، جبل خشوب ١٦٥، جبال الخشاش ٩٤، ٩٦، ٩٧، جبل الخشناء ٩١، الْخرّار(وادي الخانق) ٨٣، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٤١، ١٤٥، ١٧٢، الخنقة ١٨٢، الخدّ ١٦١، ١٦٤، ١٦٥ الخاطر ١٧٨، الْخذواتِ ١٤١، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٨، الخلائق(أبيار الماشي) ١٣٤، ١٨١، ١٨٣، ١٨٧.

حرف الدال

وادي دفين ١٢٦، حيّ الدويمة ١٩٥، دار الندوة ٦٨، ٦٩، وادي دوران ١٢١، ١٢٤، ١٢٦، وادي دغبج ٩٧، جبل الدومه الحمراء ٩١، مقرح الدمجاء ١٤٠، ثنية الدمجا (الدمجاء) ١٤٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ريع الدمجاء ١٣٩، ١٤٠، ١٤٥، وادي الدوداء ١٨٢.

حرف الذال

جبال ذروة ١٢٦، ١٢٧، ذي المجاز ٤١، ٤٥، ذِي حرض ٥١، ذهبان ٩٩، ١٠٠، ١١١، حرة ذهبان (حرة الوقر) ١٠١، ١١٠، ذِي طوًى ١٠٣، شعبة ذات كشط ١٤٠، بطْن ذِي كشْرٍ ١٤٩، ذو كشد «أم كشد» ١٥٥، ذا سلمٍ (السلمة) ١٤٩، ١٥٣، ١٥٨، ذو الحليفة ١٨٣.

حرف الراء

بئر رضوان ١٤٨، ١٥١، وادي رانوناء ٤٨، ١٩٢، ٢٠٤، مسجد الراية ٢٠٠، جبل الراقد ٩١، رسم العقيق ١٠٤، الربذة ١٠٦، رابغ ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، وادي ريّن(ريّن الحومة) ١٤٤، وادي راين ١٤٧، الرجيع ١٠٦، ١٧٠، طريق الروحاء ١٤٩، مقرح الرِّجْلين ١٤٦، بطن ريغ ١٥٨، وادي الريان ١٦٤،

جبل الرنْفية ١٨٧، وادي الريامية ١٨٧، الرويثة ١٦٢، ١٦٩، ١٧٤، ركوبةٍ ٨٣، ١٤١، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٨، بطْن رِئْمٍ ٨٣، ١٦٧، ١٨١، الرس ١٧٤، وادي ريم ١٨٢، ١٨٧.

حرف الزاي

زبالة ٢٥، ٤٤، ٤٨، زقاق ابن حبّين ٤٧، حرة زهرة ٥٢، زهرة ٥٢، زقاق الحبشي ببئر جمل ٢٠٥.

حرف السين

جبل سلع ١٨، سِيف البحر ٩٧، سد الروحاء ٨٩، سد الصهباء ٨٩، سوق بني قينقاع ٤٤، ٤٧، ٤٦، ٥٥، سوق النبط ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، سوق مزاحم ٤٤، ٤٧، سوق الصفاصف ٤٤، ٤٧، ٤٩، سوق زبالة ٤٤، ٤٨، سوق نقيع الخضمات ٤٤، ٤٩، السنح ١٩٦، السرارة ٥٠، جبل سليع ١٩٩، جبل السرد ٩١، جبال سنادة ٩٤، السوارقية ١٥١، وادي السرب ٩٣، السناف (نعف مياسر قديماً) ١٨٢، وادي السدير ١٤٤، وادي الساد ١٤٤.

حرف الشين

الشعيبة ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٠، الشام ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٥١، ٩٩، ١٢٣، ١٤٥، الحرة الشرقية ٣٨، الشوط ٥٢، ٢٠٠، شوكان ١٤٣، الشيباء ١٣٧، ١٣٨، الشلائل ١٨٢، بئر شداد ١٨٩، ١٩٠، الشفيّة ١٦٩.

حرف الصاد

جبال صائف ١٤٧، وادي الصغو ١٠٧، ١٠٩، تلعة الصهو ١٨٧.

حرف الضاد

حرة ضجنان ١٠٣، ١٠٦، ١٠٩، ضبيب ١٣٧، وادي ضبع ١٨٧.

حرف الطاء

طابة ٢٤، ٢٨، طيبة ٢٤، ٢٨، الطرف ١٠٦، عين الطلمبة ١٣٧، بئر الطلوب(الحفاة)١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، الطائف١٦٣.

حرف الظاء

طريق الظبي ١٨١، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٠.

حرف العين

عمّوريّة ١٨، العلا ٢٠، ٢٣، جبل (العهين) ٢٤، طريق العيون ٢٦، عمان ٣٢، العرصة ٤٨، ١٨٣، بئر عثمان ١٨٣، عكاظ ٤١، ٤٥، حرة العصبة ٤٧، ٤٨، ١٨١، ١٨٥، ١٩٠، ١٩١، عدينة ٤٧، بئر عذق ١٩١، ١٩٢، جبل عير ١٩٠، عمق مزينة ١٤٣، جبال العكيشية ٩١، خبت عمق ٩٤، جبال العدّ ٩٤، ٩٨، ماء العدّ ٩٦، العقبة ٦٢، ٨٥، ١٧٤، ١٧٦، وادي العصلاء ٩٧، ٩٨، ١٠١، وادي عويمر ٩٧، عرنة ٩٣، عسْفان ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١٢٤، وادي عويجاء ١١١، طريق عمق ١٤٩، العرقين ١٥٧، مرْجِح العصويْن ١٥٥، ١٥٧، شعب العصوين ١٥٥، الْعبابِيدِ (الْعبابِيب)، ويقال: الْعِثْيانة ٨٣، ١٦٠، العثيانة (الغثريانة)، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤، العاند ١٨٢، جبل العرج ١٧٤، ١٧٥، وادي العقيق ١٨٢، ١٨٧، ١٨٩، الْعرْج ٨٣، ١٠٨، ١٣١، ١٤١، ١٤٥، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٨، وادي العرج ١٣٤، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٨، ، عرج الأثاية ١٦٣، ثنية العقنقل ١٧٨.

حرف الغين

غزة ٢٧، وادي الغايضة ١٢٩، مسجد الغمامة ٢٠٤، بئر غرس ١٩٢، غيقة ٨٥، ١٦٩، وادي غليل، قوس ٩٧، وادي غيا ٩٧، الغميم ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، لحف الغميم ١٠٦، سهل وادي غران ١٠٧، وادي الغولاء ٩٩، ١٠٠، ١١١، الغيثامة ١٤٠، الغثْيانة

١٣٣، وادي الغثريانة ١٦٤، وادي غيقة ١٦٣، ملف غيقة ١٦٣، ثنيّة الْغائِرِ ٨٣، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨٧، سطحة الغائر ١٨٠.

حرف الفاء

فارس ١٩، فدك ٢٣، وادي الفرع ٨، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، فلسطين ٣٦، ٨٧، طريق فخذا ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، جبال فخذا ١٤٤، ١٤٧، طريق الفرع ١٥١، وادي الْفاجّة ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، شعب فيْد ١٧٨.

حرف القاف

قناة ٢٥، ٤٩، ١٨٤، قحدوات ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٤١، ١٤٤، ١٤٨، ١٧١، وادي قريباء ١٢٦، وادي قِرْبى ١٢٦، القدس ٣٥، قربان ١٩٥، ٢٠٤، مسجد قباء ١٨٥، ٢٠٤، قرين صريحة(ضرطة) ٤٨، ١٨١، ١٨٥، ١٨٦، ، قلعة قباء ٤٩، قباء ٥٥، ٧٦، ٨٢، ٨٤، ١٤١، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٥، قوْرى ٥٩، قديد ٧٣، ٧٤، ٨٣، ٨٥، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١١٢، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، خبت القد ٩٤، وادي القاحة ٧٦، ٨٣، ١٠٨، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، وادي قوران ١٥١، حرة القصيبة ١٤٧، ١٤٨، ماء القصيبة ١٤٩، ١٥٧، سلسلة قدس ١٥٢، جبال قدس ١٥٤، ١٥٦، جبل قدس الأسود ١٦١، ١٧٤، جبل قدس الأبيض ١٧٤، ١٧٦، ١٦٧، ١٧٩، ١٨٢، أودية قدس ١٧٧، قسبان ١٨٢، قسيبين ١٨٢.

حرف الكاف

كليّة ١٢٦، نثلة كلية ١٢٦، ريع (كوثر)١٢٦، ١٢٧، كومة أبي الحمراء ٤٨، ثنية كديْ ٧٩، ثنية الكوذبة ١٤٠، كشذ ١٣٣.

حرف اللام

لارسا ٢٢، اللواء ٥٠، وادي اللاحجة ٩١، الليث ٨٥، وادي لوي ٩٧، وادي لِقْف ٨٣، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٥٧، مدْلجة لِقْفٍ ٨٣، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧.

حرف الميم

مجمع الأسيال ٢٤، بئار المرّة ١٣٨، بطن مر ١٢٥، مصر ٣٢، ٣٥، محانيم ٣٤، مجنة ٤١، وادي مذينيب ٤٢، وادي مهزور ٤٣، ٤٩، المدشونية ١٩٥، مزاحم ٤٤، ٤٧، ٤٩، ١٩٩، مِنى ٦١، ٦٢، ٨٤، مر الظهران ٨٧، ٩٦، ١٠٩، ١٤٣، مستورة ٨٥، المشلل ٨٥، ١١٨، ١١٩، حرة المشلل ٨٥، بئر المصنوع ١١٩، وادي مليحة ١٦٤، المسفلة ٨٤، المدعى ٧٨، وادي مرّ الظهران (وادي فاطمة) ٨٧، ٩٦، ١٠٩، جبل مويّحة ٩٧، وادي مويحة ٩٧، وادي مريّخ ٩٧، المنصورية ٩١، درب الميثب ٧٩، المفْجر الغربي ٧٩، المراض ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، جبال المستظلة ١٤٧، المدرة(حرة ثول) ١١١، ١١٣، المنخرق ١٣٥، ثنِيّة الْمرّةِ(ثنية الأبرق) ٨٣، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٩، جبل المطوي ١٤٦، ١٤٨، طريق المدلجة ١٤٩، مر عنيب(وادي رابغ) ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، وادي مر(مرّ عنْبب) (وادي فحل جلواح) ١٤٣، مغينية ١٣٧، ثنية المرأة ١٢٥، مدْلجة مجاح ١٢٥، ١٥٢، ١٥٣، مرْجِح مجاح ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، وادي مجاح ١٥٥، جبل المسمى ١٨٢، وادي ملح ١٨٧، بئر معونة ١٧٠، مشروان ١٧٨، المتعشى ١٧٤، المحصب ٨٤.

حرف النون

نجران ٢٠، نيبور ٢٢، حي النسيم ٢٦، النباة ١٣٦، ١٤٤، النبيّة ١٣٦، نقيع الخضمات ٤٩، ٥٠، نقيع الحمى ٥٠، وادي نفيسة ٩٧، النويبع ١٤٠، وادي ندا ١٤٣، النقيع ٥٠، ١٥٢، ١٨٩، وادي «النظيم» ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩.

حرف الهاء

الهند ٢٠، جبل هور ٣٣، هزم النبيت ٤٩، وادي الهطيل ٩٧، وادي الهدّة(اللصب)١٠٧، هرشى ١٣٩، ١٤٠، ١٧٠.

حرف الواو

وادي القرى ١٨، ٣١، ٣٥، الوجه ١٨٤، حرة الوبرية ١٢٧، حرة الوبرة ١٨٣، الوالج ٥٢، ثنية الوداع ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، وادي الوسامي ١١٣، ودان ٨٥، جبل ورقان ١٧٤، ١٧٦، ١٨٠، ورِقان ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢.

حرف الياء

يثرب ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٨، ٤٩، ٥٢، ٥٥، ٦٢، ٨٥، ينبع ٢٧، اليمامة ٣٢، اليمن ٣١، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٥١، وادي يدوم ١٨٢، وادي اليدعة ١٦٣.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
شكر وعرفان	٧
تقديم	٩
مقدمة	١١
الفصل الأول: نبذة تاريخية عن المدينة المنورة وسكانها قبل الإسلام	١٥
المدينة المنورة في الكتب المقدس	١٧
الموقع الجغرافي للمدينة المنورة	١٩
الاسم والسكان	٢١
السكان قبل الإسلام	٣٠
المستوطنون الأوائل (العماليق)	٣٠
اليهود	٣٣
الأوس والخزرج	٣٦
الفصل الثاني: الحالة الاجتماعية لسكان المدينة المنورة قُبيل الهجرة النبوية الميمونة	٣٩
الحالة الاقتصادية	٤١
الأسواق	٤٣
الحالة الاجتماعية	٥١

الموضوع	الصفحة
سيطرة الأوس والخزرج على المدينة(يثرب)	٥٢
حروب الأوس والخزرج	٥٢
تاريخ بداية الحروب ونهايتها	٥٤
يوم بعاث	٥٧
نتائج حرب بعاث	٦٠
المدينة تتهيأ للحدث العظيم (الهجرة النبوية الميمونة)	٦١
بيعة العقبة الأولى	٦٢
بيعة العقبة الثانية	٦٢
الفصل الثالث : مع الرسول ﷺ في هجرته الميمونة	٦٥
الإذن للنبي ﷺ بالهجرة	٦٧
ساعة الخروج	٧١
تاريخ بدء الهجرة وتحديد المسار	٧٢
العوامل المؤثرة في اختيار المسار	٧٦
وصف الطريق من بيت النبي ﷺ إلى غار ثور	٧٧
طريق الهجرة من جبل ثور إلى قُباء	٨٢
اليوم الأول (الخميس الرابع من ربيع الأول)	٨٤
اليوم الثاني (الجمعة الخامس من ربيع الأول)	٩٦
اليوم الثالث والرابع (السبت والأحد السادس والسابع من ربيع الأول)	٩٨
اليوم الخامس (الاثنين الثامن من ربيع الأول)	١١٠
اليوم السادس (الثلاثاء التاسع من ربيع الأول)	١١٢

الموضوع	الصفحة
اليوم السابع (الأربعاء العاشر من ربيع الأول)	١٣٢
اليوم الثامن (الخميس الحادي عشر من ربيع الأول)	١٤٩
اليوم التاسع (الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول)	١٦٠
اليوم العاشر (السبت الثالث عشر من ربيع الأول)	١٦٦
اليوم الحادي عشر (الأحد الرابع عشر من ربيع الأول)	١٨١
اليوم الثاني عشر (الاثنين الخامس عشر من ربيع الأول)	١٨٨
طريق النبيّ ﷺ من قباء إلى المدينة	١٩٢
ومضات من استقبال أهل المدينة للنبيّ ﷺ قادمًا من قباء	٢٠٥
بيان ما شاع.. عن نشيد «طلع البدر علينا» عند قدوم النبيّ ﷺ في الهجرة من ثنية الوداع	٢٠٦
قول العلماء في الأحاديث المرسلة	٢٠٩
تحقيق مكان ثنية الوداع الواردة في النشيد	٢١١
دروس وعبر من الهجرة النبوية الميمونة	٢١٢
الخاتمة	٢١٥

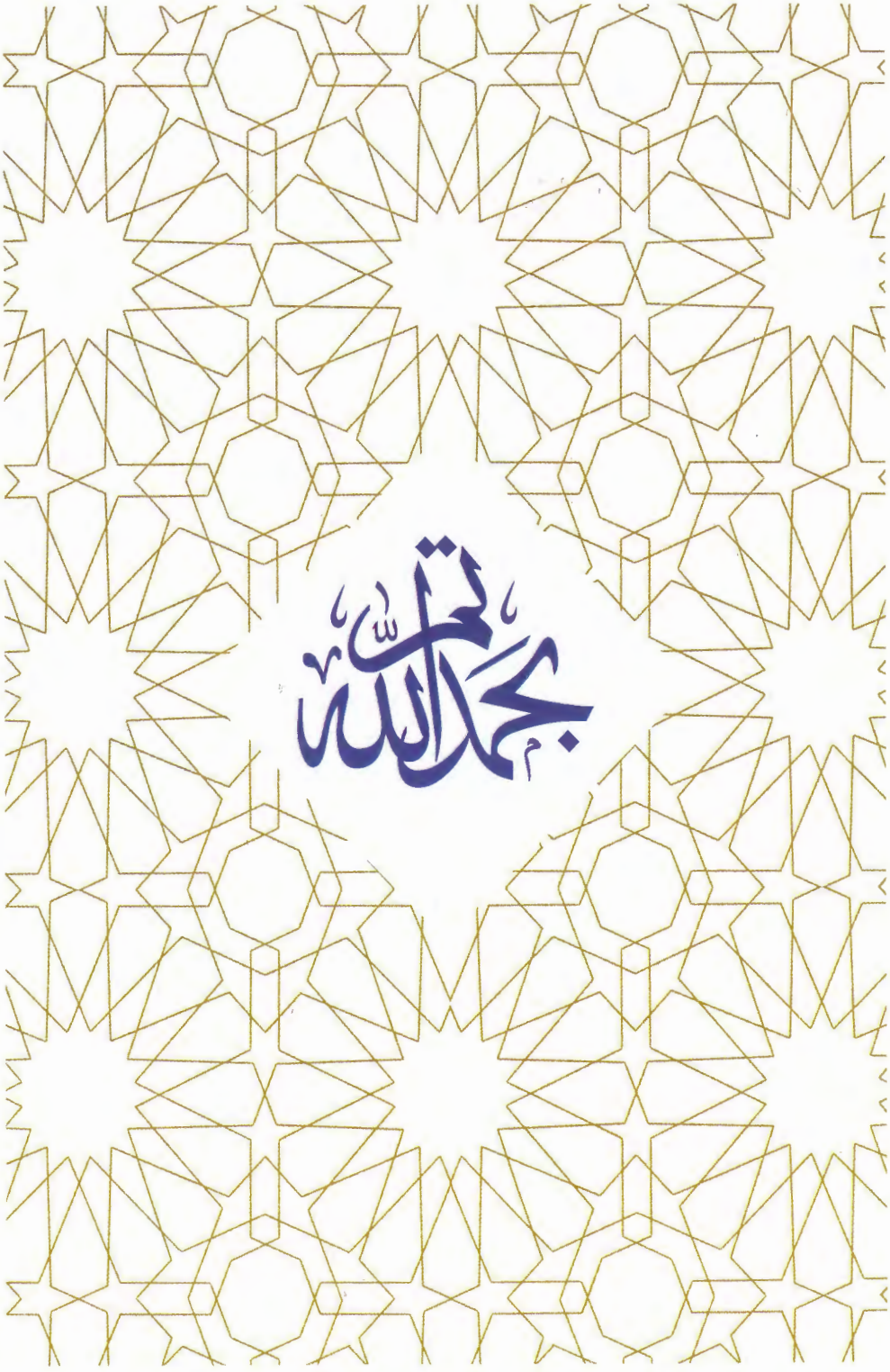
تم بحمد الله

المدينة المنورة
ذباب
طريق الطنبي
الفريش
المسجيد
وادي رتم
الضعيرية
الواسطة
الفارعة
جبل ركوبة
البتعة
الخدوات
بدعة
بئر الطلوب
وادي الفاحة
الرايس
الصفيرية
السويرقية
صفينة
مستورة
ربغ
رأس الرجلين
رابغ
الأصيحر
كلية
جادة سراة
أم صعيب
خليص
الوزاية
حرة
الغوجانية
قرية صفاين
الجموم
جدة
مكة المكرمة
الحديبية
بحرة
جبل الحد
موقع المشرة
البحر الأحمر